

أَحْكَامُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ

عَقَائِدُ - أَحْكَامُ - آدَابُ - عِظَائِتُ

عبدالله بن حسن القعود

خطيب جامع المرتبة بالرياض

دار طيبة للنشر والنويع 

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بدأ المؤلف الخطابة من منبر الجمعة في ٢٠/٨/١٣٧٨ هـ بمسجد المشيقيق بالرياض بشارع الشميسي القديم، وعمد بها في جامع المربع بالرياض في ١/١/١٣٩١ هـ وقت أن كان الملك فيصل يصلي الجمعة فيه إلى أن توفي رحمه الله. ولا يزال المؤلف يخطب بهذا المسجد، ويلاحظ أن كثيراً من موضوعات الجزء الثاني أعيدت في تلك الفترة مع المستجد فيها من موضوعات الجزء الثالث، وأن كثيراً من موضوعات الكتاب كله متداول في أشرطة، وأن المؤلف قد ترجم له في مقدمة الجزء الأول من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بهيئة كبار العلماء. ختم الله لنا وله بالصالحات.

إِحَادِيثُ الْمُجْتَمِعَاتِ

عَقَائِدُ - أَحْكَامُ - آدَابُ - عِفْطَاتُ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

 دار حياطة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - السعودي - ش. السعودي العام - غرب النفق

ص.ب: ٧٦١٢ - رمز بريدي: ١١٤٧٢ - ت: ٤٢٥٣٧٣٧ - فاكس: ٤٢٥٨٢٧٧

□ المقَدِّمَة □

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن ولاة

وبعد:

فنظراً لعدم توفر كتابي «أحاديث الجمعة» في المكتبات العامة أو التجارية، ولعدم توفره كذلك لدى كثير ممن يهتمون بمثل هذا الكتاب طلب مني بعض الإخوة - جزاهم الله خيراً - إعادة طباعته تيسيراً لاقتنائه، أو الاطلاع عليه، وربما الاستعانة به. وأملأ أن يتوسع ويتضاعف الانتفاع به، استجبت لذلك، عسى الله أن يجعل فيه خيراً لي ولمن انتفع به. وهذه هي الأجزاء ٢، ٣، ٤، وما جدّ بعدها مما يصلح للنشر مما لم يطبع من قبل وهو الجزء الخامس، أقدمها لك أخي القارئ، فما وجدت بها من خير فادع لصاحبها، وما وجدت من نقص فادع له بتجاوز الله عنه - تجاوز الله عنك وعنه - أما الجزء الأول فقد أكتفي عن إعادة طباعته بإعادة موضوعاته في الأجزاء المذكورة مع تغيير في الصياغة والأسلوب.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

المؤلف

(*) تبييه : حافظ المؤلف - حفظه الله - على صحة الأحاديث التي ينقلها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا عدداً من الأحاديث وقع فيها الضعف ولم ينبه عليها . فليتنبه القارئ الكريم إلى ذلك . والله المستعان .

مصححه

□ منهج الخطابة والوعظ □

إلى إختوتي في الله خطباء الجمعة ونحوها. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأحمد إليكم الله تعالى، وأصلي وأسلم على رسوله محمد بن عبد الله، وبعد: فتعلمون- وفقكم الله- أهمية خطبة الجمعة ومكانتها بين العبادات، وما يتطلب ويتأكد فيها من إحياء وإظهار ما شرعت له من عظة القلوب وملازمة المشاعر التي أمرت هي من جانبها أن تنهياً قلباً وقالباً جسماً وروحاً لاستماع الخطبة، الأمر الذي كماله المطلوب وتمامه الواجب الجاذب للقلوب والشاحذ للهمم، أن يكون الواعظ فيه قد اتعظ، والأمر قد ائتمر، وأول ما يتطلب الانعاظ به في هذا الأمر حمايتها وحفظها من أن يتطرق إليها أو إلى شيء من أجزائها- ولو ألفاظ الدعاء فيها- ما ينقص الإخلاص فيها، ويضعف التقبل لها، وأن تكون وفق منهجه صلوات الله وسلامه عليه فلا يخرج بها عنه. وتتبع منهجه صلوات الله وسلامه عليه نجد أن خطبه مليئة بالثناء على الله وبتعظيمه وتذكير الناس بآلائه عليهم، بل وبأيامه وسننه فيهم ثواباً وعقاباً. قال ابن القيم- رحمه الله- في ذكر خصائص يوم الجمعة: «الثامنة والعشرون أن فيه الخطبة التي يقصد بها الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية ورسوله صلوات الله عليه بالرسالة وتذكير العباد بأيامه وتحذيرهم من بأسه ونقمته وتوصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جنانه ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره؛ فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها» (زاد المعاد ج ١ ص ٣٩٨).

ومن هذا يعلم أن ما بدأ يظهر في خطب الجمعة في عالمنا المعاصر من تقليل الثناء على الله فيها بحيث يكاد يقف القول فيه في بعض الأحيان عند أقل ما يجب، بل ومن جعلها في بعض الأحيان مادة للثناء على أقوام بأعيانهم، أو النيل من أقوام كذلك بأعيانهم أمر مخالف لما كان عليه صلوات الله وسلامه عليه، وما كان عليه أتباعه بإحسان رضي الله عنهم وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وخذوا مثلاً للمقارنة فيما يتعلق بالتركيز في خطب الجمعة ونحوها على الثناء على الله سبحانه والارتباط فيها بمضمون ما شرعت له مما أجمله ابن القيم- رحمه الله- خطب ابن القيم نفسه في مقدمات كتبه المنبئ عن منهجه في الخطب

-رحمه الله- وخطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- المطبوعة ونحوهما وخطب بعض الناس اليوم وما طرأ عليها في بعض الأحيان وقارنوا بينها - أخذاً في الاعتبار البحث عن روح التوحيد الخالص - لتروا أن أولئك رحمهم الله لم يسودوا ولم يؤموا ولم يبقوا بيننا بذكرهم المعطر للمجالس بتسخير أقلامهم وخطبهم في مواقف عبادة محضة للثناء على المخلوقين، وإنما للثناء على خالق المخلوقين.

ولاشك أن ذلك إدراك منهم رحمهم الله لروح التوحيد ولمراد الله سبحانه في قوله: ﴿فاسمعوا إلى ذكر الله﴾ وفسر الذكر بالخطبة ويشهد له حديث «وحضرت الملائكة يستمعون الذكر» وفسر بالصلاة، ولا مشاحة فالأمر بالسعي للخطبة أمر بالصلاة، ولن تكون الخطبة بالمعنى المطلوب الذي يصدق عليه أنه في جملة ذكر إذا تضمنت مدح أقوام بأعيانهم أو ذم أقوام بأعيانهم؛ ولذا كان بعض السلف رحمهم الله يستسيغ لنفسه الكلام أثناء خطبة خطيب الجمعة إذا خرج فيها عن مقتضاها قال صاحب المغني- رحمه الله:- «وكان سعيد بن جبير والنخعي والشعبي وإبراهيم بن مهاجر وأبو بردة يتكلمون والحجاج يخطب وقال بعضهم: إنا لم نؤمر أن ننصت لهذا». (المغني ج-٢ ص ٣٢٠).

وقال القرطبي- رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية «فإن قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك، قلت: ما كان من ذكر رسول الله ﷺ والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله، فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فهو من ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل». (تفسير القرطبي ج١٨ ص ١٠٧).

ولا جرم أن يخرج هذا النفس من هذا العالم الجليل فإن أمراً جعل شرطاً لصحة صلاة الجمعة واعتبر جزءاً من مجموعها ومعلوم وجوبها العيني أنه يتعين الاهتمام به وحمايته وأداؤه وفق المشروع كي لا يتطرق إليه نقص فينسحب نقصه عليها.

فيا إخوتي في الله القائمين على هذا الثغر العظيم: ثغر توجيه وإبلاغ وإمامة وشهادة على الناس يوم يقوم الأشهاد، اعرفوا لهذا الموقف حقه، واذكروا به موقفكم أمام الله يوم تستشهدون على الناس، اسلكوا فيه الطريق السوي الذي لا غلو فيه ولا جفاء؛ فاستعمال الخطبة للنيل من أقوام بأعيانهم خروج بها عن الوسطية المطلوبة

فيها، والمبالغة فيها بالثناء على أقوام بأعيانهم خروج كذلك عن الوسطية المطلوبة فيها. قال جابر بن سمرة رضي الله عنه: صليت «يعني الجمعة» مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً، رواه مسلم وغيره، والقصد: الاعتدال، فالمطلوب في خطب الجمعة ونحوها- على وجه التقريب والتمثيل- أن يختار الخطيب أوصافاً وأعمالاً فاضلة مما وصف به المؤمنون في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فيحث عليها ويرغب فيها، أو أوصافاً ذميمة وأعمالاً سيئة من أعمال وأوصاف الكفار أو المنافقين أو فجار المسلمين، فيحذر وينذر منها، أو منكرات ظاهراً فيذكره بأوصافه دون تسمية أهله في مثل هذا المقام المشترك في التقرب به إلى الله بين المتكلم فيه والمستمع له مبتعداً في لفظه عن وحشي الكلام ومبتذله بادعاً بتقرير وبيان التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وبيان ما يناقض أصله أو كماله الواجب، فأصول الإيمان وأركان الإسلام فالفضائل والمسائل، وبإمكانه أن يربط الموضوع الذي يريد علاجه بتلك الأوصاف لا بأعيان أهله كما فعل ﷺ .. الحديث. وليعلم أن هذا التوبيخ لأشخاص في مخالفة قد لا تعد كبيرة، أما في الكبائر الشرك فما دونه فقد قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صباحكم ومساءكم» رواه مسلم. وفي باب الكبائر وما ذكره العلماء حولها مادة واسعة للخطباء عند ظهور أي منكر، فلا يكاد شيء من المنكرات الظاهرة يخرج عنها، وخذوا مثلاً كتاب الكبائر للذهبي رحمه الله، وكتاب الكبائر للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وكتاب الترغيب والترهيب للمنذري رحمه الله ونحوها، وما أسلفته من انتقاء الأوصاف المدوحة من الكتاب أو السنة والحث عليها، أو المذمومة والنهي عنها وربط الموضوع المراد علاجه بها لا بأسماء أو أعيان أهلها كما سلف. فلنأخذ بهذا المنهج مخلصين متبعين عسى أن يتقبل الله منا هذه الطاعة وغيرها، وأن يحقق بذلك المعنى العظيم الذي شرعت له الخطبة من تعاهد الناس بين الفينة والأخرى بالتذكير والتبصير، بل والتعرف على مشاكلهم وأمراضهم أمراض الشهوة أو الشبهة لمحاولة علاجها بما جعله الله دواء وشفاء لها في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُلْ جَاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ والسلام عليكم ورحمة الله.

كتبه العبد الفقير إلى الله/ عبد الله بن حسن بن محمد القعود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

وسلام الله عليك أيها القارئ الكريم ورحمته وبركاته، وبعد: فوفاءً بالوعد الذي وعدتك به في مقدمة الجزء الأول من كتابي «أحاديث الجمعة» وتقديراً للشعور الذي لقيه الجزء الأول وتجاوباً معه ومع رغبة الإخوة الكرام وتشجيعهم وإظهاراً لشكر نعمة الله عليّ الذي منّ عليّ ومكّنني من الوفاء بالوعد. وإنفاذاً ما اعترفته من رشد، يسرني أن أقدم بين يديك الجزء الثاني من «أحاديث الجمعة»، لا على أنه كتابٌ يُخطب به ويترك التجديد وملاحظة ما قد يجد من مناسبات وحوادث تتطلب العلاج، ولكن لأنه مجموعة مقالات إسلامية وموضوعات يُحتاج إليها ويتعلق كثير منها بالولاية وتعالج كثيراً من المشاكل الاجتماعية والأمراض الخلقية، لذا وإيماني بجدواها أقدمها للتذكرة والاستعانة وما توفيقني إلا بالله. وقد ضمنتها عدة موضوعات صُعُتْها في فترات متقطعة ولمناسبات وحوادث مرت، يدرکها القارئ الكريم بقراءة الكتاب، لتكون مادة لي أستعين بها في الخطبة الأولى، وحفاظاً على الجهد الذي بُذل في التحضير. وقد يأتي على لساني حالة الإلقاء وبحكم الارتجال ما رسمته ورتبته في ذهني، وهو الغالب وقد يأتي غيره.

كما وإن كثيراً منها أيضاً قد أذيع من إذاعة الرياض ضمن الأحاديث الصباحية بتعديل مني يتلاءم وصياغة الحديث، ولا سيما في المطلع والمقطع وإيراد النصوص والتقدمة لها.

وقد تحرّيت في اختيار ما قدمته لك هنا وفي الجزء الأول موضوعات ثابتة وضرورية لكل زمان ومكان من حيث موضوعها، ولا جرم فالمدح للموضوع لا لكتابتي عنه، وما كان من ذلك صواباً فمن الله، وما كان غير ذلك فمَنّي، وأستغفر الله. والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعاملني ووالدي وكل مسلم بعفوه، إنه تعالى حسبنا ونعم الوكيل، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المؤلف / عبدالله القعود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

□ الإخلاص وأثره في العمل □

الحمد لله عالم السرِّ والنجوى، المطلع على الضمائر وكل ما يخفى ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ نحمده سبحانه وعدّ المخلصين الدرجات العلى، وحذر المرأتين ناراً تلظي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أنزل عليه تشريعاً لأمته ﴿قل إن صلاتي ونسكي﴾ الآية. صلى الله وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه. الذين لا ينشدون بحركاتهم وسكناتهم، وأقوالهم، وأفعالهم، إلا رضا الله وحده، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص﴾ ويقول: ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾ عباد الله فإن الله تعالى خلقنا لعبادته، وأمرنا بها قال سبحانه: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ وقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾. وقد جعل الله تعالى لهذه العبادة شرطاً أساسياً في جميع شرائعها ولا تنفع إلا به، وهو إخلاصها لله وحده قال تعالى: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾. وهذه الآية وما سلفها أن الإخلاص هو القاعدة الأولى التي تُبنى عليها العبادة، وتم بها بجانب المتابعة، وتجعلها موجهة إلى الله وحرية بقبوله ومثوبته؛ فالعبادة أياً كانت فعلية أو قولية لا تسمى عبادة ولا تكون نافعة، إلا إذا صدرت من مؤمن، وتوفر فيها الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله ﷺ. والإخلاص الذي يريده الله ويتوقف عليه قبول العمل هو أفراد الحق تعالى بالطاعات، وقصدُه بها دون غيره، وتجريدُها وتصفيتها من قصدِ الحمدة أو الثناء أو معنى آخر سوى التقرب بها إلى الله وحده، وأن يكون باطن العامل كظاهره أو أحسن، وسِرُّه كعلنه أو أفضل، وأن يخشى الله ويراقبه في الغيب: يخشاه ويراقبه في وحدته، ومع جلسائه.

والإخلاص مصدره نية القلب، والنية هي معيار الأعمال ومقياسها العادل الذي يتميز به طيبها من خبيثها، وصحيحها من فاسدها، ومقبولها من مردودها، ونافعها من ضارها. فالطاعات تتفاوت وتتفاوت أجرها بتفاوت النية فيها، وما قام بالقلب منها قال عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات ..» الحديث. وقال: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم وصوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» رواه مسلم. والطاعات قد تكون في ظاهرها وهيئتها سواء، وفي باطنها متفاوتة، فالعبادة خير للمخلصين وسعادة، كانت لله، وشرٌّ إن كانت للتضليل والمباهاة. نعم، العبادة خير للمخلصين وسعادة، وشر للمرائين وشقاوة، فالناس يقفون جميعاً للصلاة في مُصلى واحدٍ ومع إمامٍ واحد، ويركعون ويسجدون سواءً، ومنهم المقبول لإخلاصه وتقواه، ومنهم المردود لريائه وخبث نواياه، ويقفون في صف الجهاد تحت قيادة واحدة ويُقتلون، ومنهم من هم بعد القتل تروح أرواحهم وتغدو في الجنة أحياء عند ربهم يُرزقون، ومنهم من قد يُسحب على وجهه ويُلقى في النار، فالأول جاهد إخلاصاً لله وفي سبيل الله وإعلاء كلمة الله، والثاني جاهد رياءً ومفاخرة ومباهاة. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجلٌ استشهد فأُتي به فَعَرَفَهُ نعمته عليه فَعَرَفَهَا قال: فما عملت فيها، قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فَعَرَفَهُ نعمه، فَعَرَفَهَا، قال: ما عملت فيها. قال: تعلمتُ العلم وعلمته وقرأت القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت ليقال قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأُتي به، فَعَرَفَهُ نعمه فَعَرَفَهَا. قال: ما عملت فيها، قال: ما تركتُ من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت. قال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال جواد، فقد قيل. ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار».

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأخلصوا أعمالكم لله، فالإخلاص هو سر نجاح العبد وفلاحه في دنياه وأخراه، وهو دعامة الأعمال التي تقوم عليها، سواءً كانت طاعة روحية أو معاملة مادية، فهو للأعمال كالروح للأجسام، والأعمال معه ذات

كثرة وبركة، وبفقدانها له ذات قلة وفشل، وناهيكم مثلاً لذلك المثلين اللذين ضربهما الله في القرآن الكريم لمن ينفق رياء الناس ولمن ينفق ابتغاء مرضاة الله. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، كَالَّذِي ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوانٍ عليه ترابٌ فأصابه وابلٌ فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا، والله لا يهدي القوم الكافرين، ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابل فطُلَّ والله بما تعملون بصير﴾.

وكما تكثر الأعمال بالإخلاص وتتضاعف فإنه مع ذلكم مدعاة للتقدير والتعاون والحب والولاء. فما تحلَّت به نفس أو أمة إلا وأحبها الله وأحبها الناس واستولت على القلوب وكسبت النفوس وحل التعاون فيها محل التخادل، والنصح محل الغش، والوحدة محل الفرقة. نعم، والله وبالله ما تحلَّت بالإخلاص أمة إلا عزَّ سلطانها، وعظم شأنها، وهيب جانبها كما حصل للأمة الإسلامية في أوج إخلاصها. وما فقدته أمة إلا وفقد كل مقومات حياتها المعنوية وانحطت إلى الحضيض عياداً بالله لأمة الإسلام من ذلك.

فاتقوا الله أيها المسلمون وأخلصوا أعمالكم لله وطهروها من إرادة غير الله بها، ولا يغب عنكم أن الله تعالى مطلع على سرائركم وضمائركم، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

فأخلصوا له النية فيما أوجب عليكم من طاعة، وما نذَّبكم إليه من برِّ تفوزوا برضاه تعالى، ويصرف عنكم السوء والفحشاء، وتكونوا من عباده المخلصين. يقول تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. ويقول عنه رسوله ﷺ، فيما رواه مسلم: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه أحداً غيري تركته وشركه» ويقول ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، الرياء، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل» ويقول خير قائل وأصدقهم ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.

أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى أن يرزقنا الإخلاص في
الأعمال، والصدق في الأقوال إنه حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

□ القرآن عصمة □

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، وأحمد الله وأشكره، وأعوذ به من الشيطان الرجيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وأصلي وأسلم على من أنزل الله عليه ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾.

أما بعد - أيها المسلمون - فإن الله جلّت قدرته، أكرمكم وأتمّ عليكم نعمه بنعمة كبرى، تلكم نعمة القرآن، وكبرى معجزات محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام. فلقد أنزله الله على رسوله، ليُخرج الناس به من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهدى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أنزله شفاءً لما في الصدور وهدىً ورحمةً للمؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أنزله تعالى للعمل به والتدبّر، والاتعاظ والتذكر ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أنزله ليُعرف الناس بخالقهم وليُعرفهم بأنفسهم: أنهم عباد مريبون مكلفون: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أنزله بشيراً ونذيراً. بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين. ﴿قِيَمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أنزله ليكون المُحكّم في جميع شؤون المسلمين أيّاً كانوا وأين كانوا ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

أنزله تعالى عصمة ونجاة لمن تمسك به. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى، فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾.

أنزله حجة على العالمين وآية على صدق رسالة عبده محمد بن عبد الله الصادق الأمين ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ يُتلى عَلَيْهِمْ﴾.

أنزله لتلكم الأمور ولغيرها، وبأرفع أسلوب وأروع بيان وأجمع معنى عرفته

لغات البشر جمعاء. ولا غروَ أيها المسلمون أن ينزل القرآن بأروع لفظ وأجمع معنًى وأفصح بيان، فهو كلام الله جلّ جلاله، الذي تكلم به، وأنزله تشریحاً خالداً، ثابتاً، لا يُغيّرُ أو يتغير:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾؛ لا غرو فهو حجّة الله على عباده، وآية رسول الله ومعجزته التي تحدى الله بها أمراء البلاغة وفحول البيان على أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم بعشر سور مثله فنكصوا، ثم بآية فانقطعوا، وصدق الله العظيم ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾.

يروى أحد المفسرين أن الوليد بن المغيرة أحد المشركين استمع إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ: ﴿حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير﴾، فلما فطن له رسول الله ﷺ أعاد قراءتها، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال: والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً، لا هو من كلام الإنس ولا هو من كلام الجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلَى، وإنه ليحطم ما تحته. ولا عجب أن يشهد هذا الطاغية بهذه الحقيقة، فمستوى القرآن البلاغي فوق ذلكم، بل فوق كل معارضة ومعاندة. وها هو يُبلى من مئات السنين فلا يشبع منه عالم ولا يمل منه تالٍ أو سامع متدبر، ولا يخلق مع كثرة الرد، بل يزداد بروز معان جديدة وحكم وأسرار تتجلى بكثرة تكراره، أودعها فيه مَنْ جعله تشريعاً وديناً ونظاماً للبشرية جمعاء، إلى أن تقوم الساعة.

لا عجب؛ فمن جعله بهذه الصفة هو خالق البشرية والعالم بنفسياتها ومتطلباتها وطبائعها في كل زمان ومكان.

أيها المسلمون، إن بين ظهرائكم لكنزاً عظيماً لا ينفد، ومنهلاً عذباً صافياً لا ينضب ولا يسيئ أبداً. بين ظهرائكم هذا القرآن الكريم الذي جعله الله لكم مخرجاً من كل فتنه، ونجاة من كل بلية، جعله لكم هدًى ونوراً ورحمة وشفاءً وبركة؛ جعله خيراً محضاً. فتلاوته واستماعه طاعة لله، والعمل له والدعوة إليه طاعة لله؛ وإنكم اليوم لفي زمن فتن عظمى تموج أعاصيرها كموج البحار: فتن شهوات وشبهات، فتن قيل وقال، فتن كقطع الليل المظلم؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنه لا سلامة

لكم ولا نجاة، إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، بالقرآن الكريم قولاً وعملاً واعتقاداً، بالعمل بمُحْكَمِهِ والإيمان بمتشابهه، والتصديق بأخباره، فهو حبل الله القائم بينكم وبينه إن تمسكتم به وصلتم إلى الله، وإن أفلتموه انقطعتم عن الله.

فاتقوا الله وتمسكوا بكتاب ربكم تمسكاً صادقاً تُرى آثاره في أعمالكم وأقوالكم، في آدابكم ومعاملاتكم، في إقبالكم عليه تلاوة ودعوة وتعلماً وتعلماً وتحاكماً وتحكماً؛ في كل شأن من شؤونكم أيّاً كان اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو ثقافياً، أو عسكرياً. فلا يصح أن يحكم بعض القرآن ويعطل بعضه، كما لا يصح أن يؤمن ببعضه ويكفر ببعضه، فخذوا به جملة وتفصيلاً، فما هو إلا التمسك به والنجاة، أو الإعراض عنه والهلاك. يقول ﷺ فيما رواه أبو داود: «إني تارك فيكم ما لن تضلوا إذا اعتصمتم به: كتاب الله وسنتي».

ويقول جل جلاله: ﴿فَإِذَا مَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَّه مَعِيشَةً سَنَكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾.

أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى أن يرزقنا التمسك بكتابه، وأن يبارك لنا فيه وأن يفيض علينا من شفائه وهداه، إنه خير مسؤول غفور رحيم.

* * *

□ الإسلام والمسلم المثالي □

الحمد لله رب العالمين؛ وأحمده تعالى وأسأله أن يجعلنا من الراشدين،
وأشكره وقد تأذن بالزيادة للشاكرين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً
عبده ورسوله، وأصلي وأسلم على من أنزل الله عليه ﴿اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى
يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله لقد كثرت في هذا العصر مدعو الإسلام على مستوى
الأفراد والحكومات والشركات، وتسمى به من لا يحقق له مسمى، تسمى به من
لا يخضع لأوامره ولا ينقاد لتعاليمه، ولا يحرم حرمانه ولا يقف عند حدوده، بل تسمى
به من هم أخطر على أهله من النصارى والمشركين. وليس كل من زعم الإسلام
مسلماً، ولا كل من تسمى به صادقاً حتى تصدقه دلائل واضحة من أعماله، فليس
الإسلام مجرد أمنية أو دعوى أو قولاً باللسان فحسب، يقول سبحانه: ﴿ومن الناس
من يقول: آمنا بالله وبالْيَوْمِ الآخِرِ وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ..﴾
الآية. ويقول: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما
في قلبه وهو ألد الخصام﴾.

الإسلام كالبناء الشاخص العظيم له أسس وأصول لا يقوم إلا على جميعها، له
شعارات وضياء ونور وعلامات كمنار الطريق تبهن عليه وتدل على صدق مدعيه،
وأهم أسسه التي لا يقوم إلا عليها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،
 وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام. وحقيقته في الجملة
توحيد الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته بكل ما للتوحيد من معانٍ
خالصة لله سبحانه، واستسلام وانقياد لأمر الله، استسلام وخضوع لله ورضاً بقضائه
وقدره، استسلام لله، وتوكل على الله والتجاء إليه في الضراء والسرء

والمنشط والمكره.

الإسلام - يا عباد الله - تسليم النفس لداعي الحق إذا دعاها تسليمها لواجبها الذي خلقت له: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. فلا ترى صاحب الإسلام إلا مُقيماً للصلاة في وقتها في جماعة بطمأنينة وأدب وخشوع لله يدعو ربه رغباً ورهباً، لا تراه إلا مؤدياً زكاة ماله بطيب نفس، صائماً شهره بطوع ورغبة ورضاً لا بتملل وسامة، مؤدياً فريضة الحج بمال حلال وصدر رحب ونفس طائعة منقادة لله، وضمير محتسب أجر ذلك وثوابه عند الله، مؤمناً بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ مسلماً وجهه لله وهو محسن، ومراقباً لله في سره وجهه، مهتدياً بقول الرسول الأعظم: «كل المسلم على المسلم حرام: ماله ودمه وعرضه» فلا يماطل صاحب حق، ولا يغش في بيع أو معاملة، ولا يؤذي مسلماً ولا يخونه ولا يكذبه، ولا يحقره ولا يخذله، متمثلةً فيه صفات المسلم الحق.

المسلم المثالي الكامل الإسلام الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

هذه - يا عباد الله - علامات المسلم الحقيقي، وشعاره، ومن عداها إما فاقده الإسلام بالكلية كمن يجحد ركناً من أركان الإسلام أو يشك في أصل من أصوله، وإما مشوه الإسلام وملوثه، ضعيف الإسلام وناقصه، كمن جاء بأركان الإسلام وصدق بأصوله، ولكنه يتعاطى شيئاً من كبائر الذنوب كالسرقة والزنا وشرب الخمر وعقوق الوالدين ونحو ذلك.

فاتقوا الله - يا عباد الله - في إسلامكم لا تلوثوا حسنه وجماله وتذهبوا روعته وبهائه بقبيح الفعال وسيء الأقوال. اتقوا الله فيه وبرهنوا على صحته بسلامة قلوبكم وتحسين أعمالكم وصفاء نفوسكم وطيب أقوالكم وترك أذاكم، واجتناب ما لا يعينكم تفوزوا بما وعد الله المسلمين في قوله: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين. ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب

وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴿٢٠﴾
أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى أن يجعلنا مسلمين له ومن ذريتنا أمة مسلمة له وأن يرينا مناسكنا ويتوب علينا. أسأل الله تعالى أن يحمينا مسلمين ويتوفانا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين. إنه غفور رحيم.

* * *

□ مراقبة الله - الإحسان □

الحمد لله عالم السرّ والنجوى المطلّع على الضمائر وكل ما يخفى، سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يخشون ربهم بالغيب وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد - أيها المسلمون - لقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه مطلع على جميع الخلائق يعلم أحوالهم ويشاهد أعمالهم فلا يفوته شيء ولا يعزب عن علمه منها مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ ويقول: ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول﴾ ويقول: ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾. ومفاد هذا الإخبار بجانب ما يقرره من شمول علم الله وكاله وإطلاعه ومراقبته وعظيم قدرته ورعايته وهيمنته، هو تعليم عباده بأن يستشعروا ذلك حقيقة، يستشعروا دوماً بأن الله مطلع على حركاتهم وسكناتهم، على أقوالهم وأفعالهم وما يختلج في صدورهم: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾. ويتأكد استشعار ذلك كثيراً عندما يشرع المسلم في عبادة من العبادات بحيث يقوم فيها بين يدي الله مقام من استشعر أن الله تعالى يراه، وكأنه هو يرى الله، وهذا هو أرفع مراتب الدين التي بينها رسول الهدى ﷺ لأُمَّتِهِ عندما بين الإسلام والإيمان والإحسان بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فاتقوا الله عباد الله واستشعروا إذا قمتم بين يدي الله أن الله يراكم، فإن من استشعر ذلك من قلبه مخلصاً ومتبعاً عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْحَقِيقَةِ وَعَظْمِهِ وَخَافَهُ وَخَشِيَهُ حَقِيقَةً وَنَعِمَ بِمَنَاجَاتِهِ وَأَنَسَ وَالتَّذْبَعَاتِهِ تَعَالَى؛ وَكَيْفَ لَا يَنعَمُ بِذَلِكَ وَيَغْتَبِطُ بِهِ مِنْ يَعتَقِدُ وَيَتَصَوَّرُ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، وَيَحِبُّ عَمَلَهُ ذَلِكَ وَيَرْضَاهُ، ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

كيف لا ينعم بعمله ويغبتط به من علم أنه يسعى في مرضاة الله؟ كيف لا يزداد بذلك إيماناً وأنساً وغبطة من علم أن الله تعالى معه؟ فذلكم هو مقام الإحسان، والحق تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

كيف لا؟ وقد وعد الله النصر والتأييد والعقبى الحسنة في الدنيا والآخرة من استشعروا ذلك من قلوبهم استشعاراً تتجلى فيه متابعة رسول الهدى ﷺ حين قال له أبو بكر وهما في الغار، وقد لحق بهما طلب قریش: يا رسول الله لو أبصر أحدكم موضع قدمه لأبصرنا فقال رسول الله ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

كيف لا يتحلى بذلكم أيها المسلمون من يطمع في نصر الله وتأييده، الذي هو فوق كل نصر وتأييد؟ من يطمع في الآخرة في الحسنى في دار الخلد التي يعطي الله أهلها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟ من يطمع في ذلكم وفيما هو أفضل منه وهو لذة النظر إلى وجه الله الكريم في الجنة يقول سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾. وفسر رسول الله ﷺ الزيادة، فيما رواه مسلم رحمه الله بالنظر إلى وجه الله الكريم في الجنة، وهذا التفسير مناسب كثيراً لجعله جزاء الإحسان، لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عياناً في الآخرة: ﴿وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾.

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وراقبوه، واستشعروا قدرته وعظمته وأطلاعه عليكم ومشاهدته لأعمالكم، عندما تهتمون بأمر؛ عندما تنطقون بقول، عندما تشرعون في عبادة أيّاً كانت: قراءة، أو قيام ليل، أو صلاة جماعة، أو غير ذلكم من قول أو فعل مشروع، استشعاراً من آمن بالله تعالى، ويقول: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ

الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ، ويقول رسوله: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَصُقْ قَبْلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ»، وقوله: «فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ».

أقول قولي هذا؛ وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

● في الخطبة الثانية:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾. ويقول: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾. ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَعَادَهُ خَيْرٌ بَصِيرًا﴾. يقول العلماء «رحمهم الله»: ما وعظ الله عباده موعظة هي أوقع في النفوس وأزجر للقلوب من إخباره سبحانه لهم أنه مطلع عليهم، عليم خبير بهم، حفيظ رقيب عليهم، سميع بصير، فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بها حصلت له المراقبة المطلوبة، وبلغ بها رتبة الإحسان الذي هو أعلى مراتب الدين، فمن مراقب الله في خواطره عصمه في حركات جوارحه. ذكر ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين جـ ٣ ص ١٧ الأسباب العشرة التي تزيد في إيمان العبد ومحبته لربه، وتبلغ بصاحبها مرتبة الإحسان، ومنها مطالعة القلب ومشاهدته لمقتضيات أسماء الله وصفاته التي من عرفها حقيقة على الوجه اللائق بالله سبحانه عرف الله على الحقيقة وعبده حق عبادته قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾.

* * *

□ ابتلاء الله لعباده المؤمنين □

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله ولّي المتقين وناصر المؤمنين، أحمده تعالى وأشكره، على ما أولانا من النعم وصرف عنا من النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدمع عن وجهه وهو يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

أما بعد - فيا عباد الله - لقد جرت سنة الله في عباده المؤمنين أن يبتليهم ابتلاءً يقوى بقوة الإيمان ويضعف بضعفه، يقول ﷺ في الحديث الصحيح: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلواً زيد له في البلاء» ويقول: «من يرد الله به خيراً يصب منه» رواه البخاري. يتلهم تعالى ابتلاءً ليس ابتلاءً إهانة وتعذيب، فحاشا حكمة الله وعدله، ولكنه ابتلاء تمحيص وتهذيب ﴿ولمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾، وذلكم الابتلاء لأسرار وحكم بالغة منها ما في قوله سبحانه: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾، ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾، والفتنة هنا بمعنى الامتحان والاختبار اللذين يظهران حقيقة من يدعي الإيمان على وجه الحق والصدق، ومن يدعي تقية ونفاقاً ليحصل على ما لأهله في صف المسلمين من حرمة وتقدير. يقول الله تعالى: ﴿الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ ويقول: ﴿ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾. والله جلّت قدرته وتعالّت أسماؤه يعلم عباده أن الإيمان ليس مجرد دعوى أو أمنية فحسب، ولكنه حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء وجهاد وصبر وتحمل لا يحملها إلا من في قلوبهم تجرد لها وإخلاص، فلا يكفي أن يقول الناس آمناً ويتركوا لهذه الدعوى .. حتى لا يتعرضوا للفتنة فيثبتوا لها ويخرجوا منها صافية عناصرهم،

خالصة قلوبهم كما تفتن النار الذهب فتفصل بينه وبين العناصر العالقة به.

— أيها المسلمون — مما تقدم يعلم أن عبء الإيمان لكبير وإن تكاليفه لشاقة إلا على النفوس المؤمنة بالله إيماناً راسخاً، والمتقبلة لتكاليفه بطواعية ورغب فيما عند الله وما وعد به المؤمنين من نصر وعز في الدنيا وثواب مضاعف في الآخرة. يقول تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، ويقول رسول الله ﷺ: «حَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَحَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ» رواه الشيخان. نعم، عبء الإيمان شاق وكبير ولكنه سهل ويسير على من يسره الله عليه، على النفوس التي تعرف أن العبء عندما يكون كبيراً يكون جزاؤه ومثوبته أكبر وأجل عند الله الذي يجزي على الحسنة بعشر أمثالها ويضاعف فوق ذلكم، والذي يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا: رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ إلى أن قال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ولا غرابة فكلما عظم الثمن المقدم عظم الثمن المستوفى بدله، فالشهيد الذي قدم نفسه باع حياته لله عوض عنها بحياة أفضل ونعيم أكمل.

فيا أيها الأخ المؤمن إنك وأمثالك من المؤمنين في هذه الحياة معرضون لألوان من الابتلاء والاختبار بخير أو بشر، بخير كالمال والصحة والولاية ليرى هل تؤدي حق الله فيما أعطيت من مال بأداء ما أوجب الله عليك فيه وتجنبيه الإنفاق منه والتعامل به المحرمين، وهل قصرت النفس حال الصحة؟ والابتلاء على المأمورات وكبحت جماحها عن ارتكاب المنكرات، وهل أدت حق الله فيما استخلفت عليه من مصالح المسلمين؟ ﴿وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. وكما يتبلى تعالى عباده بالخير يبتليهم بالشر كالمرض وتسليط الأعداء وليس ذلكم — كما أسلفت — لإهانة أو تعذيب، ولكنه لتقوية الإيمان الحق والحصول على مثوبة الصبر على البلاء كما حصل لنبي الله أيوب عليه السلام من الابتلاء بالمرض الذي بلغ به أن تخلى عنه جميع أهله؛ وأبينا إبراهيم عليه السلام من تسلط قومه

وإلقائهم إياه في النار، ولنبينا محمد ﷺ من الأذى والمضايقة والتآمر ضده. المؤامرة التي فضحها القرآن ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾؛ وماذا كان .. فأيوب كشف الله ضره وآتاه أهله ومثلهم معهم رحمة من الله وذكرى لأولي الألباب، وإبراهيم، يقول الله للنار التي أُجِّجَتْ لإحراقه: ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾، ويجعله أمة يقتدى به ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ ويجعل له لسان صدق في الآخرين، ومحمد الذي أفلت من تلکم المؤامرة الدنيئة وخرج من مكة مختفياً مطارداً يعود يطل عليها من أعلى طريق فيها فاتحاً بل يطل على الدنيا، على الأمة جميعها موجهها إلى رب واحد، وقبلة واحدة، وقيادة واحدة، ويصبح هو إمامها بما بلغها عن الله إلى يوم القيامة، بل وفرطها على الحوض وشفيعها عند الله وفاتح باب الجنة لها.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أيها المسلمون - اتقوه تقوى المؤمن الذي قال فيه ﷺ: «عجباً للمؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»، اتقوا الله وأثبتوا على إيمانكم الذي جاء من عند الله، واصبروا على ما قد تتلون به وما كلفتم به من الله، وأدوا حق الله فيما أعطاكم وولاكم ولا يطغينكم عز ورخاء أو صحة وثناء، ولا تضعفكم الأحداث والشدائد والمضايقات فما هي إلا برهة قليلة ثم يأتي فرج الله ونصره ومثوبته لمن قام بأمره، كما جاء لأيوب وإبراهيم ومحمد عليه السلام، وأتباعهم ممن ابتلوا وأوذوا في الله وستكون العقبى لاتباعهم كما كانت لهم من قبل - إن شاء الله - ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾ ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾.

أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى أن يثبت أقدامنا، وينصرنا على القوم الكافرين.

* * *

□ الدعوة إلى الله خير وسيلة لإنقاذ البشر □

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً؛ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأحمدُهُ - تعالى - وأشكره وأكبره تكبيراً؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وعلى كل من سار على نهجه ودعا بدعوته وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد - أيها الناس - إنَّ المجتمع البشريّ اليوم - وللأسف - يتجاذبه موجاتُ الحادِّ وعواصفُ تبشير، ويفتح أمامه دعاةُ الشرِّ والفسادِ سبلاً جائرةً حائدةً عن الحقِّ ومجانبةً للصواب، فلئن كان محتاجاً إلى الدعوة إلى الله وإلى سبيله العادلة، وصراطه المستقيم في كل وقت كاحتياجه إلى الماء والهواء - فإنه اليوم أحوج ما يكون إلى ذلك. فمن حائرٍ به يحتاج إلى بيان، ومن غافلٍ يحتاج إلى تنبيه، ومن مُعانِدٍ يحتاج إلى المجادلة التي هي أحسن - وإنَّ أفضلَ وسيلةٍ لإنقاذه، وأجلَّ صفة، وأحسن وسيلةٍ تُلحقُ المؤمنَ بركبِ الأنبياء، وتُحلُّه مكانةً عاليةً في عالم السُّعداء، هي دعوةُ الناس إلى الخير على هدىً وبصيرة، دعوتهم إلى سبيل الله الذي هو دينه الذي لا يقبل الله من أحدٍ ديناً سواه، دعوةٌ يزينها عملٌ صالح وقولٌ صادق، ونيةٌ حسنة، وإعلانٌ للعقيدة والحق، مهما كانت الأحوال أو قسّت الظروف. يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

فيا ورثة الأنبياء، وخلفاء الله في أرضه، وأمناءه على تبليغ رسالة نبيه إلى الإنسانية، إنَّ داعي الخير قد دعاكم إلى إنقاذ البشرية بدعوتها إلى الفضيلة، إلى البرِّ والتقى، إلى الخير والهدى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. ﴿ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير، ويأْمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾.

وإن هذه الدعوة، دعوة الناس إلى سبيل الله الذي هو دين الإسلام التي أمرنا الله بها، هي دعوة الله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام، ويَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى

صراط مستقيم». ودعوة رُسل الله عليهم الصلاة والسلام؛ ودعوة أتباع الرسل رضوان الله عليهم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي، أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ - وَاسْتَجِيبُوا لِمَا دَعَاكُمْ اللَّهُ لَهُ مِنْ دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْخَيْرِ كُلِّ بِحَسَبِهِ، فَمَا قَبِلَ الدِّينَ سَلْفًا وَظَهَرَ إِلَّا بِالْدَعْوَةِ إِلَيْهِ، وَإِظْهَارَهُ لِلْأُمَّةِ فِي أُمَّةٍ صَوْرَةً، وَأُرْوَعَ مَنْظَرَ، وَمَا خَلَدَ لِأَيِّ شَخْصٍ فِي الدُّنْيَا إِتْمَامًا أَوْ ذِكْرًا مِثْلَ مَا خَلَدَ لِلدَّعَاةِ الْإِسْلَامِيِّينَ مِنْ ذِكْرِ حَسَنٍ، وَثَنَاءٍ عَطِيفٍ، فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - اتَّقُوا اللَّهَ يَا ذَوِي الْعِلْمِ وَالْبَصِيرَةَ، بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى التَّمَسُّكِ بِتَعَالِيمِ الدِّينِ، وَالتَّحَلُّقِ بِأَخْلَاقِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ؛ دَعْوَةً مَلُؤَهَا الْإِخْلَاصُ وَحُبُّ هِدَايَةِ الْآخِرِينَ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»، دَعْوَةً مُتَمَشِّئَةً مَعَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ شعارها قولٌ صادقٌ، وَعَمَلٌ مُخْلِصٌ، وَبَصِيرَةٌ نَبِيَّةٌ، وَأَسَالِيهَا تَتَمَشَّى مَعَ أُسَالِيهِ الدَّعْوَةِ الْأُولَى، حَسَبَ حَالِ الدَّاعِيِ وَالْمُدْعَوِّ، كَمَخَاطَبَةِ الْجَاهِدِ وَالْمَعَانِدِ عَلَى ضَوْءِ: ﴿وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلِّي هُدَى، أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، ﴿قُلْ فَاتُوا بَكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وَلِيَحْذَرَ الدَّاعِيَةَ - أَوْ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَنْ يُخَالَفَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ، فَذَكَرَ رَدُّ لِقَوْلِهِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

ويقول الشاعر الحكيم:

لَا تُنْهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلُهُ

عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

ثم ليعلم أنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ لَيْسَتْ مَقْصُورَةٌ عَلَى كَلِمَةٍ تُقَالُ فِي اجْتِمَاعٍ أَوْ مِنْ مَنَبَرٍ فَحَسَبَ، وَلَكِنهَا تَرْبِيَّةٌ وَتَعْلِيمٌ، وَتَخْطِيطٌ لِقْوِيَّةِ الدِّينِ وَتَنْظِيمٌ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَبَيَانٌ وَتَنْبِيهُ، وَمُجَادَلَةٌ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَطَرَقٌ لِكُلِّ بَابٍ، وَتَسْخِيرٌ لِكُلِّ وَسِيلَةٍ: بِلَاغٌ وَأَدَاءٌ مِنْ إِذَاعَةٍ وَصَحَافَةٍ وَمَنَبَرٍ وَمَدْرَسَةٍ وَبَيْتٍ، وَبَدَايَةٌ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمُّ، فَقَدْ قَالَ ﷺ لِمَعَاذِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُواكَ لَدَيْكَ فَاعْلَمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ
وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ» .

فَإِلَى هَذِهِ الْفَضِيلَةِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، فَضِيلَةَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى كِتَابِهِ وَسُنَّةِ
رَسُولِهِ؛ إِلَى وَظِيْفَةِ الْأَنْبِيَاءِ، إِلَى خَيْرِ وَسِيلَةٍ تُلْحَقُكُمْ بِرُكْبِ السَّعْدَاءِ. قَرَأَ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ
صَالِحًا، وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فَقَالَ: هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ، وَلِيُّ اللَّهِ، هَذَا صِفْوَةُ اللَّهِ،
هَذَا خَيْرَةُ اللَّهِ، هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنا مِمَّنْ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ، وَبِهِ يَعْدَلُونَ،
وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا، وَذُرِّيَّاتِنَا قَرَّةَ أَعْيُنٍ، وَيَجْعَلَنا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، إِنَّهُ تَعَالَى خَيْرُ
مَسْئُولٍ غَفُورٍ رَحِيمٍ.

* * *

□ غربة الإسلام - فضل عمل غربائه □

الحمد لله، مُعَزَّ مَنْ أَطَاعَهُ وَاتَّقَاهُ، وَمُذَلَّ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَعَصَاهُ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ، لَا رَبَّ لَنَا سِوَاهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى وَافِرِ بَرِّهِ وَنِعْمَاهُ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَكُلِّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِدْيِهِ، وَسَلِمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا؛ وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ؛ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». وَفِي رِوَايَةٍ غَيْرِ مُسْلِمٍ: «الَّذِينَ يَصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ».

عباد الله - لقد ساق ﷺ هذا الحديث على وجه الإخبار عن الإسلام في أوائل مبعثِهِ صلوات الله وسلامه عليه، بآئِهِ ظَلَّ فِتْرَةٌ مِنَ الزَّمَنِ حَالَهُ كَحَالِ غَرِيبٍ مُشْرَدٍ - فِيمَا تَسْكُنُهُ الْأَعْدَاءُ وَالْوَحُوشُ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ، لَا يَجِدُ حَامِيًا يَحْمِيهِ، وَلَا مَوْوِيًّا يُؤْوِيهِ سِوَى مَرَارَةِ الدَّرْبِ، وَوَحْشَةِ الْوَحْدَةِ؛ ظَلَّ هَكَذَا يَبْكِي لِدُوسِ تَعَالِيهِ، وَضِيَاعِ مُثْلِهِ، وَنَدْرَةِ الْمُسْتَجِيبِ لَهُ حَيْثُ لَا يَوْجَدُ آتَاكَ إِلَّا فِي قَلَّةٍ وَنَزَعٍ مِنَ النَّاسِ، وَلَا زَالَ كَذَلِكَمْ حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَلْقَى الْإِسْلَامَ رَحْلَهُ بِكُلِّ طِمَآنِينَةٍ وَأَمْنٍ فِي قُلُوبِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وَأَخَذَ الصَّدَارَةَ الْكَامِلَةَ، وَالْقِيَادَةَ الْعُلْيَا فِي كُلِّ الشُّؤُونِ، وَأَقْبَلَ النَّاسَ عَلَى الدَّخُولِ فِيهِ أَفْوَاجًا. وَفِي هَذَا الْإِخْبَارِ الصَّادِقِ، إِنَّ النَّاسَ كَمَا دَخَلُوا فِيهِ أَفْوَاجًا فَسَيَخْرُجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ، عِيَاذًا بِاللَّهِ.

عباد الله - إن تأويل هذا الإخبار وحقيقته قد وقع، فلقد اشتدت غربة الإسلام في بلدان الإسلام وأضحت - وللأسف - رسالة الله النيرة تُطَمَسُ معالمُها وتَأْخُذُ فِي التَّقْلُصِّ وَالْإِعْتِرَابِ، بَلْ وَتُطَارِدُ أَشَدَّ مُطَارِدَةً وَتَحَارِبُ حَتَّى فِي الصَّحَارِيِّ وَكَهُوفِ الْفَلَاحِينَ. فَيَا أُنْبَاءَ الْإِسْلَامِ؛ إِنَّ مَفَادَ الْإِخْبَارِ بِغُرْبَةِ الْإِسْلَامِ وَمَغْرَاهِ الَّذِي يَهْدَفُ إِلَيْهِ وَسَيَقُ مِنْ أَجَلِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، هُوَ حُثْنَا مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَرْنَا بِأَنْ نَتَمَسَّكَ بِجِبِلِ الْإِسْلَامِ وَلَوْ أَفْلَتَهُ النَّاسُ، وَتُعْلِيَهُ وَلَوْ أَرْخَصُوهُ، وَنُدَافِعَ عَنْهُ وَإِنْ نَالْنَا أَدَى،

أَوْ سُخِّرَ مِنَّا، أَوْ وُصِفْنَا بِالْقَابِ الْعَصْرِ، الْمُفْتَرَاةَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ تَأَخُّرٍ أَوْ جُمُودٍ أَوْ رَجَعِيَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. فَاتَّمَسَّكَ بِالْإِسْلَامِ وَالِدِفَاعِ عَنْهُ هُوَ مَعَارِجُ السَّمَوِّ وَمِرَاقِي الْخُلُودِ، هُوَ التَّقَدُّمُ الْحَقِيقِيُّ وَالانْطِلَاقَةُ الصَّحِيحَةُ، لَا أَنَّ ذَلِكَ جُمُودٌ أَوْ تَأَخُّرٌ كَمَا هُوَ مَفْهُومُ الْأَذْوَاقِ الْمَعْكُوسَةِ، وَالْمَفَاهِيمِ الْمُتَحَلِّلَةِ الَّتِي لَمْ تَذُقْ طَعْمَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ تَفْهَمْ مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ أَسْرَارٍ وَحِكْمٍ، جَعَلْتَهُ صَالِحاً لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ. فَصَبِرًا وَتَمَسَّكَ يَا أَبْنَاءَ الْإِسْلَامِ، فَلَقَدْ وُصِفَ مَنْ هُوَ أَجَلٌ مِنْكُمْ بِأَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ وَأَوْذُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَلَا ذَنْبَ لَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: رَبَّنَا اللَّهُ، فَمَا وَهِنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَنُوا. فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ رَبِّكُمْ، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَاثْبُتُوا عَلَى إِيمَانِكُمْ، فَمَا - وَاللَّهِ - اشْتَدَّ بِالْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ أَمْرٌ، أَوْ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعٌ إِلَّا وَأَعْقَبَهُ يَسْرٌ وَسَعَةٌ؛ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ وَلَا تَعْتَرُوا بِكثيرةِ الْهَالِكِينَ، وَلَا بِالْمُدْعِينَ لِلْإِسْلَامِ ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ حَتَّى تَتَجَلَّى فِي أَعْمَالِهِمُ الْمَتَابَعَةُ الصَّحِيحَةُ، وَتَوْزَنَ بِمَعْيَارِ «سَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي».

وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَسُوقُ لَنَا هَذَا الْحَدِيثَ وَحَدِيثَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا»، وَحَدِيثَ: «إِذَا رَأَيْتَ شَحًّا مَطَاعًا وَهُوَى مُتَّبَعًا فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ». وَأَمْثَالُهَا، يَرِيدُ مِنَّا قَصْرَ النَّفْسِ عَنِ مَتَابَعَةِ الْأَهْوَاءِ وَإِشْبَاعِ الرِّغْبَاتِ، يَرِيدُ مِنَّا الصَّبْرَ وَالتَّمَسُّكَ وَالثَّبَاتَ عَلَى مَا كَانَ هُوَ عَلَيْهِ وَأَصْحَابَهُ الْكِرَامَ، رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمُ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَاصْبِرُوا، وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ، عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَدْوَى أَوْ مَضَايِقَةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، تَلْحَقُوا بِالْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ وَبِغُرْبَاءِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ وُعدُوا طَوْبِي وَحُسْنَ الْمَأْبِ. وَلَا تَسْتَوْحِشُوا أَوْ تَسْتَطِيلُوا الطَّرِيقَ، فَهِيَ طَرِيقٌ وَفَادَةٌ إِلَى اللَّهِ وَمَهَاجِرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ. يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ» وَالْهَرَجُ هُوَ انْتِشَارُ الْمَعَاصِي وَظُهُورُ فِتَنِ الشَّهَوَاتِ وَالشَّهَبَاتِ. وَيَقُولُ فِيمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا: «اتَّخِمُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْتَهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شَحًّا مَطَاعًا وَهُوَى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَاعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِمْ كَالْقَبْضِ

على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله». قيل:
يا رسول الله منا أو منهم، قال: «بل منكم».

أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى أن يُحيينا مسلمين ويتوفانا مسلمين، إنَّه
غفور رحيم^(١) ..

* * *

(١) يرجع للخطبة رقم ٢ - من الجزء الرابع.

□ إيداء المسلمين في مرافقهم العامة □

الحمد لله العالم بما كان وما سيكون، أحمده تعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً، عبده ورسوله، خير داعٍ إلى بذل النفع وكف الأذى، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد - أيها المسلمون - لقد دعا الإسلام أهله إلى تبادل المنافع، مالية أو بدنية، قولية أو فعلية في ظل قوله سبحانه: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾، فشرع الإعانات المالية: كالصدقة، والقرض، والضيافة، والهدية، كما شرع إعانة المظلوم في ظلامته، وإعانة الأخرق في عمله، شرع استعمال القول اللين، والميسور والمعروف في المخاطبات، وما إلى ذلك مما يُكسب الود، ويُنمي المحبة، ويُقوي الصلات بين أفراد المسلمين.

وكما دعا الإسلام إلى بذل النفع وتبادلته بين المسلمين، فقد نهى أشدّ النهي عن مضارة وإيداء أحد من المسلمين في عرض أو بدن أو مال بقول أو بفعل.

يقول عليه السلام فيما رواه مسلم عن عائشة: «من ضارّ مسلماً ضارّه الله، ومن شقّ على مسلم شقّ الله عليه». ويقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». ويقول: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يحقره ولا يخذله». ويقول أصدق قائل: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾، ويقول تعالى مُبيناً لوناً من أشدّ ألوان الأذى وأقبحها وأبشعها: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾.

فأتقوا الله أيها المسلمون، وجانّبوا الأعمال التي قد تُلحق أضراراً بأحد المسلمين، واثبتوا لهم الشيء الذي تُحبّون أن يُؤتوه لكم. واعلموا أنه لا ضرر أضّر من مضارة من له حقّ آخر، بجانب حقّ الإسلام، كالوالدين والأرحام والمجاورين

والمؤمنين، وأنه لا ضرر أبشع ولا أفظع من أعمال من يضارّ المسلمين في مرافقهم العامة، كمن يُدخِل في مجال التعليم والتأليف ما يضارّ المسلمين في عقيدتهم، أو في مجال التقنين والتنظيم ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله، أو في مجال المال والاقتصاد ما يُضايق ضعفاء المسلمين في معائشهم ومتطلبات حياتهم، أو في مجال الاجتماع ما يُسبب الإطاحة بأخلاق المسلمين ويُضَيِّع الاحتشام والعفاف، أو في مجال التوظيف والقضاء من ليس أهلاً لقيادة المسلمين، ورعي شؤونهم، وتحقيق العدل بينهم.

يقول ﷺ: «اتَّقُوا اللّاعِنِينَ؟» قيل: وما اللاعنان؟ قال: «الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم». ومفاد الحديث أن تلوّث طريق المسلمين ومضارّتهم فيها بحجر أو إلقاء قمامة أو نتن أو أحجار أو أشواك أو نحو ذلكم يسبّب لعن من فعلوا ذلك، ويغرس بغضهم في النفوس. فإذا كان هذا في من ألقى في الطريق قدرة سهلة الإزالة، فماذا سيحصل لمن ضارّوا المسلمين في عقيدتهم، وتجاكهم، وأخلاقهم، واقتصادهم، فإذا كان هذا الوعيد وهذا البغض واللّعن لمن يضارّ المسلمين في مرافقهم العامة، فما أعظم والله وأكثر، أجر وثواب من نفعوا المسلمين فيها، وما أحقّهم بالرّضا والحب والقبول. نعم - والله ما أحقّهم بذلك من الله ومن خلقه، ما أحقّهم به في الدنيا والآخرة يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدًّا﴾. ويقول تعالى مُبَيِّنًا شمول النّفع في المرافق العامّة، وخطورة الإضرار فيها: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

فاتّقوا الله أيها المسلمون، وكونوا كما يريد الله منكم: خير الناس للناس، ولا تضارّوا أمة محمد فتصبحوا شرّ الناس للناس.

أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى أن يُبارك لنا في كتابه الكريم، وأن يجعلنا من أهله: إِنَّهُ تَعَالَىٰ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

* * *

□ اللجوء إلى الله تعالى □

الحمد لله كاشف الضرِّ والبُلوي، الحمد لله الذي لا يُحمد غيره على الضراءِ والسرَّاءِ، أحمدهُ سبحانه لا مانعَ لِمَا أعطى، ولا مُعطيَ لِمَا منَع؛ وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، أمرنا بالدُّعاءِ ووعدنا الإجابةَ بعد أن نبذل أسبابها من الإيمان بالله والاستجابة لأوامره ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾؛ وأشهدُ أنَّ سيِّدنا ورسولنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد - فيا عبادَ الله - إنَّ خيرَ مقامٍ يقومه المؤمن في هذه الدُّنيا هو أن يَهْتَمَّ دوماً بما يربطه بالله تعالى، ويُقَوِّي صلته به، وأن يقوم مقاماً مخلصاً لله، وموافقاً لما جاء به رسول الله ﷺ، مقام ذوي السعي الحثيث إلى الله، مقام المؤمنين بأنَّ الله عالم محيط بكل شيء وخلق كل شيء فقدره تقديراً وعلى كل شيء قدير، وأنه لا يُخلف الميعاد، وإنَّ أعظم المقامات التي تزيد في إيمان المسلم، وتُقَوِّي عقيدته، وصلته بالله، هو مقام اللجوء إلى الله سبحانه: نعم، مقام اللجوء إلى الله الذي يحقق لمن صدق في لجوئه من المسلمين طلبه ورجاءه، عاجلاً أو آجلاً، والذي يقول وقوله الحق: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ، وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ، أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ؟ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا، وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أيها المسلمون: إنَّ في هذه الآيات القرآنية الكريمة، لأعظم ترغيب، وأصدق وعد، بل وأخطر وعيد، فيها ترغيبٌ في الاتعاظ بالبأساء والضراءِ، واللجوء حالتها إلى الله، والتضرُّع بين يديه، فيها بشارَةٌ عظمى للسائلين بصدقِ ويقين، وإنذارٌ صارخٌ للصَّادِّين، والفاضية قلوبهم، والمستكبرين.

نعم، والله إنذارٌ وتهديد، ووَعِيدٌ بالنَّارِ والصَّغارِ لِمَن لم يَلْجَأوا إلى الله حالة الحاجة، حالة الشدَّة والبأس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

فاتَّقُوا اللهَ - أيها المسلمون - وتَقَرَّبُوا إلى الله بعبادته التي خَلَقَكُم لها، وأَمَرَكم بها، ومُخَّ العِبادة ولُبَّها هو دُعَاؤُه واللجؤُ والتَضَرُّعُ إليه، بصدقٍ وإخلاص. لُجُوءٌ وتَضَرُّعٌ من بذلِ أقوى الأسباب من طاعة الله. وأنجح الوسائل فيما يُرضي الله، لُجُوءٌ وتَضَرُّعٌ من عمل بطاعة الله على نورٍ من الله، يرجو ثواب الله، لُجُوءٌ موقنٌ بالإجابة، مُؤْمِنٌ بأنَّ الله على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، وأنَّه يَعْلَمُ نِيَّاتِ السَّائِلِينَ، ويسمع لهجات الدَّاعِينَ، فلا يخفى عليه خافية.

فاتَّقُوا اللهَ باللجؤِ والتَضَرُّعِ إليه ابتداءً، وفي كُلِّ نائبةٍ أو نازلةٍ تَنْزُلُ بِكُمْ في مالٍ أو صحَّةٍ أو ولدٍ أو غير ذلك، وتَوَسَّلُوا إليه تعالى بأسمائه الحُسنى كما أَمَرَكم قائلين: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى، وصفاتك العُلا، كذا ... مِمَّا نَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ في أمر دينكم ودنياكم، وإذا دَعَوْتُمُ اللهَ فَتَجَبَّوْا مَوَانِعَ الإِجَابَةِ كَأَكْلِ الْحَرَامِ، ودَعَاءِ بِإِثْمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ. وتَحَرَّوْا أَوْقَاتَهَا وَأَحْوَالَهَا الْفَاضِلَةَ كَأَخْرِ اللَّيْلِ وَكَيَوْمِ عَرَفَةَ، وشهر رمضان، ويوم الجمعة، سَيِّمًا ما بين أن يحضر الإمام إلى أن تُقضى الصلاة، وما بين صلاة العصر وغروب الشمس، وكأذبار الصلوات؛ وما بين الأذان والإقامة، وحالة السجود، وحالة نزول الغيث؛ وحالة رقة القلب، وتفرغه وحضوره، واحذروا أن تَهِنُوا فَتَكْسَلُوا، أو تقولوا دعونا فلم يُسْتَجَبْ لَنَا، فقد روى الإمام أحمد - رحمه الله - عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل». قيل: وكيف يستعجل؟ قال: «يقول: دَعْوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي».

أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى بأسمائه الحُسنى أن يَغْفِرَ لنا ولوالدينا وللمؤمنين والمؤمنات، إِنَّه تعالى غفورٌ رحيمٌ.

* * *

□ ما لولاة الأمور وما عليهم من حق □

الحمدُ لله الذي بنعمته اهتدى المُهتدون، وبعذله ضلَّ الضالون، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ - فَيَا عِبَادَ اللَّهِ - لَقَدْ جَاءَ دِينُ الْإِسْلَامِ إِكْرَامًا لِلْبَشَرِيَّةِ وَرَحْمَةً بِهَا، جَاءَ لِيُرْتَّبَ وَيُنظَّمَ أُمُورُ النَّاسِ، مَادِيَّةٌ وَرُوحِيَّةٌ، وَيُقِيمَهَا عَلَى أُسُسٍ إِصْلَاحِيَّةٍ وَقَوَاعِدَ ثَابِتَةٍ، جَاءَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَسْبَابَ الْعَطَبِ فَيَجْتَنِبُهَا وَأَسْبَابَ النِّجَاةِ فَيَسْلُكُهَا. وَإِنَّ مِمَّا أَوْضَحَهُ وَأَبَانَهُ الْإِسْلَامُ عِلَاقَةَ الْإِنْسَانِ بِرَبِّهِ، وَعِلَاقَةَ الْإِنْسَانِ بِنَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَعِلَاقَتَهُ بِأَمِيرِهِ وَرَئِيسِهِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ، وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ والمراد بأولي الأمر كل من له ولاية شرعية، سواء كان الإمام العام، أو العالم الروحي، أو الأمير، أو الرئيس الخاص بالإنسان.

عباد الله؛ إِنَّ اللَّهَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ قَدْ أَوْجَبَ لَوْلَاةِ الْأُمُورِ الشَّرْعِيِّينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَمَا فِي مَعْنَاهَا، حَقًّا عَظِيمًا؛ بِالْقِيَامِ بِهِ تَسْعُدُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَيَسْتَتِبُّهَا الْأَمْنُ، وَيَسُودُ السَّلَامُ، أَوْجِبَهُ مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِأَسْرَارِ الْكُونِ، وَطِبَاعِ الْبَشَرِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ وَلَنْ تَصْلُحَ بَدُونَ إِمَامٍ أَوْ مَعَ إِمَامٍ مَنَازِعٍ؛ أَوْجِبَهُ حِفَاظًا عَلَى الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَرِعَايَةً، وَحِمَايَةً لَهَا مِنْ قَوَاضِي الْجَاهِلِينَ، وَطِيَشِ الْمَفْسِدِينَ، إِنَّ اللَّهَ لِيَزِعَ بِالسَّلْطَانِ مَا لَا يَزِعُ بِالْقُرْآنِ، أَوْجِبَهُ وَجَعَلَهُ طَاعَةً لَهُ سُبْحَانَهُ وَقَرَبَةً إِلَيْهِ، طَاعَةً مُؤَكَّدَةً مَعْرُوفَةً يَجِبُ الْإِيتِيَانُ بِهَا فِي الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ، وَالْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَالِاسْتِبْدَادِ، إِلَّا إِذَا أَمَرَ الْإِنْسَانَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، أَوْ فَوْقَ الْمُسْتِطَاعِ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ إِذَا لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا إِذَا أَمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»، وَإِنَّ شَيْئًا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَتَّبَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ مَصْلَحَةً عَظْمَى فِي الدُّنْيَا، وَأَجْرًا مُضَاعَفًا فِي الْآخِرَةِ، لَجَدِيدٍ بَأَنَّ يَكُونَ مَوْضِعَ رِعَايَةِ الْمُؤْمِنِ وَاهْتِمَامِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ وَلَاةِ الْأُمُورِ، وَمِنْ الدُّعَاءِ لَهُمْ، وَالتَّعَاوُنِ مَعَهُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِمْ، مَا أَطَاعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَامُوا شَعَائِرَ دِينِهِ، فَمَا نَزَعَتْ يَدَ مَنْ طَاعَهُ إِلَّا صَافِحَهَا الشَّيْطَانُ وَعَرَّضَهَا لِفِتْنَةِ عَمِيَاءٍ، وَمَوْتِ جَاهِلِيَّةِ جُهَلَاءٍ، وَالعَاقِلِ يَدْرِكُ خَطُورَةَ عَصِيَانِ الْأُئِمَّةِ الشَّرْعِيِّينَ، وَمَا تَأْتِي بِهِ مَنَازِعَتُهُمْ أَوْ الخُرُوجِ عَلَيْهِمْ مِنْ شَرٍّ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَفَاسِدٍ عَظْمَى لَا يَعْلَمُ مَدَاهَا - عَلَى الْحَقِيقَةِ - إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَتَفَادِيًا لِهَذَا الشَّرِّ، وَدِرْعًا لَهُ عَنِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، قَالَ هَادِي الْبَشَرِيَّةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، فَمِيَّتَهُ مِيَّةَ جَاهِلِيَّةٍ» وَقَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيْبَةٌ». وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعَسْرِنَا وَيَسْرِنَا وَأَثَرَةَ عَلَيْنَا، وَأَلَّا نَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ». قَالَ - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ - «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بَرَهَانٌ».

يَا عِبَادَ اللَّهِ، يَا مَنْ فِي أَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ وَلَايَةِ، إِنْ الْحَكَمَ الْعَدْلُ سُبْحَانَهُ، كَمَا أَوْجِبَ لَكُمْ حَقًّا عَلَى مَنْ لَكُمْ عَلَيْهِ وَلَايَةٌ، وَأَمْرُهُ بِاحْتِرَامِهِ وَالْقِيَامِ بِهِ، فَكَذَلِكَ أَوْجِبَ عَلَيْكُمْ حَقًّا لِمُرُوسِيكُمْ وَمَنْ فِي سُلْطَانِكُمْ، وَمَنْ تَحْتَ رِعَايَتِكُمْ، وَأَذْنِكُمْ بِمَخْطُورَتِهِ، وَعَظْمَ مَسْئُولِيَّتِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ بِقَوْلِهِ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رِعْيَتِهِ». فَاتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا اسْتَرَعَاكُمْ اللَّهُ فِيهِ، وَأَدُّوا مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقُوقِ مَرُوسِيكُمْ وَرِعَايَاكُمْ تَكُونُوا مِنْ خَيْرِ الْأُئِمَّةِ الَّذِينَ قَالَ الرَّسُولُ فِيهِمْ ﷺ: «إِنْ خِيَارَ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَحِبُّونَهُمْ وَيَحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ» وَتَتَبَعُوا عَمَّنْ عَنَاهُمْ ﷺ بِقَوْلِهِ: «وَشَرَّارَ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ».

وَإِنَّ أَعْظَمَ تَلْكَمُ الْحَقُوقِ إِقَامَةَ الْعَدْلِ بَيْنَهُمْ، وَالْإِحْسَانَ بِهِمْ، وَخَفِضَ الْجَنَاحَ لِمُؤْمِنِهِمْ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ وَيَقُولُ: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، كَمَا وَأَنَّ مِنْ حَقِّ الرَّعِيَّةِ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْوِطُوهُمْ بِالنُّصْحِ، وَأَنْ تَسْعُوا بِإِحْلَاصٍ وَجَدًّا فِيمَا يَجْلِبُ لَهُمُ النَّفْعُ، وَيَدْرَأُ عَنْهُمْ الضَّرَرَ، وَأَنْ تَتَجَنَّبُوا كُلَّ مَا يُثِيرُ نَفُوسَ أَفْرَادِ الرَّعِيَّةِ، وَيُعَرِّضُهُمْ لِلْحَقْدِ

والمنازعة كالاستئثار بالمصالح، ومعاملتهم بالشدّة والقسوة، وتكليفهم ما يُعنتهم ويشقُّ عليهم ونحو ذلكم، ممّا يسبّب بُغض الرعيّة للراعي، ويُعرّضه للمنازعة في الدنيا، وللعذاب الأليم في الآخرة. يقول ﷺ، فيما رواه البخاري ومسلم: «ما من عبد يسترعيه الله رعيّة يموت يوم يموت وهو غاشّ لرعيّته، إلّا حرّم الله عليه الجنّة». وفي رواية لمسلم: «ما من أمير يلي أمور المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح، إلّا لم يدخل معهم الجنّة».

وروي عن عائذ بن عمرو، رضي الله عنه أنّه دخل على عبّيد الله بن زياد، فقال: أي بُنيّ: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ شرّ الرعاة الحطمة، وإياك أن تكون منهم»، والحطمة: هو الشديد الغليظ القاسي، قليل الرحمة والشفقة والحنان ويقول مُستجاب الدّعوة - ﷺ - «اللَّهُمَّ مَنْ ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به». أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى أن يوفّق ولاة أمور المسلمين، وحُماة الإسلام لما فيه صلاح دينهم ورعاياهم. إنّه تعالى خير مسؤل، غفور رحيم.

* * *

□ توسيد الأمر إلى غير أهله □

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الحمدُ لله ناصرِ الأَمْناءِ المُتقين، ومُؤيدِ الأَوْقياءِ المُخلصين، أحمدهُ سُبْحانَهُ لا أُحصي ثناءً عليه، وأستغفرُهُ وأتوبُ إليه، وأسألهُ تعالى أن يجعلنا ممن إذا سمعوا القولَ عقلوه واتَّبَعوا أحسنه، وبلغوه كما سمعوه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لَهُ. قال في كتابه الكريم مُخاطباً ولاةَ الأمورِ خصوصاً، وسائرِ الأُمَّةِ عموماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. وأشهدُ أن سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدهُ ورسوله صَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أمَّا بعد - فيا عبادَ اللهِ - لَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، صَلَوَاتِ اللهُ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ، هَادِيًا وَمُبَيِّنًا لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ، أَرْسَلَهُ إِكْرَامًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، أَرْسَلَهُ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ شَرَعَ اللهُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلًا مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

وإنَّ مِمَّا جَاءَ بِهِ شَرَعَ اللهُ، وَنَادَتْ بِمِرَاعَاتِهِ وَالْإِهْتِمَامِ بِهِ رِسْلُ اللهِ تَحْرِييَ الْأَفْضَلِ وَالْأَمْثَلِ وَالْأَرْضَى لِقَوْلِهِ فِي أَمْرِ الْوَلَايَةِ أَيًّا كَانَ مِنْ إِمَامَةٍ عَظِيمَةٍ، أَوْ وَزَارَةٍ، أَوْ رِئَاسَةٍ، أَوْ إِمَارَةٍ، أَوْ قِضَاءٍ، أَوْ إِدَارَةِ أَعْمَالٍ، أَوْ نِظَارَةٍ وَقَفٍ، أَوْ إِمَامَةٍ صَلَاةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمَنْ تَتَبَعَ وَقَائِعَ التَّارِيخِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَمَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ فِي أَمْرِ الْوَلَايَةِ، عَلِمَ عِلْمًا يَقِينًا أَنَّ رَاحَةَ الْأُمَّةِ وَسَعَادَتَهَا وَاسْتِقْرَارَهَا، بَلْ وَضْمَانُ بَقَاءِ مُثُلِهَا الْعَالِيَةِ، وَمِبَادِئُهَا السَّامِيَةِ، مُتَوَقَّفٌ عَلَىٰ أَنْ يَلِيَّ أَمْرَهَا خِيَارَهَا، وَخِيَارُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَقْوَامُهُمْ إِيمَانًا، وَأَرْضَاهُمْ لِقَوْلِهِ، وَأَبْعَدَهُمْ عَنِ الْخِيَانَةِ وَالغَشِّ وَالْحَابَابَةِ، وَأَنَّ شِقَاءَهَا وَاضْطِرَابَهَا وَفَقْدَانُ الثِّقَةِ بِهَا مَقْرُونٌ بِإِسْنَادِ أُمُورِهَا، وَتَحْمِيلُ أَعْبَائِهَا إِلَىٰ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِحَمْلِهَا، وَلَا غُرُوهُ فِإِعْطَاءِ الْمَنَاصِبِ الْهَامَةِ لِأَمْنَاءِ أَكْفَاءِ أَقْوِيَاءِ، ذَوِي غَيْرَةِ لِلْحَقِّ، وَحَمَايَةِ لِلْعَقَائِدِ، وَإِخْلَاصِ لِلْأُمَّةِ، يُؤْمِنُ النَّاسُ عَلَىٰ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَمَحَارِمِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَجَمِيعِ شُؤْنِهِمْ، وَيَجْعَلُ صَاحِبَ الْحَقِّ يَطْمَعُ فِي عَدْلِ بِلَادِهِ، وَذَا الْكِفَاةَ يُخْلِصُ فِي عَمَلِهِ، وَذَا الشَّرَّ يَنْقِيعُ فِي مَكْمَنِهِ.

وإنَّ تولى مَنْ لم يُراقب الله، ولم يَعهد منه غيرَ ظاهرة للعقيدة السلفية، والأخلاق الفاضلة، أو من علم فيه ضَعْفٌ أو خَوَرٌ أو خيانةٌ أو غشٌّ أو محاباة، أو عدم اهتمام واكتراث بما أُنيط به من عمل على ثغر من ثغور أهل الإسلام، ولا سيما ما له صلة بالعقيدة كالتعليم، أو بصلب الحكم كالقضاء ونحوه.

إنَّما ذلكم غشٌّ للأُمَّة، وخيانةٌ لها، وإجرامٌ في حَقِّها، وسعيٌ في إضاعة مصالحها، بل وغرسٌ للأحقاد والضغائن والبغض في نفوس مفكرِها، وذوي الغيرة لها، إن لم تكن الطامة الكبرى وهي القضاء على مَقوماتها الروحية، ومثلها العُلْيَا؛ عياداً لِأُمَّةِ الإسلام - بالله - من ذلك.

فَاتَّقُوا الله، عباد الله لِيَتَّقُوا الله مَنِ اتَّيَمَّنَهُمُ اللهُ على شيءٍ مِنْ ثُغورِ المسلمين، فَإِنَّهُمْ بِوَلَايَتِهِمْ، صِغارُ الوَلَاةِ أو كبار، إن صَلَّحُوا وَوَفَّوا واستعملوا في مهامِّ الأمورِ الأَقْوِيَاءِ الأَمْنَاءِ، عَزَّتِ البلادُ واستقامَ أمرُها، وَعَظُمَ سُلْطَانُ وِلَايَتِها على النفوس، ومشى الناس من ورائهم سعيًّا إلى الخير، إذ إنَّ صلاحَ الوالي من أقوى العوامل في صلاح مَنْ تحته؛ فتأثيرُ الرؤساء على المرؤوسين له خطره الأكبر وأثره العظيم في حياة الأُمَّة، فالناس - كما في المثل - «على دين ملوكهم» وفي الحكم: «الوَلَاةُ كَالسُّوقِ يُجَلَّبُ له ما نَفَقَ فيه» فَإِنَّ نَفَقَ الخير عند الوالي، أَيَّا كان مقامه، سعى مَنْ حوله في فعل الخير تَأْسِيًّا به؛ وإن كانت الثانية وهي فساد الوَلَاةِ وتولية غير الأكفاء فعلى أُمَّةِ الإسلام السَّلَامِ والويل كل الويل لِقَوْمٍ تحلَّوْا بهذه الصِّفَّة. يُروى عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا على عِصَابَةٍ وفيهم من هو أَرْضَى اللهُ منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين». ويروى عن يزيد بن أبي سفيان قال: قال لي أبو بكر - رضي الله عنه - حين بعثني إلى الشام: يا يزيد إنَّ لَكَ قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكثر ما أخاف عليك بعدما قال رسول الله ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمرهم عليهم أحداً محاباةً فعليه لعنةُ الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يُدخله جهنم». وروى البخاري ومسلم عن معقل بن يسار قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعيَّةً يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»، وروى البخاري أن رسول الله ﷺ سأله رجل عن الساعة؟ فقال: «إذا ضيَّعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: ومتى تضيع؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». ويقول أصدق القائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ

والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة،
وأن الله عنده أجر عظيم ﴿٤٤﴾.

أقول قولي هذا، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينصر ولاية أمور المسلمين وأن
يصلحهم ويصلح بطانتهم ويرزقهم الأعوان المخلصين.

إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير.

* * *

□ الظلم - سوء عقابه □

الحمد لله الذي أقام بالعدل ملكوت السموات والأرض، وأعد للظالمين ظلماتٍ بعضها فوق بعض، أحمده سبحانه، لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ الآية. ويقول: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغنون في الأرض بغير الحق﴾ الآية. ويقول: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ الآية. ويقول: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾. روى الإمام مسلم - رحمه الله - عن أبي ذرٍ - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»، وقال ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

عباد الله .. هذه تعاليم ربكم وسنة نبيكم ﷺ، هذه تعاليم الله جل جلاله التي جاءت لإصلاح المجتمع البشري، وحمايته وحفظ مصالحه بوجه عام وبوجه خاص في الضروريات الخمس: الأبخار والأعراض. والأموال والأنساب والعقول تأمركم أمراً مؤكداً ومغلطاً بمحاربة الظلم، وبأن تجعلوا بينكم وبينه وقاية منيعة تحفظكم من الوقوع فيه مخبراً لكم ومؤذنة بأن الظلم ظلمات يوم القيامة، بعضها فوق بعض. تغشى الظلمة في قبورهم وفي حشرهم وفي عرصات القيامة، وفي ذلك اليوم الذي يكون فيه العادلون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلنا يديه يمين، وأما الجائزون الظالمون ففي ظلام داس يتخبطون، مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفتدتهم هواء ﴿يوم يقول المنافقون والنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾ الآية.

فاتقوا الله عباد الله واحذروا الظلم فإنه كاسمه ظلمٌ وجزاؤه وما يترتب عليه في الدنيا والآخرة من جنسه ظلام يتلوه ظلام، ولا يصدر إلا من قلب قد علته

الظلمة. فاحذروا أن يصدر منكم ظلم ولو لحیوان، ففي الحديث الصحيح: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض». ومن تأمل ما ورد في الظلم من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وجدها تحمل النهي المغلظ والوعيد الشديد والإخطار النهائي بالفناء والانقراض العاجل لدولة الظالم، ولا جرم فالظلم وخيم العاقبة شديد النكابة، يمزق أهله كل ممزق، ويبيدهم شر إبادة، يخرب الديار ويقصم الأعمار، يقول سبحانه: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾، ويقول: ﴿وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾، ويقول: ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾، ويقول: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾. يقول ﷺ: «إن الله يمهل للظالم وإذا أخذه لم يفله»، ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذته أليم شديد﴾.

وكيف لا يكون الظلم وأثر الظلم وعقاب الظلم كذلك وهو لا ينزل غالباً إلا بمن يستحقون الرحمة والعطف من الضعفاء والبؤساء والفقراء والأرامل والأيتام والمرضى والموتق والمساكين! كيف لا وهو عدو الأمن والاستقرار، عدو الطمأنينة والازدهار! فالحذر الحذر من الوقوع فيه ومن التعرض لدعوة مظلوم، فإن ناصر المظلوم والمنتقم له القاهر الذي لا يقهر هو الله سبحانه الذي يفتح لدعوة المظلوم أبواب السماء ويرفعها فوق الغمام، ويقول: «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» ورد أن خالد البرمكي لما نكب وسجن هو وابنه قال الابن: يا أبتى بعد العز أصبحنا في القيد والحبس، قال يا بني: دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها، ولم يغفل الله عنها.

وحقيقة الظلم وضع الأشياء في غير مواضعها الشرعية بتفريط في الحق أو بتجاوزه وكلاهما ظلم ومنه الشرك؛ الذي هو أعظم ذنب عصي الله به، ﴿وإن الشرك لظلم عظيم﴾، ومنه ما هو كبيرة من كبائر الذنوب متوعد فاعلوه بجهنم يصلونها، ولبس القرار. كما وأن منه ما هو ظلم للنفس كظلم الإنسان نفسه بتعريضها للعذاب والعقاب بارتكاب المنكرات واجتراح السيئات وحرمانها من اللذة الأبدية والنعيم الخالد، ومنه ما هو ظلم عام لجميع الأمة كظلمها في أموالها أو في تقاضيا أو أمنها أو أي مجال من مجالاتها، ومنه ما هو ظلم لأفراد العباد كاعتصاب أموالهم أو اختصاصاتهم والتعدي

على نفوسهم أو أعراضهم أو كراماتهم، فلقد حمى ﷺ هذه الحقوق بقوله: «إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام»، وقوله: «من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوّقه الله إياه من سبع أرضين يوم القيامة» ونحو ذلك.

فاتقوا الله عباد الله وتخلصوا من الظلم قبل أن يوقف أحدكم بين يدي أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، الذي سيقص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء؛ تخلصوا من مظالم العباد، فإن حقوقهم لا تسقط بتوبة ولا بغيرها إلا بردها إلى أصحابها مع القدرة على ذلك أو استحلالهم منها، يقول ﷺ فيما رواه البخاري عن أبي هريرة: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات، أخذ من سيئات صاحبه وحمل عليه»، ويقول فيما رواه مسلم يوماً لأصحابه: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فيئث حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم وطرحت عليه، ثم طرح في النار».

أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى أن يباعد بيننا وبين الظلم، وأن يهدي الظلمة سواء السبيل، إنه تعالى غفورٌ رحيم^(١).

* * *

(١) يستحسن أن يؤتى في الخطبة الثانية بنص حديث تفضيل بعض الأولاد على بعض. وحديث إيثار بعض الزوجات على بعض ونحوها مما يتعلق بالظلم.

□ الغلول □

الحمدُ لله الذي بطاعته يعزُّ المؤمنون وبمعصيته يذلُّ الخائنون، أحمده سبحانه وأشكره، عليه توكلت وإليه أنيب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يكرم ويغني بالحلال من استغنى به وإن قلَّ، ويهين ويعذب بالغلول دنيا وأخرى من غلَّ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين وحنَّة على الناس أجمعين، فبلغ رسالة ربه خير بلاغ، وأدى أمانة الله خير أداء، قال فيما قال مخاطباً من ولي شيئاً من مال المسلمين: «أيها الناس من عمل لنا منكم عملاً فكتمنا منه مخيطاً فما فوقه فهو غلول يأتي به يوم القيامة» فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله اقبل منى عملك قال: «ماذا؟» قال: سمعتك تقول: كذا وكذا قال: «وأنا أقوله الآن من استعملناه على عمل فليجىء بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذه وما نهى عنه انتهى» رواه مسلم. وقال: «أدوا الخيط والمخيط، وإياكم والغلول، فإنَّ الغلول خِزْيٌ على صاحبه يوم القيامة»، صَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَلَى كُلِّ مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاتَّقَى اللهُ فِي مَالِ أُمَّتِهِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عباد الله إنَّ دين الإسلام السماوي الحنيف جاء بتعليمات؛ كريمة مُثلى من سار عليها عزَّ في دنياه وسعد في آخراه، ومن تلكم التعليمات حفظُ مال المسلمين وحمايته وتحريُّ الحق والعدل في مصرفه، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ، وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

يقول بعض المفسرين في سبب نزول هذه الآية: إنَّه فقد من غنائم بدر قطيفة حمراء فقال من قال: أخذها رسول الله، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ أي ما الغلول من صفات الأنبياء ولا يكون نبياً من غل، وبعد هذه البراءة لنبية جاء

تعالى بحكم عام ﴿ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة﴾.

والغلول: هو الأخذ من فيء المسلمين أو غنائمهم قبل قسمتها، ومن ذلكم الاستئثار بشيء من موارد المسلمين أو الأخذ من بيت مال المسلمين بغير طريق مشروع، وقد فسر صلى الله عليه وسلم قول الله: ﴿يأت بما غل يوم القيامة﴾، فيما رواه البخاري ومسلم، قال: قام فينا رسول الله ذات يوم فذكر الغلول، وعظّم أمره حتى قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته بعير له رغاء فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته فرس له حممة فيقول: يا رسول الله أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته شاة لها ثغاء، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته رفاع تخفق فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ». والمراد بالصامت: النقود والأعيان.

وروى أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع رسول الله لما قيل له بوادي القرى:

استشهد مولاك أو غلامك قال: «بل يُجرُّ إلى النار في عباءة غلّها».

فأتقوا الله - عباد الله اتقوا الله في مال يتعلق به حق أرامل وأيتام ومرضى ومقعدين ونحوهم، جانبوا التحيل عليه وامتطاء الكذب وشهادات الزور للحصول على شيء منه، وإيّاكم والاعتزاز بأعمال الناس التي لا مبرر لها شرعاً، فإن ما أخذ من غير طريق مشروع سُحِّتْ وحرام، وجدير بالمسلم أن يرتفع بنفسه وأولاده عن التغذي بالحرام، فأكلة الحرام إنَّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً.

يقول صلى الله عليه وسلم: « لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام » اتقوا الله يا من ائتمنكم الله على شيء من مال المسلمين، فإنَّما هو أمانة في أعناقكم ستسألون عن مورده ومصرفه أمام مطلع على المغيبات، فاتقوا الله؛ بطاعة الله فيه وتبحري الحق والعدل في مصرفه،

وبترك الأخذ منه بغير وجه شرعي، فإن تقواه في ذلك من أقوى العوامل في رضا رعيتم وبقاء سلطانكم، وفوق ذلك كله فوزكم برضا الله عنكم؛ وإن عدم تقواه في ذلك بضياع ماله والإساءة والجور والمحابة في مصرفه، أو الاستئثار به من أقوى العوامل في غرس البغض والعمل على الإطاحة بسطان الجائر، وأشر من ذلك وأعظم هو سخط الله وغضبه، على المضيعين ماله والغالين منه والمتخذينه دولةً بين الأغنياء والمحاسبين منهم؛ يقول تعالى بعد أن نهى عن الغلول: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئس المصير﴾، ويقول ﷺ: «إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة».

أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى أن يوفق القائمين على شؤون المسلمين لما يرضيه، وأن يغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، إنه غفور رحيم.

* * *

□ نعمة الأمن □

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضاه، أحمده تعالى وأشكره، وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله - صَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أما بعد فيا عباد الله، لقد أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْنَا بنعم وأسدى علينا ألواناً من الخيرات الكبرى، وإنَّ من أَجَلِّ تلكم النعم وأشملها نعمة الأمن، نعمة الأمن التي هي ضرورة للحياة كضرورة الطعام والشراب والعافية للأبدان: نعم، ضرورة .. فلقد جاء في القرآن الكريم مقروناً بالطعام الذي لا حياة للإنسان ولا بقاء له بدونه، ولقد امتنَّ اللهُ به على عباده وجعله جزاء أوليائه ودعوة خليله. يقول سبحانه تعالى في معرض الامتنان والإهابة بالناس أن يعبدوه وحده حق عبادته ويقدرُوا نعمة الأمن حقَّ قدرها ويشكروها حق شكرها: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾، ويقول في معرض الوعد بحسن الجزاء وعظيم المثوبة: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾. ويقول مقررًا ما تمناه خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

عباد الله: لقد سبق الأمن كما سمعتم في معرض الامتنان منه سبحانه، لعلمه الكامل بعظم شأنه وضرورة الناس إليه، وأنه لا غناء لأي مخلوق أو لأي نفس رطبة عن الأمن مهما عزت في الأرض أو كسبت مالا أو شرفاً أو رفعة. فلن يتمتع معافى بعافيته وهو غير آمن، ولن ينعم آكل طعام بطعامه وهو غير آمن، ولن تنام عين غير آمنة، ولن يستريح أو يستقر ضمير خائف أو بال مزعزع. كلا يا عباد الله، فلا راحة ولا هدوء ولا اطمئنان أو استقرار بدون أمن، ففي رحاب الأمن وظله يأمن الناس على أموالهم ومحارمهم ويسرون ليلاً ونهاراً لا يخشون إلا الله. في رحاب الأمن وظله تعم الطمأنينة النفوس ويسودها الهدوء وترفرف عليها السعادة، وتؤدي الواجبات باطمئنان من غير خوف هضم أو حرمان، يقول ﷺ: «من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت

يومه وليته، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

عباد الله - إن الله جلت قدرته تفضلاً منه وإتماماً لنعمه علينا، قد شرع لنا من الشرائع وحدّ من الحدود ما فيه - إذا طبق بعدل وإخلاص - حمايةً لأنفسنا من الفوضى والاضطراب، فقد وضع سبحانه أقصى العقوبات وأنكأها لكل من يزعزع الأمن ويخيف المسلمين، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

من هذه النصوص وأمثالها يعلم أن أمن المسلمين حمى الله في أرضه، وأنه تعالى أمر بتوطيده ونشره بين عباده، فمن حاول الإخلال بالأمن أو عمل ما يخيف المسلمين أو يقلقهم من ارتكاب الجرائم الخلقية أو أخذ أموالهم أو ضياع حقوقهم، وخيانة مصالحهم، فقد حادّ الله وحاربه في أرضه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واشكروا نعم الله، اشكروا ما أنعم الله به عليكم من نعمة الأمن، اشكروها بالمحافظة على الأمن وبمحرابة كل أمر ينال منه، بمحرابة الفساد ومجانبة ما فيه ضرر على العباد، بمجانبة كل ما يخيف المسلمين أو يفزعهم ويروعهم، فقد روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً».

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من أخاف مؤمناً كان حقاً على الله ألا يؤمنه من أفراع يوم القيامة».

أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى أن يؤمننا في أوطاننا وأن يوفق خدماً أمننا وحماته للإخلاص، وأن ينزل الرعب والقلق في قلوب من أخافوا المسلمين وأقلقوهم، وأن يبارك لنا في كتابه الكريم، وأن يغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، إنه غفور رحيم.

* * *

□ أخطار الفتن وعلاجها □

الحمد لله الذي حرّم الفساد ونهى عن كل ما يثير الفتن والأحقاد.

أحمده سبحانه وأسأله أن يعيذ المسلمين من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله حذرنا من إثارة الفتن بقوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الذين نشروا العدل والأمان وقضوا على عوامل الفتن بخالص النية وصادق الإيمان، وعلى كل من اقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فيا عباد الله إننا اليوم لفي عصر أخذت أمواجه تتلاطم بألوان الشرور، واندلعت فيه على المسلمين موجات فتن وزور، فتن تترى، وشرور ومصائب تتوالى وتقلبات وتغيرات تأخذ بالناس إلى الوراء في عقائدهم وأفكارهم وأخلاقهم وأمنهم عياداً بالله، فكثيراً ما تتعاطم فتنة تظهر ولم تلبث أن تصغر في أعيننا لعظم ما تلاها، فإننا لله وإنّا إليه راجعون.

وإن الفتن - وقى الله المسلمين شرها - لذات خطر كبير وشر مستطير تهلك الحرث والنسل وتأتي على الأخضر واليابس، تُذل الأعداء وتفقر الأغنياء، وتخير العقلاء، وتفرق الأسر وتمزق العوائل، وترمل النساء وتيمم الأطفال، وتُسيل أنهار الدماء، وتنزل الويلات والنكبات بمجتمع تغشى فيه «رحمك يا رب»، ولا غرو، فالفتنة والله نار عظمى شديدة الضرام، جائرة الأحكام، نار وقودها الأنفس والأموال، ومصير أهلها ومآلهم عياداً بالله شر مآل، موقظها ملعون، ومؤججها متوعد بالطرد والإبعاد عن رحمة الله والعذاب والذل والهون، وكثيراً ما يكون القاتل والمقتول فيها في النار.

فيا أيها المسئولون والعلماء والإخوة المسلمون إن التواني والتراخي في إخماد الفتن، وقد جدّ جدّ أهلها وقدح زناد إشعالها لغفلة ما بعدها غفلة، وتساهل وتفريط ما بعده تفريط، فحرام أن نرى بوادر الشر تندلع فيشتد استفحالها ما بين آونة وأخرى، ونغالط أنفسنا مع هذا ونشتغل بمتابعة وبيان أخطاء غيرنا في وقت

نحن أحوج فيه إلى الاهتمام بإصلاح عيوبنا وتلافي أخطائنا ودرء الشرور والأخطار والفتن المحدقة بنا، فلقد وعظتنا مواعد القرآن، وأذرتنا حوادث الزمان، وأقيمت علينا حجة الله وحجة أهل دينه، بأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها.

فإلى متى هذه المغالطة لأنفسنا نبين أخطاء الناس ولا نبين لأنفسنا أخطاءها ونلزمها بإصلاحها على حين قدرة منا؛ إلى متى أيها العلماء؛ أيها المسئولون، إننا إن لم نتق الله تقوى صادقة خالية من التأولات، رؤساء ومرؤوسين، علماء، وغير علماء ونتعاون على إطفاء الفتن بجميع ألوانها لحرثيون بالعاقبة السوداء، والنهاية المؤلمة - لا حول ولا قوة إلا بالله - وقانا الله والمسلمين، وحماة الإسلام شر ذلك. يقول سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

فاتقوا الله - أيها الإخوة المسلمون - وجانبوا الفتن، واحذروا أن تكونوا ممن يثيرها أو يتعرض لها أو يميل إليها فتنصب عليكم. ويقول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه».

فاحذروا الفتن بالحذر من أسبابها وحاربوها بالقضاء على أسبابها وترك ما قد يثيرها، حاربوها قبل أن يستفحل أمرها ويعظم شأنها.

حاربوها بإصلاح الأخطاء التي قد تبعثها، وبسد الثغرات ومواطن الضعف التي قد تدخل منها.

حاربوها بغزو القلوب بالأعمال الصالحة، وبتطبيق تعاليم الإسلام الغراء ومثله العالية بصدق وإخلاص، تطبيقاً تظهر آثاره في كل مجال من مجالاتكم.. فهو دواء ما أصبنا به من داء، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها.

أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى أن يبارك لنا في كتابه الكريم وأن يجعلنا من أهله، وأن يغفر لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات؛ إنه تعالى غفور رحيم.

* * *

□ آثار الأعمال السيئة □

الحمد لله الذي نور قلوب المؤمنين بنور الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفرَ والفسوق والعصيان، أحمده سبحانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد - فيا أيها الناس؛ لقد أنزل الله القرآن الكريم على أشرف رسول وأكرم إنسان هدىً ونوراً وبيّنات من الهدى والفرقان، فيه آيات بيّنات وسبل واضحات من اتخذها إماماً وقائداً سعد في دنياه وفاز في أخراه ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾، ومن أعرض عنه ضلّ في دنياه وشقي في أخراه: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإنّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾.

ولقد أنزل تعالى في هذا القرآن الكريم: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾، ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾.

أيها المسلمون، لقد أُنذرت هاتان الآيتان وما في معناهما من كتاب الله إنذاراً صارخاً من عواقب الذنوب وشؤم العصيان، وأعلّنت لكم بوضوح بأن ما أصيبت به أي أمة من تاجر أقدرة وموت قلوب وتفكك صلات وفشل في قيادة أو سياسة ونحو ذلكم كانتزاع بركة أرزاق أو مياه وأمطار، إنما ذلكم من جرّاء العصيان وشؤم الأعمال السيئة، فالله سبحانه وتعالى لا يغيّر ما بقومٍ من نعمة بنقمة أو عافية، بلاء أو غنى بفقر أو أمن بخوف، أو سرور بحزن، أو عزّ بذلّ حتى يغيّروا ما بأنفسهم فيبدّلوا الشكر بالكفران، والطاعة بالعصيان، تلکم سنّة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تلك تديلاً. ﴿إنّ الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾، وفيما قصّه الله علينا في كتابه الكريم عن مصير قوم نوح، وقوم هود،

وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب، ومكذبي موسى، وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، في هذا كله أقوى دليل، وأكبر رادع وأعظم وإعظ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ولذا قال تعالى بعد قصصهم ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ، وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾.

فاتقوا الله - عباد الله - واحذروا محارم الله فإن لها حامياً غيراً يراقب السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، احذروا المعاصي فإن ضررها على الأفراد والمجتمعات لأشد وأعظم من ضرر السموم على الأجسام. وإنها لتخلق في نفوس أهلها التباغض والعداء، وتنزّل في قلوبهم وحشة وقلقاً لا يجتمع معهما أنس أو راحة، وظلمة وجهلاً لا يجتمع معهما نور أو علم روحي، يقول تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «إن للحسنة ضياءً في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الناس، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القبر والقلب ووهناً في البدن ونقصاناً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق». ولما جلس الإمام الشافعي إلى مالك رحمهما الله ليأخذ عنه شيئاً من العلم أعجب مالك بذكاء الشافعي وفطنته وفهمه فقال له: «إني أرى الله قد ألقى في قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية» من هذه الآثار وما تقدمها من نصوص يدرك العاقل ومريد النجاح، يدرك ذوو الصدارة والقيادة والوجاهة أنّ للمعاصي خطراً كبيراً على قلب الإنسان وعلمه وأمنه، ومعيشته ومكانته في نفوس البشر، وأنها من أقوى الأسباب في نفرة الناس من صاحبها وانتزاع حبه من نفوسهم، بل وهوانه عليهم ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾.

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وجانبوا المعاصي تسلموا من أخطارها، ولوذوا بحمي الطاعة واستظلوا بظل العبادة فإنها لحصن المؤمنين ومتعة قلوبهم ولذة أرواحهم التي لا يعادها أي متعة أو لذة سوى متعة ولذة الجزاء لأنها متعة خدمة رب العالمين ولذة الوقوف بين يدي أحكم الحاكمين ولذا كان ﷺ ما خرج من طاعة إلا ودخل في طاعة أخرى ليبقى دوماً موصولاً بربه بطاعته إياه. يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرَمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ

ومن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا. قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جَنَّاتٍ عدنٍ تجري
من تحتها الأنهارُ خالدِينَ فيها وذلك جزاءٌ من تَزَكَّى ﴿٥٧﴾
أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى ألا يزيغ قلوبنا، وأن يعاملنا بعفوه وأن
يستعملنا في طاعته. إنه تعالى غفور رحيم.

* * *

□ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً □

الحمد لله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تطهرون، أحمداً اللهم وأعوذ بك من نزغات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون، وأشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدك ورسولك، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

أيُّهَا النَّاسُ - إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْهَى عَنِ الْاِغْتِرَارِ بِالشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ، وَيَقْرُرُ تَعَالَى عِدَاوَةَ الشَّيْطَانِ لَكُمْ وَيَأْمُرُكُمْ بِأَنْ تَتَّخِذُوا الشَّيْطَانَ عَدُوًّا كَمَا أَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ لَكُمْ عَدُوٌّ، عَدُوٌّ لِدُودٍ، ظَاهِرُ الْعِدَاوَةِ بَيْنَهُمَا، وَعِدَاوَتُهُ لَيْسَتْ كَأَيِّ عِدَاوَةِ فَهِيَ عِدَاوَةُ عَرِيْقَةِ الْجَذُورِ بَعِيدَةِ الْمَدَى دَقِيقَةِ الْأَسَالِيبِ الْعَظِيمَةِ الْفَعَالِيَةِ، فَهُوَ يَجْرِي مَعَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَلَقَدْ نَادَتِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الْكَثِيرَةَ بِمَعَادَاتِهِ، وَعَصِيَانَهُ وَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْهُ، ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبُوبِكْرٍ مِنَ الْجَنَّةِ﴾، ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ. إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، ﴿وَلَا يَصْدَنُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، وَلَا غُرُورٌ أَنْ تَكْثُرَ الْآيَاتُ فَمَا أَنْزَلَتْ الشَّرَائِعَ وَمَا أَرْسَلَتْ الرُّسُلَ إِلَّا لِانْتِشَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ بَرَاثِنِ الشَّيْطَانِ وَتَخْلِيصِهَا مِنْ شَرِكِهِ، فَكَمْ لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَعَبَّرَ التَّوَارِيخُ مِنْ صَرِيحٍ وَأَسِيرٍ، كَمْ وَكَمْ! وَلَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى ذِكْرِ أَدَلَّةٍ أَوْ سَرْدِ وَقَائِعٍ، فَكَلْنَا نَعْلَمُ وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيْطَانَ مَصْدَرُ شَقَاوَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ وَأَنَّهُ أَصْلُ كُلِّ رَذِيلَةٍ وَشَرٍّ فِي الدُّنْيَا مِنْذُ أَنْ أُنْزِلَ إِلَى الْأَرْضِ، إِلَى أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَثْوَاهُ الْأَخِيرِ، يَقْدَمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدُهُمُ النَّارَ وَيَسُّ الْوَرْدَ الْمُرُودَ، وَلَقَدْ بَدَتْ عِدَاوَةَ الشَّيْطَانِ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ بِأَبُوبِكْرٍ فَأَخْرَجَهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ دَارَ اللَّذَّةِ وَالنَّعِيمِ إِلَى دَارِ الْآلَامِ وَالْأَحْزَانِ، وَإِنَّهُ لَا يَزَالُ وَلَنْ يَزَالَ يَسْؤُلُ لِدْرِيْتِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَيَعْدُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ ﴿وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ نَعَمْ، لَا يَزَالُ بِالْإِنْسَانِ حَتَّى

يورده موارد العطب ويصدره مصادر الهلاك، ثم يسلمه، ويأخذ يشمت به، فهو صاحب الراهب الذي كان يتعبد منعزلاً عن الأمة ولا زال به حتى أوقعه في الزنا بامرأة، فلما حملت منه أمره بقتلها، فلماً فعل دلَّ أهلها عليه، ثم أمره بالسجود له ووعدته تخليصه إذا هو سجد، فلما سجد للشيطان تبرأ منه كما في قول الله تعالى: ﴿كَمِثْلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ وهو صاحب قريش الذي تمثل لها بكبير قوم هو سراقه بن مالك لما كادت تتراجع في حادثة بدر وقال مغرراً بهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ حتى أوصلها مصارعها ثم نكص على عقبيه وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

فيا أيها المسلمون - لم يعد الأمر خافياً على ذي لب، فقد وضح السبيل وأقيم الدليل، فاتقوا الله وامثلوا أمر الله بانخاذ الشيطان عدواً وبحماية نفوسكم منه بالتحصن بطاعة الله والسعي في مرضاة الله، فما هو إلا معصية الشيطان والجنة، أو طاعته والنار ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، فالحذر الحذر أيها المسلمون من الانخداع بوساوسه الكاذبة، وأمانيه الخادعة، فما أبرزت لكم أعماله السيئة وألوان وقائعه في أقبح صورة وأوضح بيان إلا لتكونوا منه في يقظة وحذر تامين في شتى شئونكم، ولا سيما عند تحركات القلب وإرادة الخير، يقول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «يضرب الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة مكانها: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان».

فاتقوا الله - أيها المسلمون - واستعينوا على معاداة الشيطان بالاستعاذة بالله منه كثيراً، استعاذةً مليئةً باللجوء إلى الله وصدق العوذ به تعالى ولا سيما فيما شرعت فيه الاستعاذة، كإرادة قراءة القرآن. ودخول المسجد، وعند الصباح والمساء والنوم ومواقعة الأهل، وتأكيد الاستعاذة بالله عندما تخطر للمسلم خاطرة

شر أو يصيب منه الشيطان شيئاً، يقول سبحانه: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغُوكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

أقول قولي هذا، وأسأل الله أن يبارك لنا في كتابه الكريم وأن يجعلنا من أهله،
إنه تعالى حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

□ الكبير - أضراره - التواضع □

الحمد لله الكبير المتعال، أحمده سبحانه له العزة الكاملة، والجبروت والكبرياء والجلال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعتت له الوجوه، وخضع له كل شيء ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾ وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أول مصدق ومنقاد لما أنزل الله عليه ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، الذين هم أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وعلى كل من اقتفى آثارهم، واتصف بصفاتهم إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ ويقول عن لقمان في وصيته لابنه: ﴿ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾.

عباد الله، ينهى الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين وما في معناهما من كتاب الله، وسنة رسوله، عن تصغير الخد وعن المرح في الأرض. وتصغير الخد عبارة عن إمالة الإنسان خده والإعراض به عن الناس تعاضماً وإعجاباً بنفسه، وتكبراً وتعالياً عليهم. والمرح هو تبختر الإنسان وتمايله في المشية وتطاوله على الناس وتعاضمه عليهم بشيء ما أوتيته من مقدرات حسية، كإل أو منصب، أو معنوية، كنسب أو شيء من علم، ويخبر سبحانه بأن الله ﴿لا يحب كل مختال فخور﴾.

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وتجنبوا الكبير والإعجاب فإنَّهما مصدر التصغير والمرح اللذين نهي عنهما، فاجتنبوهما ودواعيهما، فإنَّ ذلكم لمن أشر الأدواء خطراً وأقبحها أثراً على الإنسان في دنياه وأخراه، فما من شر في الإنسانية إلا وللـكـبر فيه أثر، إذ إن الكبر مصدر شقاء الإنسانية ومنشأ ضلالها، فقد أمر الله سبحانه إبليس بالسُّجود لآدم قبل أن يوجد في الدنيا سيئة، فأعجب إبليس بعنصره الذي هو النار، ومنعه إعجابُه بنفسه وكبره من السجود فحققت عليه لعنة الله تترى إلى يوم القيامة.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - يا قوم - واحذروا أن تعجبوا بطيب عنصر أو عرابة أصل،
أَوْ يَعْلَمَ أَوْ عَقْلًا، أَوْ سَمِعَ أَوْ بَصَرَ، أَوْ قُوَّةَ أَوْ مَالًا أَوْ جَمَالَ، فَأَيْلِسَ لَعْنَهُ اللَّهُ،
ذُو عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ، وَلَمَّا أَعْجَبَ بِنَفْسِهِ وَاسْتَكْبَرَ أَصْبَحَ قَائِدًا مَنِ اتَّبَعَهُ إِلَى النَّارِ،
وَلَا غُرُو - وَاللَّهُ - فَمَا خَالَطَ الْإِعْجَابُ نَفْسًا عَالِمَةً إِلَّا وَأَضَاعَ عِلْمَهَا وَحَالَ بَيْنَهَا
وَبَيْنَ فَهْمِ الْحَقِّ وَمَعَالِمِ الْهُدَى. يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا﴾ وَكَفَى
مَنْ أَعْجَبُوا وَتَكَبَّرُوا إِثْمًا وَشَرًّا أَنْ إِمَامَهُمْ وَقَائِدَهُمْ فِي ذَلِكَ إِبْلِيسَ لَعْنَهُ اللَّهُ وَفِرْعَوْنَ
وَقَارُونَ وَأَمْثَلَهُمْ، وَأَنْ مِنْ عَمَلٍ عَمِلَ قَوْمٌ حَرِيٌّ أَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ، وَحَرِيٌّ أَنْ يَعْذَّبَ
بِمَثَلِ مَا عَذَّبُوا بِهِ، نَعَمْ وَاللَّهُ حَرِيٌّ بِذَلِكَ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي قَارُونَ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ
الْأَرْضَ﴾ وَقَالَ رَسُولُ الْهُدَى - ﷺ - فِي مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي
حَلَّةٍ تَعْجَبُهُ نَفْسُهُ مَرَّ جِلَّ رَأْسِهِ يَخْتَالُ فِي مَشِيَّتِهِ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ
فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». وَأَكَلَ عِنْدَهُ رَجُلٌ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: «كُلْ يَمِينِكَ» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ
فَقَالَ: «لَا اسْتَطَعْتُ» مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - واحذروا الإعجاب والتكبر فإنه لو حيم العاقبة
شديد النكاية، ما دب في مجتمع إلا وأضاعه، ولا في قوة إلا وحالفها الذل
والفشل، حتى ولو كانت مسلمة مصلية مزكية صائمة فأصحاب رسول الله ﷺ
لما أعجبوا بكبرتهم يوم حنين ابتلوا بالهزيمة والفشل، ولم تنفعهم كبرتهم، يقول تعالى:
﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحِبْتُمْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾، فَاجْتَنِبُوا التَّعَاطُمَ وَالْكَبْرَ وَالْإِعْجَابَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ
- فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ لِمَخْلُوقٍ ضَعِيفٍ مُفْتَقِرٍ إِلَى غَيْرِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، إِثْمًا هُوَ لِمَنْ
فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَجَمِيعِ الْخَلْقِ مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ. يَقُولُ تَعَالَى فِي
الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ: «الْكِبْرُ رَدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي
وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ». وَقَالَ ﷺ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عَتَلٍ
جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ..» رَوَاهُ الشَّيْخَانُ. وَقَالَ فِي مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ
فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» وَحَقِيقَةُ الْكِبْرِ كَمَا قَالَ رَسُولُ الْهُدَى - ﷺ -:
«بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ» بَطَرُ الْحَقِّ بِمَعْنَى رَدِّ الْحَقِّ؛ وَغَمَطُ النَّاسِ بِمَعْنَى احْتِقَارِهِمْ

واستصغارهم، فاحذروا أن تردوا حقاً أو أن تغمطوا مسلماً، فتقعوا في الكبر. واحذروا أن تنظروا إلى أنفسكم نظرة إكبار وتعظيم وكال، وإلى غيركم نظرة ازدراء واحتقار. يقول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخِرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»، ويقول: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله». وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر فقال: أيها الناس تواضعوا، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تواضع لله رفعه الله». وقال: انتعش نعشك الله، فهو في أعين الناس عظيم وفي نفسه صغير، ومن تكبر قصمه الله، وقال: اخسأ، فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير، ويقول خير قائل وأصدق: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى أن يعيدنا من الكبر ودواعيه، وأن يرزقنا التواضع له سبحانه، وللمؤمنين في غير منقصة، إنه تعالى غفورٌ رحيم.

* * *

□ تحريم الزنا - سوء أثره □

الحمد لله، عالم السرّ والنجوى، المطلع على الضمائر وكل ما يخفى؛ أحمدته سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد - فيا عباد الله - إن واجب كل مؤمن أن يسعى دوماً في تقوية إيمانه باجتناب ما نهى الله عنه جملة وتفصيلاً، وفعل ما استطاع مما أمر الله به، وإن من أقبح ما نهى الله عنه سبحانه صراحة وبأسلوب في غاية الشدّة والزجر وعبارة تقشعرُّ منها جلود الذين يخشون ربهم، ويخافون يوماً كان شره مستطيراً، مقارفة الزنا ومقدماته، معللاً ذلك ومخبراً عنه بأنه عمل إجرامي فاحش متناهٍ في القبح والفحش والشناعة، فقال جلّ وعلا: ﴿ولا تقربوا الزنا إنّه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾.

عباد الله، نهت هذه الآية الكريمة عن قربان الزنا، ويشمل هذا النهي فعل الفاحشة الشنعاء حقيقة، ويشمل مقدماته التي هي وسائل وطرق مؤدية إليه؛ ومن تأمل نصوص الشريعة الغراء، وجد أنها حرّمت الزنا تحريماً باتاً بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، بل وسدّت كل طريق يوصل إليه، فحرّمت خلوة الرجل بامرأة ليس لها بحرم، وحرّمت لمس من لا يحل من النساء، ومتابعة النظر فيها برغب وتلذذ وارتياح، وحرمت استماع ما فيه خضوع ولين من أصوات النساء وأشبه النساء. وما هذا التحريم للزنا، وما هذه العناية بقطع الطرق والأسباب التي قد توقع فيه إلا رحمة بالإنسانية وحفاظاً على المجتمعات وإبقاء على الأفراد من مغبة الزنا ووخامته وشر عقباه، ففيه من الأمراض الخلقية والاجتماعية والصحية والأضرار ما يكفي أقلها لتحريمه، والابتعاد عنه، إذ أنه مدعاة لضياح الأنساب واشتباهاها، وربما أدّى - عياداً بالله - إلى أن يتزوج الرجل بذات محرّم له في باطن الأمر، مدعاة لغرس الأحقاد والتباغض والتنازع وسفك الدماء، مدعاة لاختلال نظام الأسرة، ولا سيما بين الزوجين اللذين أراد الله منهما أن يتعاشرا بالحسنى والمعروف، مدعاة لهتك الأعراض وتلوّث الأسر وكساد النساء، مدعاة لخلق الأمراض المعدية من

زهري وسيلان ونحوهما، كما قرر ذلكم الأطباء. نعم والله، مدعاة لذلك وأشر منه فكم من مروءة وفضيلة وأدها، وعفاف واحتشام قضى عليهما، لذا وغيره من أضراره الخطرة وشَرُّه المستطير جاءت الحكمة الإلهية بتحريمه كما تقدم وحاربه الشرائع السماوية منذ القدم ووضعت لمرتكبيه أقصى العقوبات والدينوية من قتل وجلد وتشريد بحسب حال الزاني من إحسان وغيره. كما وإنما توعدت الزناة بألوان العذاب المضاعف في الآخرة فقال تعالى بعد أن ذكر معاصي آخرها الزنا ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً مضاعفاً له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب﴾.

فاتقوا الله - أيها المسلمون وابتعدوا عن حمي الله فإن حماه محارمه وإنه ليغار لها ولا أحد أغير من الله أن يزي عبده أو أمته، احذروا مقارفة الزنا فإنه عار في الدنيا ونار في الآخرة.

احذروا فإن لكم عواقب ومحارم وفي الأثر «عِفُوا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ» ولا غرو فإنَّ الجزء من جنس العمل.

عباد الله: هل يجزؤ أحدٌ لديه مسكة من عقل وإيمان على ارتكاب جريمة الزنا وقد سمع ما ورد فيه من وعيد.

روى البخاري - في حديث منام النبي ﷺ عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال: «فانطلقنا، فأتينا على مثل التور أعلاه صفيق وأسفله واسع فيه لفظ وأصوات قال: فاطلنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة فإذا هم يأتهم هب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا، أي صاحوا من شدة حره فقلت: من هؤلاء يا جبريل، قال: هؤلاء الزناة والزواني». فمن الذي يرضي لنفسه أن يعرضها لهذا العذاب أو أن يدينها من جريمة تهدر دمه. يقول ﷺ: «لا يجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

فمن الذي يرضى أن يعرض نفسه لهذا أو أن يبيع دينه وعرضه، وشرفه وكرامته، أو يلطخ ذلك بشهوة بهيمية قصيرة.

روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزي الزاني حين يزي

وهو مؤمن» وفي حديث آخر، «إن الإيمان يخرج من صاحبه عند مباشرته للزنا». فاتقوا الله عباد الله واحفظوا فروجكم وعضوا أبصاركم فقد قال نبيكم ﷺ فيما رواه الحاكم والبيهقي «يا شباب قريش .. احفظوا فروجكم، لا تنزوا، ألا من حفظ فرجه فله الجنة» وقال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذيه أضمن له الجنة».

فاتقوا الله، وراقبوا ربكم فإنه لا أجهل ولا أحمق ممن يبارز الله بالمعصية في حين احتياجه إليه وعلمه أنه مطلع عليه واستغفروه تعالى وتوبوا إليه إنه غفورٌ رحيم.

* * *

□ أخطار اللسان □

الحمد لله، ذي العرش المجيد، الفَعَال لما يريد، أحمدته تعالي وأشكره، وأسأله أن يهدينا إلى الطيب من القول وإلى صراط الحميد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، ذو الصدق والوفاء، والقول السيد صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد - فيا عباد الله - اتقوا الله، واعلموا أن الله وهب لكم آلة عظيمة وجارحة لها ما لها من خطر وأثر فعّال على الإنسان في الحال والمآل، هذه الجارحة أو الآلة هي: اللسان، الذي تستجير به جميع الأعضاء ويقلن له: اتق الله فينا فإنما نحن بك إن استقمتم استقمنا وإن اعوججت اعوججنا. ولقد قال العالم بخطرته الذي لا ينطق عن الهوى لما طلب منه معاذ رضي الله عنه أن يدلّه على عمل يقربه من الجنة ويباعده من النار، قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً» وذكر له أركان الإسلام وأشياء من شعائر الدين ثم قال له: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ كفّ عليك هذا»، وأشار إلى لسانه فقال معاذ: «إنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «ثكلتك أمك وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم». وبهذا يعلمنا الرسول ﷺ أن حفظ اللسان وضبطه هو منشأ كل خير وأصل كل فضيلة وملاك جميع آداب الدنيا والدين، فمن ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه يقول ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» ويقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» ويقول: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» متفق عليه. ويقول فيما رواه أحمد عن أنس رضي الله عنه: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»، واستقامة اللسان بقول الحق دائماً وتجنّب قول السوء. ومن أطلق لسانه وأضاعه فقد أضاع أمر دينه ودنياه وأضحى متوعداً بجهنم يصلها وبئس القرار، ولا جرم فإن معاصي اللسان يدخل فيها أعظم ذنب عصي الله به وهو الشرك بالله، يدخل فيها قرين الشرك

وهو القول على الله بغير علم، يدخل فيها قول الزور وشهادة الزور التي عدلت أو كادت أن تعدل الإشراف بالله، يدخل فيها الكذب والغية والتميمة والقذف والسباب وما إلى ذلك من أقوال السوء المحرمة المنافية للدين والآداب.

فاتقوا الله - أيها المسلمون - واحفظوا ألسنتكم فإنها لأخطر شيء عليكم فيما بينكم وبين الله وفيما بينكم وبين الناس، يقول ﷺ في الحديث الصحيح: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» ويقول: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه». فتثبتوا فيما تريدون أن تقولوه، ولا تطلقوا الأقوال بدون تروٍّ وحساب لما يترتب عليها دنياً وأخرى .. فإنه وإيم الله ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ فمن يمين كل إنسان ملك يكتب الحسنات وعن شماله ملك يكتب السيئات، وإن الله سيسأل كل إنسان عما لفظه من قول سيء، وسيشهد عليه سمعه وبصره وفؤاده بما لفظه من قول سيء، في يوم لا ينفع فيه تأويل ولا ملفق الأعذار والأقاويل. يقول سبحانه: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ وإن أخطر الأقوال بعد الشرك بالله القول على الله بغير علم، كمن يقول هذا حرام وهذا حلال وهذا سنة وهذا بدعة وهذا حق وهذا باطل ونحو ذلك ولا برهان عنده من الله ولا من رسوله في ذلك.

يقول سبحانه: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون؛ متاع قليل وهم عذاب أليم﴾.

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وتأدبوا بآداب الإسلام تنجوا وتسعدوا وتفوزوا ويتحقق لكم وعد الله في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾.

أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يقينا شر أنفسنا،

وأن يبارك لنا في كتابه الكريم وينفعنا فيه، إنه تعالى خير مسئول؛ غفور رحيم ..

في الخطبة الثانية:

أيها الأخوة هناكم ظاهرة تسود كثيراً من المجالس التي المطلوب فيها أن تكون في ذكر الله أو تعليم علم نافع أو أمر مباح على الأقل ألا وهي: التسارع والتسابق في القول بل والتغالب على السيطرة فيه من كثير من أهلها إظهاراً للمقدرة والاطلاع بإسماع أو سماع مالا فائدة فيه مما قد ينافي كمال الإيمان المطلوب أو ينقصه ويشوهه من قول أو سماع لغو القول. قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يغيض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها» الجامع ٤٨٠٧. والذم هنا لمن يستعمل ما من الله به عليه من بلاغة وبيان في باطل والأجدر باللقاءات الإسلامية وبالأفراد الإسلاميين أن يترفعوا عن مثل هذه الأشياء، قال عمر بن الخطاب الخليفة الملهم رضي الله عنه: «من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به» جامع العلوم والحكم. وقال الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع». وقال في لفظ آخر: «بحسب امرئ من الكذب أن يحدث بكل ما سمع» رواهما مسلم وقال فيما روي عنه في سنن أبي داود: «بئس مطية الرجل زعم». وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم رحمه الله: «إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات وواد البنات ومنعاً وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

* * *

□ عوامل موت القلوب وحياتها □

الحمد لله مقلب القلوب والأبصار، أحمده سبحانه، وأسأله الاستقامة والادِّكار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيِّدنا ونبيِّنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد فيقول - ﷺ -: «ألا وإنَّ في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي: القلب». عباد الله، هذا إخبار من الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه سيق لتوجيهنا نحن المسلمين وحثنا على حفظ قلوبنا وحمايتها ووقايتها من الأخطار، وإنَّ شيئاً هو مصدر سعادة الإنسان أو شقاوته ومنه تنبعث حياته الروحية أو موته المعنوي لجدير بأن يبحث على حمايته وحفظه، ومع الأسف أننا معشر المسلمين اليوم، أو معظمنا فرطنا في هذه الناحية وأقولها بكل مرارة فلم نعطِ قلوبنا ما تستحقه من حماية، ولم نُحفظها بسياج الإيمان المطلوب فوقعنا في شر ما وقع فيه من قبلنا، في أعظم داهية وأخطر داء وأخسر صفقة ألا وهو: فقدان الإحساس الروحي، وموت الضمائر المعنوي الذي غطى القلوب ورانَ عليها فأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة: لا تتأثر بأية موعظة مهما كانت، ولا تستجيب لنداء الإسلام ولا تستفزها نذره، عياداً بك - يا رب - ولا حول ولا قوة إلا بك. ولا غرو، أيها المسلمون، فأنتم اليوم تشاهدون آيات الله التي لو أنزلت على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، تشاهدونها تتلى فلا تحرك قلوباً ولا تسيل دموعاً ولا تنهى عن غيِّ إلا من شاء الله، تشاهدون يد المنون تخطف أرواح الملائ في كل آونة من بين ظهرانينا بدون إشعار أو سابق إنذار إذ يصبح أحدنا في أهبى حلة، وأروع منظر، ويمسي بين أطباق الثرى قد حيل ما بينه وبين كل شيء، تشاهدون تداعي أُم الشرِّ على الإسلام من كل حذب وصوب وغزوههم للعقائد والأخلاق والأحكام، وغير ذلكم من ألوان الفتن التي كقطع الليل المظلم .. ومع ذلكم ويا للأسف كأن تلكم المشاهدات أمامنا سراب لا حقيقة له أو أضغاث أحلام لا يتوقع لها تأويل ولا يفكر في ما ستمخض عنه وتلدّه من شر - عياداً بالله - وسر ذلكم كله مرض القلوب المزمن، وعدم شعورها

وتضلعها بمسئوليتها وواجبها أمام الله بل وأمنها من مكر الله ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾.

عباد الله، إنَّ أمامكم يوماً عظيماً تبرز فيه الكامنات، وتظهر فيه الحقائق وتتكشف النيات: يوماً يُنشر فيه لكل غادر لواء، فيقال: هذه غدرة فلان ابن فلان ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾.

والقلب السليم الذي لا ينجو إلا من أتى الله به هو الصحيح المتلىء بمحبة الله وإجلاله وتعظيمه المتجلى في امثال أوامره واجتناب نواهيه والخالي من كل شبهة تعارض خبر الله أو شهوة تميل إلى ما حرّم الله.

فاتقوا الله أيها المسلمون وتجنبوا كل ما يُمرض القلوب أو يميتها وإنَّ أكبر ممرض وأعظم ميمت هو الصدود عن ذكر الله، وعن استماع كتابه وتدبره والعمل به يقول سبحانه: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾، ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾. ومما يمرض القلوب وقد يميتها ويقضي على إحساسها الصادق أكل الحرام ومقارفة الآثام. يقول سبحانه: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾، ويقول: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾؛ ومن عوامل إمرض القلوب وافتتانها وغفلتها الاستماع إلى آلات اللهو المحرمة من غنى ودَف وغيرهما، مما يضل عن سبيل الله، يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع» ويقول جلّ وعلا: ﴿ومن الناس من يشتري هو الحديث ليضلّ عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين، وإذا تلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأنّ لم يسمعها كأنّ في أذنيه قرأً فبشره بعذاب أليم﴾.

فاتقوا الله أيها المسلمون وأحيوا قلوبكم ونوروا وتعاهدوها في كل آونة بالإقبال على كتاب الله عملاً وتلاوة واستماعاً وتدبراً، وأكثروا من الأعمال الصالحة، فهي من أقوى العوامل في إثارة القلوب وهدايتها واستقامتها، يقول سبحانه: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾.

وجالسوا الأخيار الذين إذا رؤوا ذكر الله، وقصروا الأمل وزوروا القبور وتفكروا فيمن بين طياتها من صال وجال وعمر الأرض أكثر مما عمرتموها، وتوقعوا

أنا إلى ما صاروا إليه صائرون فإننا لله وإنما إليه راجعون، يقول سبحانه وقوله الحق:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَنِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ. قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.
أقول قولي هذا وأسأل الله أن يثبت قلوبنا وأن ينور بصائرنا وأن يرزقنا
الاستقامة حتى نلقاه تعالى، إنه تعالى حسينا ونعم الوكيل.

* * *

□ طغيان المادة وإيثارها □

الحمد لله الملك الخلاق، الكريم الرزاق، يسطر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، ويمتحنهم بالأموال فيغني ويفقر، سبحانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم، أحمدته وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد فقد جاءت الآيات القرآنية الكثيرة والأحاديث النبوية الصحيحة موضحة ومبينة شأن المال ومكانته والحكمة من إعطائه لأي شخص كان، وأنه وسيلة لا غاية، وبداية لا نهاية، وأن ليس كل من أعطيه سعيداً، ولا كل من حُرِمه شقيماً.

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ والفتنة هنا بمعنى الاختبار والابتلاء، ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعْفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء». رواه مسلم

وإن ممَّا يندِّي الجبين ويبعث أشدَّ الأسى في قلوب المؤمنين، ما يُرى يسود قلوب الناس اليوم ويهيم على جُلِّ تفكيرهم من طغيان حبِّ المادة والإعراض بالأموال عما أُعطيت له، وتهافت الناس عليها تهافت الفراش على النار وقصر جُلِّ التفكير والإحساس والعمل عليها كأنها وحدها الطريق الموصل إلى الله وإلى جنته.

فاتقوا الله أيها المسلمون، فما للمال حُلِقْنَا ولا لاتباعه هدفاً أُسمى أمرنا، وليس المال خيراً محضاً فنقصر جل تفكيرنا عليه، بل ولا شراً محضاً فنجمع قوانا على التخلص منه. إنَّما يكون المال خيراً إذا استُغِلَّ في أوجه الخير ويكون شراً إذا استعين به في الشر، نعم يكون المال شراً وأَعْظَمُ به من شر إذا لم يرقب صاحبه في جمعه إلا ولا ذمة، إذا جمع من غُلُولٍ من أخذ من بيت مال المسلمين بغير

حق، إذا جمع من معاملات تتسم بالربا والغش والأيمان والأحاديث الكاذبة، وبخس كيل أو وزن، أو ذرع إذا جمع من قمار أو رشاء أو كهانة أو فساد خلق أو تعامل في محرم كالمخدرات، والمصورات لذوات الأرواح وآلات اللهب. وكما يكون المال شراً بكسبه من الطرق المذكورة ونحوها يكون أيضاً شراً إذا أُوثر على الآخرة ولو كسب من حلال، إذا ديست به كرامة، إذا استُعِلَّ في معصية، إذا استعبد صاحبه وألهاه عن ذكر الله وعن الصلاة. وكما يكون المال شراً لما سمعتم وأمثالها يكون خيراً وسعادة إذا طاب مدخله، إذا استعفى واستغنى به صاحبه، إذا برَّ به أب أو وصلت به رحم أو صيئت به كرامة أو سدَّت به حاجة فقير ونحوه، أو وليته يد صالحة كيد من أشار إليه المصطفى ﷺ بقوله: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار؛ ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار» وفي لفظ: «رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق».

فاتقوا الله أيها المسلمون - ومن كان منكم ذا مالٍ فليكن الرجل الذي قال فيه ﷺ: «فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار» واحذروا أن تصرفوا جلَّ تفكيركم وهممكم في المال وتجعلوه أسمى غرض ينشد في هذه الحياة فتحسروا الدنيا والآخرة، احذروا أن يسيطر حب المال على قلوبكم فيوردكم أشدَّ موارد العطب ويصدركم أفظع مصادر الهلاك. احذروا فإنَّ سيطرة حب المال على النفوس لأشدَّ الأعداء فتكاً بالذم والكرامة، بل والفضيلة والعفاف وسائر القيم الإسلامية. ولا جرم، فكم وُئِد من أجل المال من فضيلة، وديس من كرامة، وأضيع من قيمة وخلق مثالي، يقول ﷺ، فيما رواه أحمد: «من أحب دنياه أضُرَّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرته أضُرَّ بدنياه، فأثروا ما يبقى على ما يفنى».

ويقول فيما رواه البزار بسندٍ جيد: «ما ذئبان جائعان أرسلا في زرية غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه».

فاتقوا الله أيها المسلمون في أموالكم فإن عقبي المكاسب الخبيثة والمصارف المحرمة شدة حساب وسوء عقاب، وعقبى المكاسب الطيبة والمصارف المشروعة طوبى

وحسن المآب يقول الله جل وعلا: ﴿قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الأبواب لعلكم تفلحون﴾ يقول سبحانه: ﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾.

أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل مَطعمنا ومكسبنا حلالاً، وأن يجانب بيننا وبين الحرام ويقينا من التغذي به، وأن يعاملنا وجميع المسلمين بصفوه: إنه تعالى حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

□ موقف المؤمن مع الدنيا □

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة، وهو الحكيم الخبير، نحمده سبحانه ونتوكل على الحي الذي لا يموت، ونسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

أمّا بعد فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.

عباد الله: ينهى الله تعالى وتقدس في هذه الآية وأمثالها من كتابه الكريم عن الاغترار بالدنيا وحطامها الفاني، عن أمنها والاطمئنان والركون إليها، عن الانخداع بزخارفها البراقة ومباهجها الزائلة، عن إثارةها على الآخرة والاشتغال بها عنها - مؤذناً ومتوعداً من اشتغل بها عن الآخرة، أو آثرها على الآخرة، أو أراد الدنيا بعمل الآخرة أو حابى أو والى أو عادى من أجل الدنيا بالعذاب الأليم وتصلية الجحيم. يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَبَى النَفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ الآية.

وإنّ داراً - يا عباد الله - أوصافها في الكتاب الكريم والسنة الغراء أنها غرور ومتاع قليل، وممر ومعبر كما هو واقعها، دارٌ ملئت بالأحزان والآلام، دار ما أضحكت إلا وأبكت، ولا أفرحت إلا وأحزنت، دار نهاية قوتها الضعف وشبابها الهرم وحياتها الموت، جميع ما فيها ظل زائل وعارية مستردّة.

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع
وما المرء إلا كالشهاب وضوؤه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

دار هذا شأنها ووصفها خير رسول بأنها كراكب قال تحت ظل دوحه، وضرب الله لها المثل في قصر عمرها وسرعة تحولها وزوالها وخيبة آمال أهلها

بقوله: ﴿إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهَا مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهَا نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ، كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

يا عباد الله - دارّ هذا وصفها وواقعها هل يغتر أو ينخدع بها مؤمن! هل يأمنها أو يطمئن إليها عاقل! هل يعادي أو يوالي من أجلها من له مسكة من عقل؟ كلا؛ لا أخال مؤمناً حقاً ينخدع بها.

فأتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر، فإن أسر من فيها من خافها وحذرنا. فاتقوا الله وكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا وذلّلوا دنياكم لآخرتكم واستخدموها فيما يرضي الله عنكم فإن الدنيا إذا صلّحت واستخدمت، مجالّ فسيح للتحصيل وسلّم إلى ما هو أنفع منها وأطيب، ومزرعة يانعة تجني ثمارها في الآخرة. ولن ينفعكم ويصحبكم منها إذا غادرتموها إلى الآخرة إلا ما قدمتموه فيها من عمل صالح، فقد روى البخاري ومسلم أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم تبعه ثلاثة: ماله، وأهله، وعمله، فيرجع اثنان: المال والأهل، ويبقى واحد وهو العمل». وقال يوماً - عليه الصلاة والسلام - لأصحابه: «أيكم ماله أحبّ إليه من مال وارثه»، قالوا: مالنا أحبّ إلينا من مال وارثنا، فقال: «مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما خلف».

فاتقوا الله أيها المسلمون وبادروا بالأعمال الصالحة فهي زادكم إلى الآخرة، ورصيدكم الذي ستلقونه إذا غادرتم الدنيا، وأنيسكم بعد الموت. فبادروا بها سرعة النقلة، بادروا بها فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا. روى البخاري رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» فكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» ويقول ﷺ فيما رواه الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنه: «اغتمت خمساً قبل خمس: شهابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى أن يرزقنا الاستعداد الصادق لما
بعد الموت، وأن يجعل حياتنا حياة نفع واكتساب خير، وأن يغفر لي ولكم ولسائر المسلمين
إنه غفورٌ رحيم.

* * *

□ الاستجابة لله ورسوله وأثرها □

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أعَدَّ الْجَنَّةَ بمقتضى فضله وكرمه لعباده المؤمنين، وأَعَدَّ النَّارَ بمقتضى عدله وحكمته للعصاة والكافرين، أحمده سبحانه لا أحصي ثناءً عليه وأستغفره، وأتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وأصلي وأسلم على أفضل خلقه محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وكل من دعا بدعوته صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين.

أما بعد فيقول الله جلَّت قدرته وتعالَتْ أسماؤه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ يُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

عباد الله: في هذه الآية الكريمة ينادي الله عباده المؤمنين بأجل الأسماء وأحبها إليهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يناديهم مذكراً لهم ما اتصفوا به من إيمان وما تحلوا به من فضائل من لازمها وطابع المتحلي بها أن يستجيب لأمر الله طائعاً رغباً ورهباً، فيقول سبحانه: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، أي أطيعوا الله واستقيموا وأثبتوا على شرع الله وما جاءكم به رسول الله مهما كانت الأحوال أو قست الظروف إذا دعاكم الله ورسوله لما يحييكم. يقول سبحانه ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

والذي به حياتنا ودُعينا إلى الاستجابة له والانقياد هو الإيمان، هو السنَّة والقرآن، هو الحق: وهذا إخبار صادق ووعد من قادرٍ على الوفاء لا يخلف الميعاد بأنَّ المُستجيب للحق سيحيا حياة طيبة، حياة عزٍّ وعمل: نعم، سيحيا يتلأً له نوره وضاءً في الدنيا بنور البصيرة وسكنى القلوب، وبقاء الذكر والثناء الجميل، وفي الآخرة سيحيا حياة الخلود ونعم الحياة في جنَّات عدن لهم فيها ما يشاءون وكذلك يجزي الله المتقين.

فاتقوا الله - أيها المسلمون - واستجيبوا لله ورسوله بامتثال الأوامر

واجتناب النواهي، في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة عليكم؛ استجيبوا لله ولرسوله بإقامة الحدود والقصاص وفق منهاجه وابتغاء مرضاته قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾؛ وقال عثمان رضي الله عنه: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» بإقامة العدل في أرض الله وبين عباده كل بحسبه وبقدر ما وُتِّي، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾، بإقامة الجهاد عسكرياً وثقافياً .. فعدوكم أيها المسلمون إن لم تغزوه غزاهم، وفي غزوه لكم عسكرياً قضاء على الحياة الحسيّة، وفي غزوه ثقافياً قضاء على الروح المعنوية - عياداً بالله - فاستجيبوا لله ولرسوله، فليس ثم لمن لا يستجيب إلا العار في الدنيا والنار في الآخرة، ولا جرم فلئن كانت الاستجابة لله ولرسوله نوراً فإنَّ عدمها لظلام، لئن كانت الاستجابة حياةً فإنَّ عدمها لموت؛ لئن كانت الاستجابة لله ولرسوله عزّاً وعلواً فإنَّ عدمها لذل وهوان ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ الْفَعَالَاتِ لَبِئْسَ مَا يَكْتُمُ﴾.

عباد الله - إنَّ الحاكم العدل الرؤوف بعباده آذنا من هذه الآية بأنّه أملك لقلوب العباد منهم، يقلبها كيف يشاء ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾.

روى البخاري عن عائشة قالت: «كانت يمين رسول الله: لا ومقلب القلوب». وفي هذا الإيدان منه تعالى بأنه أملك لقلوبنا منا إثر الأمر لنا بالاستجابة: إنذار وتحذير من التوتّي عن شرع الله وعدم الاستجابة له ولرسوله، وإعلام بأن عدم الانقياد وعدم الاستجابة من عوامل الخيلولة بين المسلم والاستقامة، بينه وبين معالم الحق، بينه وبين ما يشتهي: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فاتقوا الله وراقبوه فإن مصيركم ومرجعكم إليه تعالى، وسيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فإمّا جنة. عرضها السموات والأرض أُعدت لمن استجاب وإمّا نار تلظى وعذاب أليم وسوء حساب لمن لا يستجيب.

يقول سبحانه وقوله الحق: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ هُمُ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ويقول: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾.

أقول قولي هذا، وأسأل الله سبحانه أن يمنَّ علينا بالاستجابة له ولرسوله،
والثبات على ما يرضيه إلى أن نلقاه تعالى، وأن يغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، إنه
غفور رحيم.

* * *

□ الذكر الحقيقي وأثره □

الحمد لله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كان يذكر الله على كل أحيانه استجابة لربه وتعليماً لأمته.

اللهم صلِّ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه والذاكرين الله كثيراً والذاكرات، كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد وسلِّم تسليماً كثيراً.

أما بعد - فيا عباد الله - إنَّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وتعطش كما يعطش الزرع .. وما من لحظة من لحظاتها إلا وهي فيها كالمرضى المقرر له دواء سلامته بإذن ربه في تناوله، وإن نظافتها ورَبَّها ودواءها الشافي لفي الإكثار من ذكر خالقها ومعبودها. ورحمةً بالمؤمن وتشريعاً للناس أجمعين، جاء الإسلام يبعث الضمائر وإحيائها وشفاء القلوب وإنارتها ومحاربة ما فيه موتها أو إمرضها، جاء ليربطها دواماً بالله وليقطع صلتها بكل ما يعدها عن الله وينسيها ذكر الله كالصدود والغفلة. يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ ويقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾، ويقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ ويقول: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ الآية.

فاتقوا الله عباد الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وإذا ذكرتموه تعالى فاذكروه بقلوبكم وألسنتكم وأفعالكم. وذكُر الله بالقلب هو إخلاص العمل له وحده وتنقيته وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والعصيان، هو ذكر جلاله وكبريائه، وإيجاده للخلق جمعاء، وهيمته الكاملة وعلوه المطلق عليهم، ذاتاً وصفة، وقدراً ذكره بالقلب هو خوف عقابه عندما تعرض للإنسان أطماع دنيوية محرمة، خوف

عقابه عندما يعرض للإنسان عارض الرياء وحب الظهور، خوف عقابه، عندما تتحرك في الإنسان الغريزة الجنسية لمقارفة جريمة الزنا أو اللواط أو ما يجرّ إليهما.. ففي مثل هذه المواقف يتجلى ذكر الله بالقلب في تركها خوف عقابه، يقول ﷺ: «سبعة يُظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله»، وذكر منهم: «رجلاً دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله». وكما يتجلى ذكره بالقلب في تلکم المواقف وأمثالها بترك الجريمة خوف عقاب الله، يتجلى في رجاء ثوابه عندما يدعو داعي البرّ ومناذي الفلاح، بانقياد المسلم لله طائعاً برغب ورهب. متجاوباً بكلياته عندما يسمع أمثال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ وذكر الله باللسان نطقه بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وأمثالها من ألوان الذكر وبالأفعال امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

فاذكروا الله أيها المسلمون بقلوبكم ذكراً صادقاً يدفع اللسان إلى أن يعلن عما في القلب من خير بكثرة ذكر الله ظاهراً بكامل معانيه التي سمعتموها، فخير الذكر ما اتفق عليه القلب واللسان، وصدقه العمل، بإقامة أركان الإسلام والإيمان بأصول الإيمان والحفاظ على شعائر الدين. فكل ممثّل أمراً لله يعدّ ذاكراً. وكل منته عن منهي يعدّ ذاكراً، فاتّقوا الله واذكروه دوماً وبالغدو والآصال، ولا تكونوا من الغافلين، اذكروا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده، فبذكركم إيّاه يكون معكم ويذكركم في ملائ خير من الملائ الذي ذكرتموه فيه، وإن ذكره لكم وثوابه لكم على ذكركم له لأعظم وأجل من ذكركم له. يقول سبحانه ﴿فاذكروني أذكركم﴾ ويقول: ﴿ولذكر الله أكبر﴾.

ويقول في الحديث القدسي الذي رواه البخاري ومسلم: «أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» فاذكروا الله فبذكركم له تحيا قلوبكم وتركو نفوسكم وتطيب مجالسكم وتكونوا من السابقين.

يقول ﷺ فيما رواه البخاري: «مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره مثل

الحي والميت» ويقول: «سبق المفردون»، قيل: وما المفردون. قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»، ويقول: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة: أي حسرة».

أقول قولي هذا، وأسأل الله أن يجعلنا من الذاكرين أسأل الله أن يوقظ الغافلين ويهب الاستقامة للذاكرين وأن يغفر لنا وللمسلمين والمسلمات، إنَّه غفور رحيم.

وفي الخطبة الثانية:

وردت نصوص عديدة في كتاب الله وسنة رسوله ما سمعتم منا وما لم تسمعوا، كلها تأمر بذكر الله بمعناه الواسع الذي يشمل الذكر بالقلب واللسان والعمل، وتقدم نماذج لذكر الله باللسان ولذكركه بالقلب ولذكركه بالعمل، وهناك أذكار منها: ما هو مؤقت بأوقات كالأذكار المشروعة إديار الصلوات المنصوصة بأنواع متعددة من أنواع الأذكار، وكأذكار الصباح والمساء، ووقت أذكار الصباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ووقت أذكار المساء من صلاة العصر إلى غروب الشمس. لقوله سبحانه: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ وإن فعلت أذكار الصباح بعد طلوع الشمس أو أذكار المساء بعد غروب الشمس فلا بأس بذلك لشمول مسمى الصباح أو مسمى المساء لذلك، وفي الأحاديث من قال حين يمسي وحين يصبح .. إلخ ومن الأذكار ما هو غير مؤقت بوقت لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرز من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه» وقال: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر». وقال: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» رواه الشيخان. وقال له رجل: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى» وقال خير قائل وأصدق

قائل: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب،
الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات
والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه﴾ ففنا عذاب النار ﴿﴾.

* * *

□ الخوف والرجاء الحقيقيان □

الحمد لله، الذي لا ربّ لنا سواه، ولا نعبد إلاّ إيّاه، الحمد لله مؤمن من خافه، ومعطي من رجاه، أحمده سبحانه لا أحصي ثناءً عليه وأستغفیه وأستغفره وأتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له قال في كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ وأشهد أن سيّدنا ونبيّنا محمداً عبده ورسوله أفضل من جمعت له أعلى مقامات الخوف والرجاء قال عنه ربه: أنه قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنّهم إلى ربّهم راجعون وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد، فقد جاء في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وآله: «الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» متفق عليه. وإنّ هناك دعامتين عظيمتين من دعائم الإيمان التي يقوى بوجودهما ويضعف بضعفهما ويُفقد بفقدانهما، دعامتين حتّ عليهما القرآن ورغب في الانصاف بهما، أعظم ترغيب، وبشرّ أهلها بالمغفرة والأجر الكبير، وهما خوف الله ورجاؤه. يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ويقول: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ويقول عن أهل الجنة: ﴿وَأَقْبَلِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا: إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ. فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾.

أيّها المسلمون: لقد جاءت هذه البشرى العظيمة لمن يخاف مقام ربه ولمن يخشى ربه ولمن يدعو ربه ويعبده خوفاً وطمعاً. فأتقوا الله وخافوا مقام الله؛ خافوا الوقوف بين يديه تعالى يوم القيامة في ذلكم الموقف الهائل العظيم الذي يشيب من هوله المولود، وتضع فيه الحوامل أحمالها، وتخرج الأرض فيه أثقالها وتحدّث أخبارها، ويتخلّى فيه عن الإنسان كل أحد ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتى الله بقلب سليم﴾ واعلموا أنّ كل خوف لا يمنع صاحبه من الوقوع في محارم الله

لا يُعَدُّ خوفاً، فما خاف مقامَ الله ووعيده من بارزه بالمعاصي مع علمه باطلاع الله، وإشرافه عليه وأَنَّهُ سيقام بين يديه يوم القيامة، ما خاف مقامَ الله من أمن بطشه وعقابه، ما خاف مقامَ الله من أظهر الخير أمام الناس، وأعلن الشر أمام الله الذي لا تخفى عليه خافية، ما خاف الله من علم حرمة الزنا والربا - مثلاً، حرمة الكذب والمخادعة، حرمة المحاباة والإيثار، حرمة الخيانة والفسق، ثم ارتكب هذه المحارم، ما خاف الله، ولا مقامَ الله، فالخوف الحقيقي الذي يؤمن صاحبه يوم القيامة هو الذي يحول بين المرء وبين انتهاك حرمت الله كخوف من قال فيه رسول الله ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه»، وذكر منهم رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله. وكل خوفٍ خلا من الرجاء فهو يأس وقنوط. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ وقال: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

فاتقوا الله أيها المسلمون - وخافوا الله خوفاً بجانبه رجاءً وأمل وتحسين ظن بالله، رجاءً عبد عمل بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله، رجاءً من قال الله تعالى فيه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

واعلموا أن كل رجاء لا يحمل صاحبه على فعل المأمورات لا يعد رجاءً بل هو مغالطة، وأمن من مكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجري على اليبس

فالرجاء الصادق هو الذي يدفع صاحبه إلى فعل الخير والاستزادة في أعمال البر، يقول سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ ويقول عن آل زكريا: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

وهذه النصوص - أيها المسلمون - يعلم المؤمن أنه يجب عليه أن يكون

دائماً في جميع أحواله خائفاً وراجياً يخاف عذاب الله ويرجو ثوابه، يخاف على المسيئين من أمة محمد، ويرجو للمحسنين، ولا خوف نافع بدون رجاء ولا رجاء بدون خوف. يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله - إنَّ الخوف والرجاء للمؤمنين كجناحي الطائر للطائر، إن فُقدَا أو فقد أحدهما عرض الطائر للهلاك، وإن سلما تمَّ للطائر الطيران، وفي الصحيح أن رسول الله - ﷺ - قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظنَّ بي ما شاء»، وروى مسلم عن جابر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بثلاث يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظنَّ بالله» وروى الترمذي وابن أبي الدنيا عن أنس قال: دخل - ﷺ - على شاب يعوده فقال «كيف تجدك»، قال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد من مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف».

اللهم آمنة من أفراع يوم القيامة، واجمع لنا بين الخوف الصادق والرجاء النَّافع، واغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، إنك أنت الغفور الرحيم.

* * *

□ العلاقة الزوجية □

وواجب الزوج نحو زوجته

الحمد لله، الذي خلق الناس من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، أحمده تعالى وأشكره وأسأله أن يهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين ويجعلنا للمتقين إماماً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وصلى الله وسلّم على محمد بن عبد الله القائل: «أنا خيركم وأنا خيركم لأهلي» والذي يقول: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيرهم خیرهم لأهله»، وعلى آله وأصحابه وكل من سار على نهجه إلى يوم الدين.

أمّا بعد - أيها الناس - إنّ دين الإسلام الحنيف الذي عُني بمصالح البشرية، بمصالح كل ذي نفس رطبة من إنس وجان وحيوان، ورتب أمور البشريّة ونظم علاقات بعضهم ببعض جماعات وفرادى وأبان ما لبعضهم على بعض من حقوق لازمة وضرورية - قد أبان فيما أبان واضحاً وجليّاً علاقة الزوج بزوجه، وما يجب لها عليه من حقوق: ماليّة وأديّة وغير ذلك، وما يجب له عليها من طاعة وتعاون بالحسنى والمعروف، وقرن طمأنينة الزوجين وسعادتهما في حياتهما الزوجية بل وسعادة أطفالهما ومن يعيش معهما بأداء هذه الحقوق، كما جعل شقاءهما المنزلي ونكدهما مقروناً بضیاع تلکم الحقوق، يقول سبحانه: ﴿وعاشروهنّ بالمعروف﴾ ﴿لينفق ذو سعة من سعته، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾ ﴿وهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة﴾ ويقول ﷺ: «اتّقوا الله في النساء واستوصوا بهنّ خيراً» ويقول: «استوصوا بالنساء خيراً فإنّهنّ خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهب تقيمتها كسرتها، وكسرهما طلاقها، وإن استمتعت بها استمتعت بها، وبها عوج» ويقول لماً سأله رجل ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت».

أيها المسلمون هذا نموذج مما جاء في الشرع في بيان ما يجب للزوجة على زوجها. وإن العقل السليم والضمير المنصف وإجماع الأمة ليحرم من ظلم الزوجة وهضمها بغير حق، وكيف - أيها المسلمون - تستسيغ نفس زوج ذي عقل ومروءة ورحمة ظلم امرأة ضعيفة نشأت بعيدة عنه، وفي التقائهما على كلمات الله امتزجت علاقتهما باللحم والدم وسكنت نفس كل منهما إلى الآخر كما قال سبحانه: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ ومع هذه المودة والرحمة التي نطق بها القرآن ويشهد بها واقع بني الإنسان والتي كثيراً ما تسبق إلى زوجها قبل أبيها أو ولديها تضحى رهينة طاعة زوجها وخادم بيته ومتعة نفسه وموضع حرثه الذي يجرث فيه فينجب له من الولد من ييره أو يشفع له وذلكم واقع ومشاهد وملموس لا ينكره أحد.

أبعد هذا، أبعد إدراك واقع الزوجة ومعرفة ما ورد في شأنها من النصوص يجراً رجل لديه مسكة من عقل أو دين على مضارّة زوجته أو مضايقتها أو نيلها بإهانة أو هضم أو كسر اعتبار بغير حق؟ كلا؛ لا أخال ذلك يصدر عن عاقل، وبفس ذلك الرجل الذي يظلم زوجته. يقول تعالى: ﴿فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لاعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾. فاتقوا الله يا قوم؛ وأدوا ما أوجب الله عليكم لنسائكم، تسعدوا ويصلح أمركم ويسود بيوتكم التفاهم والوثام.

اتقوا الله فيهن فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فعاملوهن بالحسنى والمعروف والصبر والمصابرة عليهن والتغاضي عن بعض ما يجب لكم عليهن فإن استقامتهن وإلهن مستحيل إذ العوج من أصل خلقتن، - كما سمعتم أنفاً - وتفادياً لما قد يجره عوجهن مما لا تحمد عقباه من فرقة لم ترد، أو غرس بغض وعداء في نفس شريكة حياة، شريكة مطعم ومشرب ومهجع. يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم: «لا يبغضن مؤمن مؤمنةً إن كره منها خلقاً رضي آخر»، ويقول سبحانه: ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾.

واعلموا أيها المسلمون أن ممّا حرّمهُ الله تحريماً مغلظاً إلقاء الزوج لزوجته

التي يكرهها إلى الافتداء منه أو مماطلتها فيما شرط لها عند العقد، يقول سبحانه: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً، تأخذونه بهتانا وإثماً مبيناً﴾ ويقول ﷺ في الحديث الصحيح: «إنَّ أَحَقَّ الشُّرُوطِ أَنْ يُوْفَى مَا اسْتَحَلَّمْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ».

وممَّا حَرَّمَ اللهُ نَشْرَ أَسْرَارِ الْمَرْأَةِ، والحيف والجور عليها إذا كان لها ضرة، يقول ﷺ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يَفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ وَتَفْضِي إِلَيْهِ وَيَنْشُرُ سَرَّهَا». ويقول: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل».

فاتقوا الله - يا قوم - واسلكوا مع الزوجة مسلك الوسط، فلا تقصير في حقها ولا غلو معها، بحيث يُطلق لها الزمام وتصبح هي ولية أمر الرجل وموجهته فيما أحب أو كره، يذني من أدنت، ويصل من وصلت، ويقطع من قطعت، فذلكم حرام وارتفاع بها عمّا هيئت له كزوجة طائعة لا آمرة مطاعة. «ولن يفلح قوم ولّو أمرهم امرأة» كما قال ﷺ.

أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى أن يبارك لنا في كتابه الكريم وأن يغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات إنّه غفور رحيم^(١).

* * *

(١) يستحسن ان يذكر في الخطبة الثانية شيئاً من نصوص الأحاديث المتعلقة بطاعة الزوجة لزوجها.

□ السعي على ذوي الضعف والمسكنة □

الحمد لله الذي لا إله إلا هو، وله الحمد في الأولى والآخرة، وهو الحكيم الخبير، أحمده تعالى وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا هو، إليه المصير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد. وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد - أيها الناس، لقد جاء دين الإسلام الحنيف مليئاً بأنواع البر والتعاون والتراحم، والتكافل الاجتماعي قال تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة...﴾ الآية. وقال: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾، وإن أبر البر الذي جاء به الإسلام وأفضل أنواع التعاون والتراحم والتكافل الذي وعد الله أهله في الدنيا حسن الحال وفي الآخرة طيب المآل - هو السعي والعناية، ابتغاء وجه الله ووفق مناج رسول الله، بذوي الضعف والمسكنة، ولا سيما من تربطهم بالشخص رابطة نسب، كالأبوين في الكبر، والبنيات حال الصغر، والأرامل والأيتام من النساء اللاتي فقدن مودة الزوج ورحمته والأنس به، ومن فقدوا حنو الأبوة وعطفها من الأيتام، وما شابه أولئك من ذوي الفقر والعاهات. قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً...﴾ الآية. وقال: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾. روى البخاري ومسلم رحمهما الله أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: «أحبي والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد». وروى الطبراني بسندٍ رجاله رجال الصَّحيح عن كعب بن عجرة. قال: مرَّ على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله؛ لو كان هذا في سبيل الله، فقال ﷺ: «إن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان». ويقول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كنَّ له ستراً من النار». عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كنَّ له ثلاث بنات

يؤوينَّ ويرحمهنَّ ويكفلهنَّ ويزوجهنَّ وجبت له الجنة البتة»، قيل: يا رسول الله: وإن كانتا اثنتين. قال: «وإن كانتا اثنتين». قال: فرأى بعض القوم أن لو قالوا واحدة. ويقول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» وأحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر». وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار مالك بالسبابة والوسطى. ويقول ﷺ في العموم: «إِنَّمَا تُنصرون وتترزقون بضعفائكم».

فاتقوا الله عباد الله، وأولوا هذه الطبقة التي جل ما تملكه قلب منكسر أو عين دامعة، معظم اهتمامكم. اتقوا الله بالعطف والشفقة عليهم والاعتناء الصادق بمصالحهم، والصبر على لأوائهم وشدَّتْهم وما قد ييدر من أحدهم من أذى أو مضايقة أو سوء خلق، فإنكم بذلك تغدون وتروحون في رضا الله، تغدون وتروحون في سبيل الله، تغدون وتروحون في مجلبة الأرزاق ومنسأة الأعمار، ومدراً للبلاء ومدرج الوصول إلى الله سبحانه وإلى جنته التي وعدّها القائمين على ذوي الضعف والمسكنة والبساطة من المسلمين. فبادروا - رحمكم الله - إلى كفالة أمثال هؤلاء بطيب نفس وقلب رحيم، وضمير مخلص عمله لله تعالى، وأخلصوا نياتكم في كدِّكم، وكدحكم عليهم، واصبروا وتحملوا برضاً ما قد يعترضكم في ذلك من مشقة أو مكروه، محتسبين جزاء ذلك ومضاعفة أجره عند الله احتساب من قال الله فيهم: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً، إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾ الذي يقول وقوله الحق: ﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ ويقول: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾.

أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى أن يجعلنا هداة مهتدين متعاونين مع ذوي الضعف والمسكنة والمحتاجين، أسأله أن يعيننا على أنفسنا وأن يجعلنا من الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل إنه أكرم مدعوٍ وخير مستعان.

* * *

□ الطمأنينة في الصلاة □

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد، فإن دين الإسلام الذي أكرم الله به هذه الأمة وأتمه لها ورضيه لها ديناً، ورُتب عليه من حسن الجزاء، وعظيم المثوبة ما تتمناه الأنفس وتلذ به الأعين قد بُني على أسس ثابتة وقواعد متينة لا ينجو من بلغته من أليم العقاب وشدّة العذاب، ويحظى بما يترتب على الإتيان بها من عزة واحترام في الدنيا وسيادة ولذة في الآخرة حتى يأتي بها موفورة كاملة.

ومن بين هذه الأسس التي بُني عليها الإسلام الصلاة التي هي عموده وأهم أركانه بعد الشهادتين، والتي لا حظ في الإسلام لمن تركها: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» «بين العبد وبين الكفر أو الشرك: ترك الصلاة» **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾**.

ثم إن هذه الصلاة أسساً وأركاناً ركنية لا تتم الصلاة إلا بها. وأهم تلكم الأركان وأقربها صلة بالله وأعظمها أثراً على الإنسان، في دنياه وأخراه الطمأنينة والخشوع فيها، ولا غرابة فقد افتتح الله صفات من وعدوا الفلاح المحقق، والفوز بالفرديوس الأبدي، بالخشوع، واختتمها به في قوله تعالى: **﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾**.

إلى أن قال بعد ذكر صفاتهم الفاضلة: **﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾**.

والطمأنينة المطلوبة قد شفى فيها رسول الله ﷺ وكفى، روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلّى ثم جاء فسلم على رسول الله، فرد عليه السلام فقال:

«ارجع فصلْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصَلِّ» ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق لا أحسن غيرها فعلمني. فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تعتدل جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

والطمأنينة والخشوع نوعان: طمأنينة وخشوع بالجوارح، وطمأنينة وخشوع بالقلب، وطمأنينة الجوارح الحقيقية مصدرها طمأنينة القلب. عن عمر أنه رأى رجلاً يعبث في صلاته، فقال: لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه، ويروى هذا الأثر عن رسول الله ﷺ.

ومما تقدم يُعلم أن الصلاة وإن استكملت فيها الأقوال والأفعال ظاهراً لا تكون صلاة حقيقية ولا نافعة إلا إذا وجدت فيها المعاني الروحية التي شرعت من أجلها من التأله والتوجه فيها إلى الله وحده وإخلاصها له سبحانه، والخشوع والخصوع والخشوع فيها لعظمته تعالى، ودعائه فيها برغيب في ثوابه ورهب من عقابه.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأدوا صلاتكم كما كان يؤديها رسول الله بخشوع وطمأنينة تفوزوا بأجرها وتسعدوا بما أعد لأهلها ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون﴾.

ومما يجلب الطمأنينة ويحقق الخشوع للمصلي إخلاص النيّة فيها لله وحده ابتداءً وانتهاءً بمحاربة ما يطرأ عليها فيها من رياء أو همّ فيها بسوء. وأن يتجه المصلي فيها بجميع حواسه إلى الله سبحانه ويستحضر عظمته تعالى وإطلاعه عليه الذي نص عليه قوله تعالى: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ ﴿وتوكل على العزيز الرحيم. الذي يراك حين تقوم. وتقبلك في الساجدين﴾.

وقول رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإنه يناجي ربه» وفي لفظ: «فإن الله قبل وجهه» وأن يتعقل المصلي ويتأمل في معاني ما يلفظ به من الأقوال كـ «الله أكبر» وما تقتضيه «وسبحانك اللهم وبحمدك» إلخ.. و «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين» و «سبحان ربي العظيم»، و «سبحان ربي الأعلى». وأن يدعو فيما شرع فيه الدعاء كالسجود، وبين السجدين وقبل السلام

بقلب فارغ متّجه إلى الله سبحانه موقن بالإجابة مؤمن بأن الله على كل شيء قدير، وأن يتدبر ما يتلوه، أو يسمعه فيها من كتاب الله تعالى تدبّر طالب الهداية والرحمة منه والشفاء.

هذا أيها المسلمون ما ينبغي أن يتحلّى به المؤمن في صلاته وهذا ما يرجي أن تتحقق معه الصلاة الحقيقية النافعة المقبولة عند الله، والتي ستكون لأهلها نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، وإنّ أي صلاة فقدت تلك المعاني الروحية والطمأنينة التي هي روح الصلاة ليست صلاة حقيقية وليست مقبولة ولا نافعة عند الله تعالى وستُقبل أمامها أبواب السماء وتلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها ويلحق بمن قال الله فيهم: ﴿فويل للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون﴾.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

* * *

□ صلاة الجماعة □

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فلقد أرسل الله محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه رحمة للعالمين ورسولاً للبشرية جمعاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أرسله بأكمل دين، وأجمع أمر وأيسره، أرسله ليبين للناس ما كلفوا به من لدن الله جلّ جلاله، وما سيجزون به على فعل تلکم التكليف برغب وطواعية من ثواب مضاعف وأجر في العاجل والآجل. ومنذراً لهم ما يترتب على ترك ما كلفوا به من إثم وعقاب وعذاب. قال سبحانه: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾.

وإن من تلکم التكليف التي وُعد المسلم على تحقيقها المثوبة الحسنة والأجر المضاعف مشروعية أداء الصلوات المكتوبة في جماعة، لواجد الجماعة وقادر على ذلك، يقول تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾. ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة﴾. وتام المحافظة التي أمر الله بها وكال الإقامة التي يريد الله لا يحصلان إلا بأداء الصلوات في جماعة، لقوله تعالى: ﴿واركعوا مع الراكعين﴾. ولفعل رسول الله ﷺ في صلاة الخوف ولقوله لابن أم مكتوم لما قال له: يا رسول الله إني رجل أعمى والمدينة كثيرة الهوام والسباع وليس لي قائد يقودني إلى المسجد فقال له ﷺ: «هل تسمع النداء؟» قال: نعم. قال: «فأجب». وفي لفظ آخر: «لا أجد لك رخصة». وقوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم «والذي نفسي بيده لقد هممتُ أن آمر بالصلاة فتقام، ثم أمر رجلاً فيوم الناس، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم»، وفي رواية أحمد: «لولا ما في البيوت من النساء والصبيان لأحرقتها عليهم» ويقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

رحمه الله: «اتفق العلماء على أن صلاة الجماعة من أوكد العبادات وأجل الطاعات وأعظم شعائر الإسلام».

فأتقوا الله أيها المسلمون وأدوا صلاتكم في جماعة فإن أداءها في جماعة - بجانب كونه طاعة ورضى الله - عمارة لبيوت الله التي أمر أن تُرفع ويذكر فيها اسمه، وإقامة وإظهاراً لشعيرة إسلامية عظيمة، شعيرة بها يفقد المسلمون المريض فيزورونه، ويعرفون المناق بتخلفه فيحذرونه، فيتجدد بها تعارفهم وولاؤهم بلقائهم في بيت من بيوت الله وعلى بساط طاعة الله سبحانه وتعالى، بها يسان المسلم من أن يتردى في مهاوي الضلال أو أن يستحوذ عليه الشيطان فهي أمان وضمان بإذن ربه. روى مسلم وأبو داود عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «من سره أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفع بها درجة ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يتهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف».

وروى أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من ثلاثة في قرية أو بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية».

فأتقوا الله أيها المسلمون، بأداء الصلوات المكتوبة في جماعة فإن ذلكم واجب وفضيلة لا يُفترط فيها إلا محروم؛ نعم فضيلة، وأعظم بها من فضيلة، فيها تُكفّر السيئات وتُرفع الدرجات وتضاعف الحسنات. بها يعمر المُصلي بيوت الله ويقد إلى الله في كل يوم خمس مرات ولا غرو، فمن وفد إلى بيت من بيوت الله إخلاصاً لله ومتابعة لرسوله فقد وقد على الله، وحق لو افد على الله أن يُكرم. روى الطبراني في الكبير عن سلمان بإسنادين أحدهما جيد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من تَوَضَّأَ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر لله وحق على المزور

أَنْ يُكْرَمَ الزَّائِرُ» ويقول ﷺ فيما رواه مالك ومسلم عن أبي هريرة: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قال: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ» ويقول فيما رواه أحمد عن ابن عمر: «مَنْ رَاحَ إِلَى مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ فَخَطَاةٌ تَمْحُو سَيِّئَةً وَخَطَاةٌ تَكْتُبُ حَسَنَةً ذَاهِباً وَآيَاءً»، ويقول - ﷺ - فيما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنه: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ ضِعْفًا» ... أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى أن يجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرياتنا. وإن يغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، إنَّه غفور رحيم.

في الخطبة الثانية:

أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ فِي اللَّهِ لَتَتَذَكَّرَنَّ أَنْ وَاحِبَ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ يَبْدَأُ بِتَكْبِيرَةِ الْإِمَامِ تَكْبِيرَةً الْإِحْرَامِ فَمَنْذٌ يَنْقَطِعُ صَوْتُهُ بِقَوْلِ اللَّهِ أَكْبَرَ يَبْدَأُ وَجُوبَ الْمَتَابِعَةِ لَهُ وَيَبْدَأُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - احْتِسَابَ الْفَضْلِ وَالْأَخْذِ فِي إِدْرَاكِ الْجَمَاعَةِ إِدْرَاكاً كَامِلاً وَيَبْدَأُ احْتِسَابَ الْإِثْمِ فِي حَقِّ قَادِرٍ تَخَلَّفَ عَنْ جِزَاءِ مِنْهَا عَمْدًا. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامَ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلَا تَخْتَلَفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» والحديث متفق عليه. والمقصود في قوله ﷺ لا تختلفوا عليه في الأمور الظاهرة من قيام وقعود ومتابعة، ومن ذلك ضرورة التكبير ومباشرته بعده لا في الأمور الباطنة فقد جاءت سنته المطهرة بمشروعية ائتمام المقيم بالمسافر ويتم بعده والمسافر بالمقيم ويتم معه والمفترض بالمتنفل والمتنفل بالمفترض وأن من ظواهر التقصير في أداء هذا الواجب ما يرى من تخلف كثير من المصلين عن الحضور إلى مكان الجماعة حين ما بعد الإقامة فكثيراً ما ترى الإمام يبدأ بعدد قليل ولا يكاد يكبر تكبيرة الركوع حتى يتضاعف العدد أضعافاً كثيرة من أناس تحروا مجيئهم بالإقامة ولا شك في أن فعل هذا عمداً تقصير يفوت أجراً ويرتب وزراً يفوت أجر الجزء الذي تركه عمداً في الأول صلاة الجماعة، ويرتب وزر تقويته عمداً. فمن المعلوم المسلم به عند العلماء رحمهم الله أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فعلى فرض أن مسافة الطريق تحتاج ممن تجب عليه الجماعة بضع دقائق، فإذا لم يبق على الإقامة من الزمن إلا بمقدار تلك الدقائق تعين عليه المشي أو كان يحتاج مثلاً إلى

وضوء يستغرق بضع دقائق ولم يبق على الإقامة من الزمن إلا بمقدار تلك الدقائق
تعين عليه الشروع في الوضوء وهكذا ليلحق بصلاة الجماعة في أولها.

وبجانب ما في هذا التقصير وهذا العمل من تفويت أجر وربما ترتب وزر
فهو يؤثر كثيراً وكثيراً على ما يطلب في الصلاة من خشوع وتذلل وتأمل وتدبر
لما يلفظه المسلم فيها أو يسمعه من قراءة أو تسييح أو دعاء، فلقد شرع قبلها ما
يهيئ لذلك لا ما يطارده أو يضعفه شرع قبلها الوضوء المعروف بإنعاشه للنفس
شرع قبلها أدعية عند الخروج من البيت إلى المسجد وعند دخول المسجد، شرع قبلها
صلوات نافلة لتهيئ للفريضة كركعتي الفجر والصلاة قبل الظهر وقوله ﷺ: «بين
كل أذانين صلاة» أي بين الأذان والإقامة شرع أن يأتيها المسلم بسكينة ووقار لا بغلبة
وجلبة يضايق فيها النفس النفس، شرع ألا يأتيها بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان.

هذه الأمور - أيها الأخوة - شرعت بين يدي الصلاة وفي الصلاة، وخاصة
صلاة الجماعة ذات الفضل العظيم لتهيئ المسلم في صلاته لمناجاته لربه والوقوف بين
يديه كأنه يراه. ففي الحديث الصحيح «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن
لم تكن تراه فإنه يراك»، وفيه «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» وفيه
«إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه مناجي ربه...» الحديث.

فيربكم أيها الأخوة الراجون الحصول على أجر صلاة الجماعة رجل تأخر عمداً
حتى أقيمت الصلاة وجاء يركض بنفس قد ضايقها وشغلها عن مهمتها النفس
وفوت كثيراً مما يشرع الإتيان به قبل ذلك هل ستصرف بأجر صلاة الجماعة
المطلوب الواردة فيها الأحاديث الكثيرة هل وهل. رحماك يارب ومغفرتك وفضلك
وجودك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة. وما ورد من قوله ﷺ: «من أدرك ركعة
من الصلاة مع الإمام فقد أدرك الصلاة» فهو في حق من لم يتعمد. أما من تعمد
فله أجر ما أدرك وعليه وزر ما فوت.

فاتقوا الله عباد الله واطلبوا الفصل بموجبه لا بالتحايل عليه.

* * *

□ استقبال شهر رمضان □

الحمد لله، الذي فضّل أوقات رمضان على غيرها من الأزمان، وأنزل فيه القرآن هُدى للناس، وبيّنات من الهدى والفرقان، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، الذي كان يخص رمضان بما لم يخص به غيره من صلاة وتلاوة وصدقة وبرّ ومواساة، اللهم صلّ عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين الذين آثروا رضا الله على شهوات نفوسهم، فراحوا من الدنيا مأجورين وعلى سعيهم مشكورين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد أيّها المؤمنون، لقد أظلمكم شهرٌ عظيم مبارك، شهرٌ جعل الله فيه من جلائل الأعمال، وفضائل العبادات ما لم يكن في غيره، شهر رمضان، ومشرق أنوار القرآن، وشذى نفحات الجنان، شهر قدسيّات وبركات تنزل، ونفحات ورحمات تنفسي، شهر تُقال فيه العثرات، وتضاعف فيه الحسنات، وتُرفع فيه الدرجات، والله في كل ليلةٍ منه عُتقاء من النار، يقول فيه هادي البشرية عليه الصلاة والسلام، فيما رواه الترمذي وابن ماجه: «إذا أُقبل رمضان فُتحت أبواب الجنة وأُغلقت أبواب النيران، وُصفت الشياطين، ونادى مُنادٍ من قبل الحق تعالى: يا باغي الشر أقصر، يا باغي الخير أقبل» ولا جرم، فهو شهر اختاره الله زمناً لنزول القرآن وانطلاق الإيمان، وُفرق فيه تعالى بين عهدٍ وعهد: عهد ظلم وطغيان، وعهد عدل وإيمان؛ وانتقلت فيه الأمة من أمةٍ حيرى مُتلطّخة بأدران الوثنية إلى أمةٍ مستنيرة مُهتدية، تتلقّى تعاليمها من السماء ولا تُدين إلا الله وحده، جلّ ثناؤه وتباركت أسماؤه. ومنذ أن وُجد هذا الشهر، ونزل فيه القرآن في ليلة القدر المباركة التي هي خير من ألف شهر، وبركاته تتوالى على المسلمين - فلقد حصل فيه يوم الفرقان، يوم غزوة بدر الكبرى التي قرّق الله فيها بين الحق والباطل؛ وحصل فيه يوم فتح مكة الذي دخل الناس بعده في دين الله أفواجاً. وكما كان موسماً وزمناً لتلكم الفضائل والعبادات والوقائع الإسلامية العظمى، فهو لا يزال ولن يزال موسم إفضال وإنعام، موسم تحوّل من غفلة وصدود إلى انتباه وإقبال، من رذيلة إلى فضيلة، من تمادٍ وانهماكٍ في الماديّات إلى تحليقٍ في سماء الروحيّات، فلقد فرض الله تعالى

صيامه، وسَنَّ رسول الله ﷺ قيامه ودعا فيه إلى كَثْرَةِ الإِحْسَانِ، وتلاوة آي القرآن، وحريّ بهذه الأشياء أن توجد من نفس صاحبها نفساً روحية مخلّقة في الدُّنْيَا مَعَ عَالَمِ السَّمَاءِ الَّذِينَ ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾؛ وفي الآخِرَةِ مَعَ مَنْ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾، ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِمًا ﴿﴾.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَاشْكُرُوا مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ إِدْرَاكِ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ، وَالْمَوْسَمِ الْعَظِيمِ، وَتَلَقُّوهُ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ، وَعِزْمٍ عَلَى الرَّشْدِ وَرَغْبٍ وَاسْتِبْشَارٍ، تَلَقُّوهُ بِنَفْسٍ مُتَهَيِّئَةٍ، لِاسْتِقْبَالِهِ بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ النَّصُوحِ. وَالتَّطَهِيرِ الشَّامِلِ الْكَامِلِ، بِالْعِزْمِ عَلَى فِعْلِ الْفَضَائِلِ وَمُجَانِبَةِ الرَّذَائِلِ؛ بِالْعِزْمِ عَلَى صَوْمِهِ حَسِيًّا بِاجْتِنَابِ الْمَفْطَرَاتِ، وَمَعْنُوِيًّا بِاجْتِنَابِ الْمَأْتَمِّ وَالْمَنْكَرَاتِ، بِالتَّأْسِّي فِيهِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي كَانَ أَجُودَ النَّاسِ وَكَانَ أَجُودَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ فَيَدْرُسُهُ الْقُرْآنَ. فَلرَسُولِ اللَّهِ أَجُودُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. وَاسْأَلُوا اللَّهَ التَّوْفِيقَ وَالْإِعَانَةَ، اسْأَلُوهُ كَمَا وَفَّقَكُمْ لِإِدْرَاكِهِ، أَنْ يُوفِّقَكُمْ لِإِكْمَالِ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا.

فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَقَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَقَوْمُوا بِحَقِّ هَذَا الشَّهْرِ قِيَامًا طَاعَةً وَاتِّبَاعًا، لَا مَعْصِيَةَ وَابْتِدَاعًا، وَتَزَوَّدُوا فِيهِ مِنَ التَّقْوَى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾. يُرَوَى عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظْلَكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ، فِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِحَصَلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ؛ وَشَهْرُ الْمَوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يُزَادُ فِيهِ الرِّزْقُ؛ مَنْ فَطَرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِدُنُوبِهِ وَعَتَقَ رَقَبَتَهُ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ، وَمَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِهِ فِيهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ. وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَأَوْسَطُهُ

مَغْفِرَةٌ وَآخِرُهُ عَتَقَ مِنَ النَّارِ، فَاسْتَكْبَرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خِصْلَتَانِ تُرْضَوْنَ
بِهِمَا رَبِّكُمْ وَخِصْلَتَانِ لَا غِنَى لَكُمْ عَنْهُمَا، أَمَّا اللَّتَانِ تُرْضَوْنَ بِهِمَا رَبِّكُمْ: فَشَهَادَةُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَتَسْتَغْفِرُونَهُ، وَأَمَّا اللَّتَانِ لَا غِنَى لَكُمْ عَنْهُمَا فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ
وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ؛ وَيَقُولُ خَيْرُ قَائِلٍ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ
فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾.

أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى أن يجعله حالاً على المسلمين
في كل مكان باليمن والخير والرشاد، أسأل الله أن يرُدَّ فيه شارِدَ المسلمين، وأن يُبَيِّنَ
مُسْتَقِيمَهُمْ، وأن يجمع كلمتهم على الحق ويُعليها كما عَلَّتْ من قَبْل. إنه غفور رحيم.

* * *

□ صوم شهر رمضان □

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وَوَفَّقَنَا لِإِدْرَاكِ شَهْرِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ خَيْرَ مَنْ صَامَ وَقَامَ وَعَبَدَ اللَّهَ حَقَّ عِبَادَتِهِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - لَقَدْ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى شَرَائِعٍ وَعِبَادَاتٍ وَفَرَائِضٍ وَوَأَجِبَاتٍ، كَانَ مِنْ جَمِيلِ صُنْعِ اللَّهِ فِيهَا أَنْ أَقَامَهَا عَلَى دَعَائِمٍ مِنَ الْخَيْرِ وَقَوَاعِدٍ مِنَ الْبِرِّ، تَفِيدُ أَهْلَهَا فِي الدُّنْيَا وَتَنْفَعُهُمْ فِي الْعَقْبَى، وَتُسَعِّدُهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ..

وَإِنَّ أَعْظَمَ تِلْكَ الشَّرَائِعِ وَأَجْلَهَا بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ: الصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ؛ هُوَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ فَرِيضَةً عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَوَسِيلَةً عَظْمَى لِتَقْوَاهُ تَعَالَى حَقِيقَةً، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وَيَقُولُ رَسُولُ الْهُدَى ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ». وَفَسَّرَ ﷺ الْإِسْلَامَ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورِ فِي حَدِيثِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي فِيهِ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الْإِسْلَامِ «بِهَذِهِ الْخَمْسِ».

ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه أحمد وأبو داود والبخاري تعليقا؛ وغيرهم: «مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رِخْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ لَمْ يَقْضِ عَنْهُ صَوْمَ الدَّهْرِ وَإِنْ صَامَهُ كُلَّهُ».

- أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَشْرَعْ صَوْمَ رَمَضَانَ وَلَا غَيْرَهُ مِنَ التَّكْلِيفِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، كَلَا؛ فَهُوَ تَعَالَى الْغَنِيِّ عَمَّا سِوَاهُ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، وَلَكِنْ شَرَعَهُ لِصَالِحِيهِمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، شَرَعَهُ تَرْبِيَةً لِلْأَجْسَامِ وَتَرْوِيضًا لَهَا عَلَى الصَّبْرِ وَتَحْمُلِ الْآلَامِ، شَرَعَهُ تَقْوِيمًا لِلْأَخْلَاقِ، وَتَهْدِيًّا لِلنَّفُوسِ وَتَعْوِيدًا لَهَا عَلَى تَرْكِ الشَّهَوَاتِ، وَمُجَانِبَةِ الْمُنْهَبَاتِ، شَرَعَهُ لِيَعْلَمُنَا تَنْظِيمَ

معاشتنا، وتوحيد أمورنا نحن المسلمين، شرَّعه ليلوكم أيكم أحسن عملاً، وليُصفي عليكم تعالى بسبب الصوم من أفضاله وإنعامه، فالصوم وسيلة عظمت لتقواه تعالى وتقواه جماع خير الدنيا والآخرة، فلقد أودع الله فيه من الحكم والأسرار والمصالح الدنيوية والأخروية ما هو فوق تصوُّرات البشر؛ ورتب عليه تعالى من جزيل الثواب وعظيم الجزاء ما لو تصوَّرتَه نفسٌ صائِمةً لطارت فرحاً وغبطة، وتمتت أن تكون السنة كلها رمضان لتبقى دوماً ممتعة بهذا الروح والريحان؛ يقول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله: «كل عمل ابن آدم له الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف» قال الله تعالى: «إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ».

فأتقوا الله أيها النَّاس؛ وأدوا فريضة الصيام بإخلاص ورجب وصبر وطواعية، أدوها كما يؤدِّيها المؤمنون الخُلص محفوظه عن كل ما يُشِينها. فالصوم الحقيقي ليس مجرد الإمساك عن الأكل والشرب والتمتع الجنسي فحسب؛ ولكنه مع ذلكم إمساك وكف: عن اللغو والرفث والصخب والجدال في غير حق؛ إمساك وكف: عن الغيبة والتميمة وقول الزور وشهادة الزور؛ إمساك وكف عن الكذب والبهتان والهمز واللمز والأيمان الكاذبة؛ إمساك عن السباب وعن قذف المحصنين والمحصنات، إمساك وكف عما لا يحلُّ سماعه من هو وغيبة وغيرهما؛ إمساك عن إرسال النظر إلى ما لا يحلُّ؛ فالصائم حقيقة من خاف الله في عينيه فلم ينظر بهما نظرةً مُحرَّمةً؛ وآتقاه تعالى في لسانه فكفَّه عن الكذب والشم والغيبة وكل قولٍ مُحرَّم، وخشيه في أُذنيه فلم يسمع بها مُنكراً؛ خشيه في يديه فمنعهما من السرقة والغضب والغش والإيذاء، خشيه في رجليه فلم يمش بهما ليرتكب مُنكراً؛ خشيه في قلبه فطهره من الحقد والغل والحسد والبغضاء. قال جابر رضي الله عنه: «إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَلسانَكَ عن الكذب والمحارم ودغ أذى الجار وليكن عليك سكينه ووقار. ولا تجعل يومَ صومك ويومَ فطرك سواء». وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ لَمْ يَدَغْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلُ بِهِ وَالْجَهْلُ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ». وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمَ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرِفْثْ وَلَا يَفْسُقْ وَلَا يَجْهَلْ: فَإِنْ أَمْرٌ سَابَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ». فالله الله: أيها الأخوة في حفظ الصيام فإنه نعمه كبرى نعمه بها تكفر الذنوب، وترفع الدرجات، وبه يقهر العبد الشيطان، لأنه يجري مع الشهوات وهي تضعف بالصوم، وبه تقوى

صلة العبد برَّبِّه لَأَنَّهُ عمل خفي وكلما كان العمل خَفِيًّا كان أَقْرَبَ للإِخْلاص،
فاحفظوه يُضَاعَفْ لَكُمْ ثَوَابُهُ، وتَحْمَدُوا عُقْبَاهُ يَوْمَ الْقُدُومِ عَلَى اللَّهِ، يومَ الفَرْحَةِ
العُظْمَى، التي قال فيها ﷺ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ».
أقول قولي هذا: وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلِكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ
وَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

* * *

□ فضل عشر رمضان وليلة القدر □

الحمد لله، الذي هدانا للإسلام ووفقنا لإدراك شهر الصيام والقيام، أحمده سبحانه، وله الحمد في البدء والختام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ورضي الله عنهم وعمّن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعد: فيا عباد الله: إنكم اليوم تستقبلون عشر رمضان المباركة التي حصلت فيها أول انطلاقة للإسلام وأول مشعّ لنوره الوضّاء، عشر رمضان التي نزلت فيها الهداية الربّانية وأخذ العالم العلوي فيها يتّصل بالعالم الأرضي: عشر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان: عشر شرفت بليلة القدر العظمى المباركة التي شهد لها الحقُّ سبحانه بأنّها خير من ألف شهرٍ وبأنّها مباركة ويفرق فيها كلُّ أمرٍ حكيم، وتنزل فيها مواكب الملائكة الكرام إلى الأرض يحفُّ بهم السلام ينزل فيها أشرف الملائكة الروح الأمين وسفير الله بينه وبين سائر المرسلين: جبريل عليه الصلاة والسلام، ينزلون فيها لكثرة ما ينزل الله فيها على عباده من البركة والرّحمة والعتو والرضا والغفران، ولتزيّن المؤمنين فيها بألوان الطاعات وكثرة القربات، ينزلون فيها ليحفوا بالمصلين ويسلموا على المؤمنين ويشهدوا للطّائعين.

فيا أيّها المسلمون - الرّاجون عفو الله ومغفرته ورضاه، تعرّضوا لذلك بفعل أسبابه، واتّقوا الله، وأروه تعالى من نفوسكم خيراً، أروه تعالى رجوعاً صادقاً إليه وقلوباً خاشعة له منكسرة بين يديه وعيوناً محشرجة بالدموع خوفاً من عقابه ورغبة في ثوابه وألسنة تالية لكتابه مُسبّحة لجلاله أروه دوماً خيراً بالإخلاص له في الأعمال والصدق في الأقوال، بتعظيم شعائره واحترام مقدّساته زمنيّة ومكانيّة، وتعرضوا بأعمالكم الطيبة وعزمكم الصادق على الرّشد لنفحات برّه وقُدسه فإنّ له تعالى في هذه الأيام نفحات، إنّها أيام وليالي إعتاق الرّقاب وقبول المتاب، إنّها أيام وليالي

مضاعفة الحسنات ورفعة الدرجات، إنها أيامٌ وليالٍ كان رسول الله ﷺ رغم ما هو مُحَمَّل به من أعباءِ الرِّسالة وتبليغِ الدَّعوة ينقطع فيها عن الناس ويُفرغ نفسه لمُناجاةِ رَبِّه وتلاوةِ كتابه، والقيام بين يديه آناء الليل راکعاً وساجداً يدعو رَبِّه رغباً ورهباً؛ روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شدَّ المئزر وأحيا ليله وأيقظ أهله». ورويا عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده».

عباد الله: إن الله سبحانه وتعالى قد تفضَّل عليكم بأن أبلغكم أيام رمضان المشرفة، ولياليه المباركة، وإن ذلكم لنعمة كُبرى واجبة الشكر وشكرها يتجلَّى في اغتنامها، فاتقوا الله واغتنموا بالأعمال الصالحة. اغتنموا ما بقي فإن أحدكم لا يدري أين هو من رمضان، وأين رمضان القادم منه، وإن الله - سبحانه وتعالى - لما أعطى أمة محمد - ﷺ - ليلة القدر حدَّدها في ليالٍ قليلة، وأخفاها بين غضون تلکم الليالي، أخفاها إهاباً بكم وحثاً لكم أيها المسلمون، بأن تستمروا في طاعته وتستغرقوا في مناجاته ولتُكبروه تعالى على ما هداكم له، لتفوزوا بجزاء الشَّاكرين، وعظيم مثوبة الطائعين. يقول ﷺ: «من قام رمضان وصامه إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه». ويقول: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه». ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا، بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ، حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

أقول قولي هذا، وأسأل الله بأسمائه الحسنى أن يجعلنا وسائر المسلمين من المقبولين وأن يختم لنا بالصالحات والخيرات الحسان وأن يجعل خير أعمارنا آخرها وخير أعمالنا خواتيمها، وأن يجعل أبرك أيامنا يوم تلقاه. إنَّه تعالى حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

□ مكانة البيت العتيق وحجه □

الحمد لله: الذي هدانا للإسلام وهياً لنا وسائل زيارة بيته الحرام، أحمدته سبحانه، وأسأله أن يكتب لنا حجاً مع الحاجين، ويجعلنا من خيرة وفده المكرمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل البيت مثابة للناس وأمناً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أفضل الملبين وخاتم النبيين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ما حج بيت الله وعظمت شعائره.

أما بعد .. فيا عباد الله إن أمامكم اليوم لموسماً عظيماً، موسماً يجتمع فيه للعامل شرف الزمان والمكان، ونزول القرآن، موسم حج بيت الله العتيق الذي جعل الله قلوب الناس تهوي إليه وترق لذكره وتخضع عند رؤيته إجلالاً لله وتعظيماً لشعائره، بيت جعله الله أول بيت وضع للناس، مباركاً وهدى للعالمين، مباركاً تعم بركته نواحي الحياتين لمُعظميه، ففي الدنيا سعة الأرزاق ووفرتها، ومتعة النفوس وأمن القلوب، وفي الآخرة تتجلى بركته على مُعظميه بالفوز بقاء الله - سبحانه - وحسن الوفاة عليه، بيت يطوف به الجاني فيُغفر ذنبه، ويلوذ به الخائف فيؤمن خوفاً، بيت له مكانته الكبرى في الأرض والسماء منذ القدم فقد أرى الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم مكانه وأمره أن يشيده بإخلاص وطهارة عقيدة، فَبناه خليلُ الله، أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بمساعدة ابنه إسماعيل على ما أمرهما الله سبحانه بنياه وهما يرددان: ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم﴾.

وبعد أن أكمله، أمر الله إبراهيم أن يُنادي في الناس بالحج: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ فتناصر إبراهيم صوته عن البلاغ، فقال الله: عليك النداء وعليّ البلاغ، فرقي إبراهيم على مرتفع قيل: جبل أبي قبيس وقيل غيره. فنادى في الناس بالحج. فأسمع كل شيء حتى من في الأضلاب، فأجابه من أجابه: بلييك اللهم لبيك. فتلكم التلبية التي يُجلبجل بها صوت الحجاج والعمار إجابةً لنداء الله على لسان خليله عليه الصلاة والسلام فكل من حج أو اعتمر فقد أجاب نداء إبراهيم.

فاتقوا الله أيها المسلمون: وأجيبوا نداء الله: بالتوجه إلى بقاعه المقدسة آمين
 البيت الحرام تبغون فضلاً من ربكم ورضواناً، فما أجمل يا عباد الله وفادة المسلم
 على الله؛ ما أجمل وأروع مشاركة المسلمين عندما يفدون إلى الله مُرتدين شبه لباس
 المسافر إلى الآخرة، يرددون: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد
 والنعمة لك، والمُلْك لا شريك لك». إنه والله لعمل عظيم ومنظر هائل يُثلج الصدور
 من ناحية ويذكرها ويعظها من ناحية أخرى، منظر رؤية الوافدين إلى الله: رؤية أناسٍ
 مُختلفي اللغات والأجناس جاءوا إلى المشاعر المقدسة من كل فج عميق ممتطين
 رواحلهم، ومنفقين أموالهم وتاركين أوطانهم وأهلهم ومصالحهم إرضاء لله، جاءوا
 ليشهدوا منافع لهم وليذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة
 الأنعام وليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق. جاءوا لحضور أكبر
 مجمع إسلامي وأروع مشهد روحي يتجلى فيه الحق على عباده فيباهي بهم ملائكته
 يقول: انظروا إلى عبادي جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق أشهدكم أنني غفرت
 لهم. ويقول تعالى لعباده عشية عرفة: أفيضوا مغفوراً لكم ولمن شفعتم فيه ولذا ما
 رؤي الشيطان أصغر ولا أحقر ولا أذل منه في ذلكم اليوم إلا ما رؤي يوم بدر.

فيا أيها المسلمون - إن الحج لمغنم عظيم. وإن سبله قد يسرت فاغتموا
 الاستكثار من الحج والعمرة فإن متابعتها تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث
 الحديد. وإن السفر إلى الحج والعمرة لسفر إلى الله وفي سبيل الله. روى أحمد والنسائي
 عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ قال:
 «نعم عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة». وروى أحمد عن بريدة قال: قال
 رسول الله ﷺ: «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمئة ضعف». يقول
 سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَكَتْهُ مَبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ
 آيَاتٌ بَيِّنَاتٍ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
 إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى أن يُبارك لنا في كتابه الكريم وأن يفيض
 علينا من شفائه وهداه. إنه تعالى غفور رحيم.

□ الحج والعمرة وأثارهما □

الحمد لله: الذي هدانا للإسلام وهياً لنا بفضلِهِ وكرمه وسائل حج بيته الحرام، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ وباركْ على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ وباركت على إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، وسلِّم تسليماً كثيراً.

أما بعد - فيا أيها المسلمون - لقد بُنيَ دين الإسلام على أسسٍ ثابتةٍ وقواعدٍ متينةٍ بإقامتها يمشي صاحبه على نورٍ وهدى من الله، وبفقدانها يمشي مُدعى كالمكبِّ على وجهه ولا يستويان أبداً لا دنياً ولا أخرى: ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراطٍ مستقيم؟﴾.

وإن من بين هذه الأسس التي يقوم عليها الإسلام الصحيح حجُّ بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً. يقول ﷺ: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحجُّ بيت الله الحرام». ويقول تعالى مُبيناً حتميةً وجوب الحج على المستطيع ومقرراً لوجوبه بلام الإلزام والوجوب: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾. ويؤكد هذا الإلزام بأنَّه ما هو إلا الحج والإسلام أو تركه جحداً والكفر. يقول سبحانه: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ وختام الآية الكريمة يبيِّن أن الله سبحانه لم يشرع الحج ولا غيره من التكاليف لحاجته إليه، فهو تعالى الغني عما سواه. الخلق خلقه، والناس جميعاً عبده، آمنوا أم كفروا، لا تنفعه طاعتهم، ولا تضره معصيتهم ولكنه شرعه لصالحهم، لصالح المطيع وإقامة الحجَّة على العاصي، نعم شرعه لصالحهم فقد جاءت النصوص مبيِّنة حسن عقبي الحجِّ على أهله في الدنيا والآخرة ففي الدنيا وفره الأرزاق ومتابعة الخلف ومحاربة الفقر والذنوب، يقول تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ ويقول ﷺ فيما رواه الترمذي والنسائي: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد». ويقول فيما رواه أحمد والبيهقي بسندٍ حسن: «النفقة في الحج

كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف» وقد بين تعالى مضاعفة الإنفاق في سبيل الله بقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وفي الآخرة: وما أدراكم ما جزاء الحج المبرور في الآخرة: جزاؤه حبة الخلد التي فيها ما تشتهيہ الأنفس وتلذ الأعين وأهلها فيها خالدون؛ يقول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». وتظهر صفات الحج المبرور في قوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرِفْثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». وقوله فيما رواه أحمد وابن خزيمة وغيرهما وقد سُئِلَ عَنْ بَرِّ الْحَجِّ فَقَالَ: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الْكَلَامِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ».

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، واغتنموا هذه الفضائل بالمبادرة إلى حج بيت الله الحرام الذي جعل الله قلوب الناس تهوي إليه وجعله لهم مثابة وأماناً، فاستكثروا من حجة رغياً في هذا الفضل العظيم، وإظهاراً لشكر نعم الله فقد أُتِيحَ لَكُمْ وَاللَّهُ فِي هَذِهِ الْأَرْزَامَانِ مَا لَمْ يُتَّحَ لِمَنْ قَبْلَكُمْ فَالْسَّبِيلُ مُؤَمَّنَةٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَوَسَائِلُ الرَّاحَةِ مُهَيَّئَةٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَوَسَائِلُ النُّقْلِ مُيسَّرةٌ، وموفورة بصفة لم يكذب بحلم بها أي إنسان، ومنادي الحج قد نادى فيكم بالرحيل. يقول تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

ويقول ﷺ فيما رواه مسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ اللَّهُ فَرَضَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا». فلبوا هذا النداء أيها المسلمون، لبوه من قلوب مفعمة بالإيمان مخلصه أعمالها للواحد الأحد الملك الديان، لبوه فإن أحدكم لا يدري ماذا يعرض له فلعله لا يصبح بعد إمساء أو لا يمسي بعد إصباح، لبوه بقول: «لَبَّيْكَ عَمْرَةَ لَبَّيْكَ حَجًّا، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ. لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ. إِنْ الْحَمْدُ وَالنَّعْمَةُ لَكَ وَالْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ»، لبوه فمن لبى نداء الله بإخلاص لله ومتابعة لرسوله فهو وافد على الله، وحق لو افد على أكرام الأكرمين أن تحسن وفادته. روى النسائي والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَفَدَّ اللَّهُ ثَلَاثَةَ: الْغَازِي، وَالْحَاجِّ، وَالْمُعْتَمِرِ». وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ شَعِيبٍ

عن أبيه عن جدّه أن رسول الله ﷺ قال: «الحجّاج والعمّار وفد الله، إن سألوا أعطوا وإن دعوا أجيبوا وإن أنفقوا أُخلف لهم».

فاتّقوا الله - أيها المسلمون - وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السمّوات والأرض أعدّت للمتّقين، اتّقوا الله يا من أقدركم الله على الحج واحذروا أن تؤخّروه، والقُدرة التي لا تُعذر معها أيّها المسلم وعبر عنها باستطاعة السبيل هي: أن تكون صحيح الجسم وعندك من المال ما ينفق عليك ذهاباً وإياباً ويؤمن من تعولهم حتى رجوعك وأن يكون الطريق آمناً. فيا من يملك هذه ممّن بلغ الحلم من رجل أو امرأة مع وجود محرم لها، احذروا أن تؤخّروا الحج فقد هُددتم وتوعدتم بقوله الله: ﴿ومن كفر﴾، وبقول رسوله ﷺ فيما رواه الدارمي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله: «من لم يمنعه من الحجّ حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحجّ فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً» وبما روي عن خبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه في تفسير قول الله تعالى: ﴿قال ربّ ارجعون﴾ روي عنه أنّه قال: ما منكم من أحد له مال فلم يؤدّ زكاته، ولم يحجّ منه إلا سأل الرجعة عند الموت.

أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى أن يُبارك لنا في كتابه الكريم وأن يغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات إنّه غفور رحيم.

* * *

□ إتمام الحج والعمرة □

الحمد لله: حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحبه ربنا ويرضاه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله شهادةً أرجو بها النجاة يوم نلقاه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه صلاةً وسلاماً دائماً إلى يوم الدين.

أمَّا بعد - فإيا أيُّها المسلمون - في هذه المناسبة الطيبة العظيمة المحببة إلى النفوس المسلمة، والتي يجتمع فيها للعامل شرف الزمان والمكان ونزول القرآن، مناسبة حج بيت الله الحرام الذي جعل الله قلوب الناس تهوي إليه وجعله لهم مثابة وأمناً ..

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقاً

هذه المناسبة التي من وقعت له على الوجه المطلوب كفرت بها ذنوبه وحطت بها عنه خطاياها. يقول سبحانه وتعالى بعد أن أمر بإتمام الحج والعمرة وما يطلب فيهما: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ أي من انصرف من الحجاج في اليوم الثاني عشر أو انصرف في اليوم الثالث عشر فإنه ينصرف ولا إثم عليه أي قد حطت عنه ذنوبه ولكن هذا الوعد للمتعجل والمتأجل منهم مشروط حصوله بتقوى الله في الحج الذي هو سبب هذا الخط. قال تعالى بعد ذلك: ﴿لمن اتقى﴾ أي اتقى الله في حجه. يفسره ويوضحه قوله ﷺ: «من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

أذكركم- والذكرى تنفع المؤمنين- أذكر من اعترم تلبية نداء الله والتعرض لنفحات برّه وقده في مكان وزمان وأحوال التفحات والتفاحات والتفاحات بأن الحج عبادة عظيمة. ومعلوم أن العبادة لا تكون صحيحة ولا مقبولة ولا نافعة عند الله إلا إذا توفّر فيها الإخلاص والمتابعة، الإخلاص لله لقوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾، ولقول رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما

لكل امرئ ما نوى». وامتابعة لرسوله لقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ وقوله: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾. وقول رسوله: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أي مردودٌ على صاحبه. فيتحتم أولاً وقبل كل شيء على مرید الحج أو العمرة أن يقصد بعمله وجه الله تعالى والدَّار الآخرة، وأن يجرده من أطماع الدُّنيا ويتعد به عن الرِّياء والسمعة والمفاخرة وغير ذلك من الأعمال التي لا يُرفع معها عمل والعباد بالله، بل تحبط معها الأعمال ويعذب بها صاحبها. يقول تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾، ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه». رواه مسلم.

كما يجب عليه - ثانياً - أن يكون متقيداً في حجِّه وسائر عباداته بما صحَّت به الأخبار وأثر عن رسول الله ﷺ، امثالاً لأمر الله ﷻ ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾. وقول رسوله: «خذوا عني مناسككم» أي تعلموا مني أعمال حجِّكم واقتدوا بي فيها.

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وإذا نويتم الحجَّ أو العمرة فأخلصوا النية فيها لله وحده، وإذا تلبستم بهما، فأتوهما لله كما أمركم تعالى بذلك في قوله: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ وتماهما يتمثل في إخلاصهما لله وحده، والتأسي فيهما برسول الله ﷺ، وإن التأسي به فيها لسهل ويسير والحمد لله، فصفة حجِّه وفتاواه في الحجِّ معلومة لدى علماء المسلمين، ثابتة محفوظة بنقل الثقات عن الثقات رواها جابر بن عبد الله وعبد الله ابن عمرو وابن عباس وعائشة وغيرهم من كبار الصحابة رضوان الله عليهم ممن حجوا معه ﷺ. فيجب على كل مسلم فرض الحج أن يقتدي برسول الله، فيبحث إذا أراد أن يحرم مثلاً كيف أحرم رسول الله وكيف علّم الناس الإحرام ثم إذا أراد أن يطوف بالبيت أو أن يسعى بين الصفا والمروة، كيف طاف وسعى رسول الله، وهكذا دواليكم في الخروج إلى منى ثم إلى نمره فعرفات ثم في الإفاضة منها إلى المشعر الحرام ثم

في الإنصراف منه، وفي رمي الجمار والنحر والحلق والطواف والإقامة بمنى ورمي الجمرات أيامها والنفر.

وإنه ليجدر بالمسلم أن يختار لصحبته في سفر الحج وفي تلکم المواقف المقدسة ومهابط الرحمة والغفران، أهل التقى والفقہ في الدين ممن يعينون على أداء المناسك على الوجه الأكمل، ولعل عملاً صالحاً يرفع لأحدهم فيشفع أو دعوة تُستجاب فتنتفع أو رحمة تنزل فتعم، ففي الحديث: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» كما يجدر بالمسلم أيضاً بل يجب على كل من يرجو ثواب الحج وقبوله: ألا يدخله إلا بنفقة طيبة، ففي الحديث الصحيح: الذي رواه مسلم: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» والطيب هو الحلال الذي لا شبهة فيه؛ وفي معنى هذا الحديث ما رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الحاج بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنأدى: لييك اللهم لييك، ناداه مُنادٍ من السماء: لييك وسعديك، زادك حلال، وراحتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنأدى لييك، ناداه مُنادٍ من السماء: لا لييك ولا سعديك. زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مبرور».

كما يجب على كل مسلم فرض الحج وجوباً حتماً أن يتجنب الرفث والفسوق والجدال في الحج: ومن أظفَعُ الفسوق إيذاء المسلمين ومضارتهم؛ ولا سيما وفد الله منهم وضيوف رحابه: حجج بيته، وزوار بقاعه المقدسة، وأشنع المضارة مضارتهم حال تلبسهم بالعبادة؛ كبعد الإحرام وفي الطواف ولدى رمي الجمار وما إلى ذلكم. فمضارة المسلمين شنيعة وقيحة: في كل مكان وزمان. يقول ﷺ فيما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها: «من ضار مسلماً ضاره الله ومن شق على مسلم شق الله عليه»، وتتضاعف شناعة المضارة ويشتد أثرها، إذا ضار صاحبها وادأ على الله أو ولياً من أولياء الله أو في مكان أو زمان حرام ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾.

فيا أيها المزمعون على الحج إنكم ستوجهون إلى جواد كريم مطلع علم فتوجهوا إليه تعالى بإخلاص وعزيمة صادقة ورغب ورهب، وعزم على التزام الفضائل، والبعد عن الرذائل وتوبة صادقة، نصوح، من جميع ما أسلفتم من الذنوب، وجانبوا

الرفث والفسوق والجدال في الحج، وأطعموا الطعام، وطيب الكلام، وأفسوا السلام
يطيب مسعاكم ويبرِّحْكُمْ وتفوزوا برضا الله ورضوانه وعفوه وغفرانه، إِنَّه تعالى
هو أَهلُ التَّقْوَى وأهلُ المغفرة.

* * *

□ الهجرة النبوية □

الحمد لله ربّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً، أحمدته سبحانه، حمداً مملء السموات ومملء الأرض ومملء ما شاء من شيء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الألوهية والعبادة، الحقيق بها في كل زمان ومكان القائل في كتابه الكريم: ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّاي فَاعْبُدُون﴾، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ - وعلى آله وأصحابه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَوْلَىٰكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. يَشْرَهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

أما بعد .. أيها المسلمون في مطلع كل عام هجري يتذكر المسلمون كثيراً حادثة هجرة نبيهم عليه الصلاة والسلام حادثة بداية إنطلاقهم وتخلصهم من ولاية الجبروت والتمرد والكفر.

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا ألا إنه من بلدة الكفر نجاني يتذكرونها فيذكرونا مواقف أسلافهم وتضحياتهم بما طلب الإسلام التضحية به من نفس أو مال أو وطن، يتذكرونها فيذكرون مواقف ومؤامرات أعدائهم الأثيمة السوداء ضدهم، يتذكرون أن الحق لا يلتقي مع الباطل وأن الكفر لا يتصادق مع الإسلام ولن يصدق الكفر الإسلام أبداً ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وما أعظم وأشد وقع الذكريات في النفوس.

ذكريات البطولات الخالدة «ذكريات مثل ذكريات الهجرة والجهاد والصبر والمصابرة، ذكريات لا تنسى ولن تنسى مدى الأزمان. فقد سجلها وحي السماء، وتكفل الله بحفظها، ذكريات هجرة رسول الرحمة ونبى الإنسانية جمعاء، عليه الصلاة والسلام. ففي قرابة الثلاث والخمسين من عمره المبارك بعد أن أمضى زمناً طويلاً في الدعوة إلى الله، دام صراعه خلالها مع الباطل في مكة قرابة ثلاثة عشر عاماً، اشتد أذى قريش له ولبن آمن به من المستضعفين حتى بلغ حداً كبيراً من الإيلام لا يقدر أو يتصور، وماتت زوجته خديجة، رضي الله عنها، التي كانت تؤنسه وتواسيه، ومات عمه أبو طالب الذي كان يضيفي على رسول الله بصفته ابن أخيه نوعاً من الحماية؛ تدرأ عنه سفه المعتدين؛ ماتا في عام واحد حتى سُمي

ذلكم العام، عام الحزن، فضاعت مكة على سعتها برسول الله ﷺ وبمن آمن به من المستضعفين وأضحوا في حالة ضيقة محرجة، دعواهم فيها ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ نعم، ضاقت بهم - لا لذاتها، فهي أقدس البقاع وأحبها إلى رسول الله - ولكن لضيق صدور أهلها، بل وضاق بهم ما حولها؛ فقد ذهب ﷺ إلى الطائف يلتمس من يؤمن به أو يؤويه وينصره فرجع منها والدم يسيل على عقبه مُطارداً بالحجارة وشكواه لدى من يسمع الشكوى: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي وَقَلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ» فانفتحت أمام هذه الشكايات والدعوات المنبثقة من القلوب، حُجُب السماء وانشقت خلال هذه الأشواك المؤذية والمضايقات العنيدة: أرض «يثرب» الطيبة؛ عن تَبَّتْ أخضر، فلقد بايع محمداً ﷺ في موسم الحج جماعة من الأنصار: سكان المدينة مرتين؛ بايعوه على حمايته ونصرته ومنعه مما يمنعون منه أنفسهم وأهلهم فكانت هذه البيعة بداية لإظهار شرع الله وإقامة دينه. فهاجر ﷺ من مكة إلى المدينة هو وأصحابه الكرام ووصلها وهو في ثامن ربيع الأول، هاجر ذلكم المهاجر الميمون الذي أشاد به القرآن الكريم، أشاد بذكر من هاجروا ومن تقبلوا المهاجرين وواساهم وآواهم ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ، يَجِبُ عَلَى مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَفِّقْ اللَّهُ شَيْئًا فَلَا يُغْوِيهِمْ يَفْعَلْ﴾. وما هذه الهجرة هجرة ذل أو يأس؛ كلا؛ وأتى ليأس أو ذل أن يُخامر قلوباً مؤمنة بالله؛ ومصدقة بوعده؛ ولكنها سياسة حكيمة، لبداية النصر والفتح؛ وتمهيد وتدبير للإطاحة بالباطل والقضاء على الطغيان، فما هي إلا برهة من الزمن ثم ترى مردة قريش وصناديدها ممن وقفوا في وجه الدعوة إلى الله تتساقط في بدر على أنوفها ما بين صريع على وجهه وأسير في وثاقه ما هي إلا سنين قليلة ثم عاد ذلكم الذي هاجر من مكة، مُختفياً مطارداً يجعل لمن يرده مائة ناقة .. يدخلها فاتحاً من أعلى طريق: مكبراً الله في عزة وجلال ووفاء وبر ووصل ونصر، ويؤمنهم بقوله: «مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ» حتى وصل الكعبة فجعل يكسر الأصنام المعلقة بها ويقرأ قول الله تعالى:

﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ ويُؤتى بعد بمن آذوه من قبل فيقول: «ما تظنون أنني فاعل بكم؟» فيقولون: أخ كريم وابن عم كريم؛ فيقول: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وتذكروا، حين يمر بكم ذكر هذه الوقائع وأمثالها، ماضي سلفكم المجيد، وفخارهم الخالد، الذي بنوه بصبر وتحمل وتضحية بالأموال والأوطان. تذكروا ذلكم - دائماً - وخذوا منه قدوة حسنة؛ ومثلاً أعلى في إخلاص العمل لله وحده؛ والتفاني في إعزاز دينه ونصرة شرعه في الصبر والثبات والتحمل، في مطاردة الضعف والخور والاستكانة، في بذل أوثق الأسباب مع صادق الإيمان وخالص التوكل وقوة عزم وثقة بالله، وحفاظ على حدوده؛ وثقوا أنكم إذا تحلّيتُم بهذه المبادئ، واتخذتم من سيرة الرسول الأعظم وصحبه الكرام قدوة حسنة ومثلاً أعلى أن الله سيحقق لكم وعده كما حققه لسلفكم من قبل ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات، ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ وإلا تتخذ من ذلكم مثلاً أعلاه وقدوة حسنة يستبدل قوم غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

أقول قولي هذا، وأسأل الله العظيم أن يبارك لنا في كتابه الكريم وأن يلحقنا بمن قال فيهم بعد ذكر المهاجرين والأنصار ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

* * *

□ اغتنام فرصة الشباب □

الحمد لله: ذي الحَوْل والظَوْل لا إله إلا هو الحي القيوم؛ الحمد لله الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، الحمد لله الأول الذي ليس قبله شيء، والآخِر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، وأشهد أن لا إله إلا الله العلي الأعلى الذي خلق فسوّى، والذي قدّر فهدي؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خيرٌ مُجتبى وأكرم مصطفى، اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه كما صلّيت وباركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

أمّا بعد: فيا عبادَ الله، اذكركم والذكرى تنفع المؤمنين، اذكركم بشيء من مفاد وتأويل قوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾.

أيها الناس لقد سيقّت هذه الآية الكريمة للادّكار والاعتبار وبيان قدرة الله تعالى، ففيها يُنبّه جَلّ وعلا بني الإنسان إلى أصل خلقهم ثم إلى الأدوار التي مروا وسيمرون بها في هذه الحياة؛ وقد جاء ما أشارت إليه هذه الآية، مفصلاً في كتاب الله، فأصل خلق آدم من تُراب ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون﴾ وأصل خلق ذرّيته من ماء مهين، من نظفة كما هو معروف ثم من علقّة ثم من مُضغّة ثم يصير عظاماً ثم تُكسى العظام لحماً وتُنفخ فيه الرّوح ثم يخرج من بطن أمّه إلى الدُّنيا ضعيفاً واهن القوي، أحوج ما يكون إلى غيره ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ ثم يأخذ في القوّة حتى يصير شاباً مُكتمل القوي ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوّة﴾ ثم يأخذ في النقص فيكتهل، ثم يشيخ ثم يهرم ﴿ثم جعل من بعد قوّة ضعفاً وشيبة﴾ ﴿صنع الله الذي أتقن كلّ شيء إنّه خير بما تفعلون﴾.

أيها الناس - لقد أنعم الله عليكم بأن أوجدكم من العدم، وخلقكم في أحسن تقويم، وكرّمكم أحسن تكريم وأعدكم أحسن إعداد ووهب لكم السمع والبصر والفؤاد وهذاكم النجدين وأوضح لكم الطريقين: طريق النجاة والسعادة، وطريق

الهلكة والشقاوة؛ وأسبغ عليكم نعمته ظاهرةً وباطنة وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه .. فماذا يبقى من عُذرِ أيُّها المسلمون بعد هذا الإنعام؛ بعد هذا التذكير من الله وبيان المصير؟ ماذا يبقى من عُذرٍ لدى مَنْ عِلْمَ عِلْمِ اليقين أَنَّهُ مرَّ بدورين من هذه الأدوار الثلاثة: دور الضعف الأول ودور الشباب وهو دور القُوَّة ولم يبقَ له إنْ وُهِبَ له استكمالُ العُمر العادي إِلَّا الدور النهائي الذي هو دور الضعف وانحطاط القوي، دور تجعُّد البُشرة وتقلُّص الجسم، وتقارب الخطي، دور ذهاب البهاء والنضارة، والدُّنو من الموت لا محالة. ماذا يبقى لشيخٍ أمهل حتى شابت اللمة وضعفت الهمة؟ ماذا يبقى لدى مَنْ أدرك سرَّ إيجاده في هذه الحياة؟ ﴿وما خلقت الجنَّ والإنسَ إِلَّا ليعبدون﴾.

ماذا يبقى لمُسلمٍ عِلِمَ أَنَّهُ سيُسأل عن هذه القُوَّة وعن هذا الشَّباب فيما استفده؟ ماذا يبقى أيُّها المسلمون؟ أيبقى طول الأمل ونسيان الأجل؟ كلا؛ لا يجوز ذلكم أم يبقى التسوييف والتأويل حتى يؤخذ الإنسان على غرَّة فيُفارق عالم الأحياء نادماً على ما قدم؟ كلا، لا يجوز أن يبقى شيء من ذلكم أبداً.

فاتَّقوا الله - أيُّها المسلمون - اتَّقوا الله يا شباب الإسلام ولا يُنسينَّكم ما أنتم فيه من قُوَّة ونضارة، ما أمامكم من ضعف وشيبة، فأبأؤكم ومَنْ تُشاهدون يتوكأ من الشيوخ أمامكم سلفكم وأنتم في الأثر، فاتَّقوا الله يشكر الله نعم الله عليكم، اتَّقوا الله بطاعته، اتَّقوا الله بالحفاظ على هذه الموهبة الرِّبانيَّة العظيمة، موهبة الشباب الناضر والفتوة المتوقِّدة، لا تُضيِّعوها في معصية فتظلموها، فالشَّباب النَّافع ما أفني في طاعة الله؛ ولقد أُعطيتم الشَّباب لتطيعوا الله فيه لا لتُحاربوه به، أُعطيتم الشَّباب غنماً لتغنموا باستغلاله في الأعمال الصَّالحة. يقول رسول الله ﷺ فيما روه الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنه: «اغتمم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغنك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك». ويقول فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أعذر الله إلى امرئٍ آخر أجله حتى بلغ ستين سنة».

ويقول خير قائل وأصدقه: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه مَنْ تذكَّر وجاءكم

النذير﴾.

أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى أن يختم لنا بالصالحات والخيرات الحسان،
وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أعمارنا آخرها وأبرك أيامنا يوم نلقاه. إنَّه
تعالى حسينا ونعم الوكيل.

* * *

□ موقف الحساب ومحاسبة النفس □

الحمد لله: ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين. أحمده سبحانه لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد - فيا عبادَ الله - اتّقوا الله ﴿واتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ اتّقوا يوماً يوضع فيه الكتاب وتلاقون فيه الحساب، يوماً يُنشر لكم فيه واضحاً ملفّ أعمالكم وديوان حصيلتكم من خير أو شر: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا وليتنا مال هذا الكتاب لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها؛ ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ ووضع الكتاب: إظهار صحف الأعمال وإعطاء كل امرئ كتابه وإبراز سجل ما له فيه، يقرأه وإن لم يكن قارئاً: ﴿وكل إنسان أزمانه طائره في عنقه ونُخِرْج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيياً﴾. وحسيياً بمعنى محاسباً وشاهداً على الإنسان فيما لو قدر أن ينكر شيئاً مما سُجّل عليه من ذنوبٍ وخطايا: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾. روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون مما أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربّه فيقول: يا رب ألم تُجرني من الظلم؟» فيقول سبحانه: بلى. فيقول: إني لا أجزى اليوم شاهداً إلا متي. فيقول تعالى: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيياً﴾، والكرام الكاتين شهوداً. قال: فيُختم على فيه، ويقول لأركانه: انظقي فتطق بأعماله، ثم يُخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكنّ وسُحقاً، فعنكُنّ كُنْتُ أناضل بقوله سبحانه: ﴿حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾.

فاتّقوا الله يا عبادَ الله اتّقوا ذلكم اليوم العظيم والهول الجسيم، اتّقوا ذلكم المواقف الذي ستقدّمون فيه للمسألة والمحاسبة، وسيوقف كلّ منكم فيه بين يدي الله متخلياً عنه فيه أقرب قريب وأصدق صديق، كما قال الله تعالى: ﴿يوم يفرّ

المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه ﴿موقفاً تُعَلُّ فيه أيدي الولاة في الثريا لا يُطَلِّقُهَا إِلَّا عدلُهم، ويُنشر فيه لكل غادر لواء فيقال هذه غدره فلان ابن فلان ولا تزول قدم امرئٍ فيه حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؛ فاتقوا يا عبادَ الله ذلكم الحساب بحاسبة نفوسكم قبل أن تُحاسِبوا، وبوزنها قبل أن تُوزنوا. يقول عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ويروي حديثاً عن رسول الله ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

اتَّقوا ذلكم الحساب باتِّقاء محارم الله والوقوف عند حدوده وامتنال أوامره، فإنَّ الله بعد ذلكم الحساب إمَّا فرحة لا حزن بعدها نعيم أبدي، وإمَّا ترحة لا سرور بعدها عذاب سرمدي. فبعد الحساب وقراءة الكتاب ينقسم النَّاس قسَمين: مسروراً يتلأأُ وجهه حبوراً وبهجة آخذاً كتابه يمينه يرفعه لمن حوله قائلاً: ﴿هاؤم اقرءوا كتابيه﴾ أي هلموا تعالوا انظروا حسن نتيجة محاسبتي، ونقاء صحيفتي، وما تقرَّر في مصري النهائي ﴿هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاقي حسايه، فهو في عيشة راضية في جنة عالية، قطفها دانية، كلوا واشربوا هيناً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾. وآخر حزناً يتحسَّر من فشله في المحاسبة ويدعو بالويل والثبور متحسراً ومتوجَّعاً على عظيم مال وكبير سلطانٍ لم ينفعه، ويتمنى أنَّه لم يرَّ صحيفة أعماله، وآلاً يراها أحد، قوله: ﴿يا ليتني لم أوث كتابيه ولم أدر ما حسايه يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه﴾.

وإنَّ فيما تُشاهدونه في أيام الاختبارات وخروج نتائج الامتحانات مما يبدو على وجوه الطلبة من فرح وانطلاقة أو حزن وانكماش لتمودجاً ورمزاً مصغراً يذكر بالحساب الأكبر والنتائج العظمية التي لا استئناف فيها ولا تمييز أو اعتراض عليها، فهو حُكْم أحكم الحاكمين وأعدل العادلين الذي لا تخفى عليه خافية. روى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيث حسناته قبل أن

يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».
أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى أن يجعلنا ووالدينا ممن يُحاسبون حساباً يسيراً
وينقلبون إلى أهلهم مسرورين. إنَّه تعالى غفور رحيم.

* * *

□ الأعمال الخالدة وأثرها بعد الموت □

الحمد لله: العليم الخبير، أحمده سبحانه وأستعينه وأستهديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وعلى كل من سار على نهجه.

أمَّا بعد. فإنا أيها الناس، لقد دعى الإسلام ذويه إلى الإكثار من أعمال البرِّ ومتابعتها، ولا سيما ما يتعدى نفعه، ويستمر إداره على الإنسان حياً أو ميتاً، يقول عليه السلام فيما رواه الإمام مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم يُتفع به، أو ولد صالح يدعو له». والمراد بالصدقة الجارية ما وقفه المسلم لله قبل الممات أو بعده بالإيضاء كعمارة المساجد، وإجراء المياه، وتسهيل الطرق وإعانة المحتاج، ونحو ذلك. وبالعلم النافع: ما استُمد من كتاب الله وسنة رسوله، وعمل به حقاً وبذل للناس، وفي هذا الحديث الشريف بيان عظم ثواب الوقف الجاري وبيان وعظم ثواب توريث العلم النافع، بالتعليم والتأليف والنشر وعظيم ثواب السعي في طلب الولد الصالح بالتزويج ابتداءً، ثم بتوجيهه وتربيته إذا وُجد، توجيهاً وتربية إسلاميين، كما وأن الحديث يحثُّ على العمل الصالح بوجه عام. والسعي في مواصلته واستمراره بعد الموت تضمنه قوله: «إلا من ثلاثة» فإنها لا تنقطع بالموت وتبقى مستمرة بعد موت صاحبها تدرّ عليه بالخير والأجر والدعاء له ممن عرفه وممن لم يعرفه. ولا غرابة - أيها المسلمون - فقد جاءت نصوص أخرى تدلُّ على أن العمل الصالح في الحياة، يخلد لصاحبه أجراً، وذكراً حسناً بعد الممات، يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ والمراد بآثارهم فيما فسره جماعة من العلماء، ما خلفوه بعدهم من أعمال صالحة تبقى جارية بعد مماتهم، وفي هذا المعنى يقول عليه السلام: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فِي الْإِسْلَامِ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ شَيْئاً» ويقول فيما رواه البيهقي وابن ماجه بسند حسن: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ أَوْ مَصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ

أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته».

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَّاسِ وَعَمَلٌ مَا يَتْرِكُ لَكُمْ ذِكْرًا حَسَنًا وَأَثَارًا تُحْمَدُ وَلِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ. تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ الَّتِي تَبْقَى وَيُظَلُّ أَجْرُهَا جَارِيًا بَعْدَ الْمَمَاتِ، عِلْمِيَّةٌ أَوْ مَالِيَّةٌ. فَنِعْمَ الْعِلْمُ وَاللَّهُ وَنِعْمَ الْمَالُ الَّذِي يَدْرُّ عَلَى صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، نِعْمَ الْعِلْمُ وَالْمَالُ الَّذِي يُذَكِّرُ بِهِ صَاحِبَهُ بِخَيْرٍ وَيَدْعُو لَهُ لِأَجَلِهِ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ بَعْدَ أَنْ يُوَدَّعَ الثَّرِي وَيَتَخَلَّى عَنْهُ الْأَهْلُ وَالْأَصْدِقَاءُ، بَعْدَ أَنْ تَتَمَرَّقَ أَوْصَالُهُ وَتَبْلَى عِظَامُهُ.

فَسَعِيًّا سَعِيًّا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَكْتِهْرِ الْأَعْمَالِ الْمُتَعَدِّيِّ نَفْعُهَا وَالْبَاقِي ذَكَرَهَا فَإِنْ أَحَدُكُمْ إِلَى مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ عَمَلٍ بَرٍّ وَخَيْرٍ أَحْجَجَ مِنْهُ إِلَى مَا قَبْلَهُ، وَمِبَادِرَةٌ مِبَادِرَةٌ إِلَى مَا يَخْلُدُ لَكُمْ الْأَجْرُ وَالثَّنَاءُ الْمُسْتَطَابُ الَّذِي تَضْحَكُونَ بِهِ أَحْيَاءُ وَأَنْتُمْ فِي عَالَمِ الْأَمْوَاتِ.

وحذار حذار - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - مِنْ وَقْفِ الْإِضْرَارِ وَالْمَحَابَاةِ كَمَنْ يَقْصِدُ بِالْوَقْفِ إِضْرَارَ شَرِيكَ أَوْ حَرَمَانَ وَارِثٍ، أَوْ نَفْعَهُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْوَرِثَةِ، فَالْوَقْفُ عِبَادَةٌ لِلَّهِ لَا تَصَحَّ إِلَّا إِذَا خُلِصَتْ لِلَّهِ وَتَمَشَّتْ مَعَ مَا شَرَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَحَرَّوْا بِمَصَارِيفِ أَوْقَافِكُمُ الْفُقَرَاءَ وَالْأَقْرَبَاءَ وَكَلِّمُوا بِشَمْلِ نَفْعِهِ وَتَشْتَدِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ كَالْمِيَاهِ وَالْمَسَاجِدِ وَالطَّرِيقِ وَالْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْكَتَبِ الدِّينِيَّةِ وَبِمَا يَنْفَقُ مِنْهُ أَوْقَاتِ الْمَسَاغِبِ وَالضَّرُورَاتِ وَالْأَزْمَانِ الْفَاضِلَةِ كَرَمَضَانَ.

روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: أصاب عمر أرضاً بخير فأتى النبي ﷺ يستشير به فيها، فقال: يا رسول الله إني أصبت أرضاً بخير لم أصب مالا قط هو أنفس عندي منها فما تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها». قال فتصدق بها عمر، أنه لا يُباع أصلها ولا يُتباع ولا يُورث ولا يوهب. قال: فتصدق بها عمر في الفقراء وفي القرى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم صديقاً، غير متمول فيه. يقول جل وعلا: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

أقول قولي هذا، وأسأل الله تعالى أن يُحيينا حياةً طيبة، وأن يتوفانا مسلمين،
ويكتب لنا لسان صدقٍ في الآخرين. إنَّه تعالى حسْبنا ونعم الوكيل.

* * *

□ مكانة شهداء الإسلام □

الحمد لله رب العالمين: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، أَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ حمداً ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئتَ من شيءٍ، وأشكرك وأستغفرك، وأشهد أنك أنت الله وحدك لا شريك لك، ولا حول ولا قوة إلا بك، بك نحول، وبك نصول، وبك نقاتل، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدك ورسولك الذي جاهد في الله حقَّ جهاده، جاهد بسيفه ولسانه وسانه صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

أما بعد: أيها المسلمون فقد روى الإمام أحمد وغيره أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضِرَ تَرْدُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مَعْلَقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَطْعَمِهِمْ وَمَشْرِبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يَبْلُغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا: أَنَا أَحْيَاءُ فِي الْجَنَّةِ تُرْزَقُ لَيْلًا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَيَنْكَلُوا عَنِ الْحَرْبِ، فَقَالَ تَعَالَى: أَنَا أَبْلِغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾». وروى البخاري ومسلم رحمهما الله عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيءٍ إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشرات مرّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ»، وفي رواية أخرى: «لما يرى من فضل الشهادة» وقال: «إن في الجنة مائة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله» متفق عليه. وقال: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار» رواه البخاري. وقد نص العلماء على أنه أفضل الأعمال بعد أركان الإسلام ولم يرد في شيءٍ فضل مثل ما ورد فيه.

أيها المسلمون: هذه النصوص وأمثالها من كتاب الله وسنة رسوله تبيّن حُسن جزاء الشهداء وعظم ثوابهم عند الله، ومعلومٌ أنه كلما عظم الثمن الذي يقدمه المشتري عظم المثمن الذي يتقاضاه، فالشَّهيد قدّم أعظم شيءٍ لديه وهو نفسه فباعها لوجه الله تعالى، وفقد بتقديمها وبيعها لله حياة الدنيا المليئة بالكبد والأحزان والآلام

فعوّضه الله بذلك حياة طيّبة، حياة نعيم وأنس وسلام. فلا حزن ولا أسى إذن على الشهيد. وقد أخبر الله عن الشهداء أنّهم ﴿أحياء عند ربهم يُرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾. روى البخاري أن أم حارثة بن سراقه أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ألا تحدّثني عن حارثة؟ وكان قُتل يوم بدر، فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء، فقال: «يا أم حارثة إنّها إجنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى فلا حزن ولا أسى على شهيد» ولا سيما الدعاة ومبلغي الأفكار الإسلامية والمعتقد السلفي فإنّهم باستشهادهم يؤثرون على دعوتهم أكثر من لو عاشوا لها وبقوا عليها مئات السنين، وإنّما الحزن والأسى من فعلة الأعداء الشنعاء التي عومل بها شهداء الإسلام ويعامل بها دعائه قديماً وحديثاً، وما يُقصد من وراء هذه المعاملة من محاربة الإسلام ومحاولة القضاء عليه، والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

أيها المسلمون - إن لأجل الإنسان نهاية محتومة لا يتجاوزها أبداً ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ وإن الميتة واحدة، وإن تنوّعت أسبابها: ومن لم يمّت بالسيف مات بغيره

تنوّعت الأسباب والموت واحد

وإن أفضل نهاية ينتهي بها المؤمن من هذه الدنيا، المفارقة لا محالة: هي نهاية الشهداء، وأفضل الشهادة شهادة الأنبياء فأتباع الأنبياء ممن ينادون بما نادى به الأنبياء من أفراد الله سبحانه بالعبادة وحده، وإفراده بالحاكمة بحيث تُحكم الأرض بما أنزله تعالى على رسوله محمد بن عبدالله، لا بقومية أبي جهل وجاهليته الجهلاء، ولا بشيوعية ماركس اليهودي الموتور الحمراء، ولا ببعثية عفلق الضلالة الدموية السوداء وإنما بالقرآن وسنة خير الأنام، بشريعة الله التي أنزلت لصالح البشر، وأوجد البشر للعمل بها، ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾. فاتّقوا الله يا قوم بطاعة الله واطلبوا الشهادة بصدق وإخلاص فإنها لأشرف الغايات وأعظم الأمنيات، ومن طلبها بصدق كتبت له، أو كتب له أجرها. يقول

ﷺ فيما رواه مسلم عن سهل بن حنيف: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»، فاطلبوا الشهادة بجهادكم بأموالكم وأنفسكم وألستكم في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله لا في سبيل النعرات الإقليمية أو القبليّة ولا في سبيل المبادئ المنافية للإسلام التي مصيرُ قتلاها جهنم يصلونها وبئس القرار، وإنّما لله وفي سبيله وإعلاء كلمة الله. سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل سجاعةً ويقاتل حميةً ويقاتل رياءً، فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» أقول قولي هذا وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى أن يحشرنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً؛ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا.

* * *

□ نموذج من الخطبة الأخيرة للجمعة □

الحمد لله: حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، أحمده تعالى وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة يوم نلقاه، يوم يعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها الناس، اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. وعليكم بجماعة المسلمين فإن يد الله مع جماعة المسلمين، ومن شذ عنهم شذ في النار، وصلوا على أكرم نبي وأعظم هاد فقد أمركم الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الختفاء: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسولك وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين وانصر عبادك الموحدين. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات. وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم، واهدهم سبيل السلام ..

اللهم أصلح ولاية أمور المسلمين؛ اللهم أرهم الحق حقاً وارزقهم اتباعه، والباطل باطلاً وارزقهم اجتنابه.

اللهم أرزقهم البطانة الصالحة التي تذكّرهم إذا نسوا وتعينهم على نوائب الحق؛ يا رب العالمين.

اللهم أقم علم الجهاد، واقمع أهل الشرك والزيف والفساد، وانشر رحمتك

على العباد.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم آميناً في أوطاننا
واستعمل علينا وعلى سائر المسلمين في كل زمان مكان من يخافك ويتقيك يا ذا
الجلال والإكرام.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نعمتك وجميع
سخطك.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين
آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب.
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. عباد الله: إن
الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى،
يعظكم لعلكم تذكرون.

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر،
والله يعلم ما تصنعون.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

□ مقدمة □

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى آله وأصحابه وعلى كل من دعا بدعوته واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

وبعد: فيا أيها الأخ الكريم يسرني أن أقدم بين يديك الجزء الثالث من أحاديث الجمعة لا على أنه كتاب خطب ليخطب به ونترك ملاحظة ما قد يجد من مناسبات وحوادث تتطلب العلاج، ولكن لأنه مجموعة موضوعات إسلامية تعالج كثيراً من المشاكل الاجتماعية والأمراض الخلقية، وتدعو لتقويم السلوك وإعداد النفس إعداداً يليق بمن هو أمين على تطبيق منهج الله في أرضه، وخليق بجنة الفردوس الاعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

وقد ضمنته ستة وثلاثين موضوعاً صنفتها في فترات متقطعة ولمناسبات وحوادث مرت لتكون مادة لي أستعين بها في الخطبة الأولى، وأنطلق من موضوعها الأساسي إلى الكلام في المشكلة التي أريد معالجتها على ضوء النصوص الواردة في الخطبة الأولى وما في معناها بتوسع وشيء من الصراحة إذا اقتضتها الحال، انطلاقاً من القاعدة الشرعية أن المنكر إذا أظهر وأعلن شرع إنكاره علناً، وإذا أخفى وأسر شرع إنكاره سراً، وقد يأتي على لساني حالة الإلقاء وبحكم الارتجال ما رتبته وهو الغالب وقد يأتي غيره.

والله سبحانه أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعاملني والديّ وكل مسلم بعفوه إنه تعالى حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلف

□ مكانة علم الشريعة وحاجة الناس إليه □

الحمد لله الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم. أحمدته تعالى لا أحصي ثناء عليه، وأستغفره وأستهديه وأتوب إليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل له طريقاً إلى الجنة.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وخيرة المرسلين والأنبياء صلى الله عليه وعلى آله وعلى أصحابه وأتباعه الذين ورثوا علمه وخلفوه في تبليغ رسالته وتوجيه أمته وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها الأخوة المؤمنون: لقد أشاد جلّ وعلا بالعلماء في كتابه، وسنة رسوله إشادة عظيمة، رفعت من قدرهم في الأولين والآخرين، وبوأتهم ما يلحقهم في الدنيا بركب الأنبياء، ويحلهم في الآخرة منازل السعداء، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

فقد ثنى تعالى بشهادتهم بعد شهادته وشهادة ملائكته على ما يشهد به تعالى من توحيدِهِ وأن الإسلام دينه الحق بقوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. إن الدين عند الله الإسلام﴾^(١).

ولا جرم أيها الأخوة، فالعلماء نور الله في أرضه وهداته إلى سبيله وأمناؤه في تبليغ دينه، وإقامة العدل بين عباده، يقول تعالى في مدحهم والترغيب في مناهلهم التي انتهلوا منها وصفاتهم التي اتصفوا بها: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾^(٢)، ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾^(٣)، ﴿أفمن يعلم أن أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى، إنما

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٣) سورة الزمر: الآية ٩.

يتذكر أولو الألباب^(١)، ويقول: ﴿وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور. ولا الظل ولا الحرور. وما يستوي الأحياء ولا الأموات. إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور. إن أنت إلا نذير^(٢)﴾.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٣).

ويقول: «من غدا يريد العلم فيتعلمه لله فتح الله له باباً إلى الجنة وفرشت له الملائكة أكنافها وصلّت عليه ملائكة السموات وحيتان البحر، وللعالم على العابد من الفضل كالقمر ليلة البدر على أصغر كوكب في السماء، والعلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكنهم ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظه»^(٤).

ويقول جلّ وعلا في بيان حاجة الناس إلى علوم الشريعة الغراء وأنهم بها كالأحياء وفاقدوها كالأموات: ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسميع^(٥)﴾. ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه اهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم^(٦)﴾. ويقول: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها^(٧)﴾.

هذه أيها الأخوة نصوص كتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ في العلماء وحاجة الناس إليهم وإلى ما أهلوا ويؤهلون به من غذاء روحي ودواء معنوي، خاماتها دراسة كتاب الله وسنة رسول الله وسير خلفائه وملفات أتباعه التي استقيت من نور الله بإخلاص له وسير على منهاج نبيه.

(١) سورة الرعد: الآية ١٩.

(٢) سورة فاطر: الآيات ١٩-٢٣.

(٣) حديث صحيح انظر «مشكاة المصابيح» للخطيب ٢٠٠، و«صحيح الجامع الصغير» للألباني

٦٤٨٧.

(٤) مجموعة أحاديث أكثر فقراتها صحيحة.

(٥) سورة هود: الآية ٢٤.

(٦) سورة الملك: الآية ٢٢.

(٧) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

ومنها يعلم أن الأمة أي أمة، مهما كانت محتاجة إلى تعلم ما يخدم أجسامها أو يخدم اقتصادها وشأن دخلها ومصرفها، لكن كانت محتاجة إلى ذلك أو إلى أي نوع من أنواع القوى العسكرية بأساليبها الحاضرة لتدفع بها عن نفسها أو لتنفيذ أفكارها وعقيدتها، فإنها اليوم وغير اليوم أحوج ما تكون في الدرجة الأولى إلى علم الشريعة الحق النافع الذي أوجدت الدنيا جميعها لخدمته لا لمنافسته، نعم لخدمته. فلقد أوجد ما فيها لخدمة الإنسان، يقول الله سبحانه: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه﴾^(١)، وأوجد الإنسان لخدمة ربه لعبادة الله وحده ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(٢) ولا عبادة صحيحة خالية من أضرار البدع والخرافات، ولا عقيدة ثابتة سالمة من الشبه والشكوك، ولا معاملة سلسلة بعيدة عن جشع المادة وشح النفوس ما لم يتوفر لها العلم النافع الذي يهذب النفوس ويصقل العقول ويربطها بخالقها ومصدرها الأول الذي منه بدت وإليه ستعود، وهو الله سبحانه الذي بيده ملكوت كل شيء ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾^(٣).

فيا أيها الأخوة المؤمنون يا من أعزكم الله بالإسلام وأنعم عليكم بأن جعلكم من الأمة التي قال فيها سبحانه: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾^(٤) يا من دخلتم التاريخ عن طريق العلم النافع والعقيدة السلفية التي لم يشبها أي شائبة. إن الخير كل الخير والوفاء كل الوفاء والاعتباط الصادق كل الاعتباط في أن يعرف الإنسان من أين عز ومن أين يعز، ومن أين وجد ومن أين يبقى فياًخذ به بعزيمة ويدعو له بإخلاص ويتوسع فيه بجد ويسعى لحمايته وحمل الناس عليه بأي أسلوب من أساليب الحمل.

فاتقوا الله، عباد الله، وافتحوا أمام قلوبكم وصفحات أعمالكم التي ستقبل بموتكم أبواب العلم النافع الذي يظل به أهله أحياء وهم في عالم الأموات بقول

(١) سورة الجاثية: الآية ١٣.

(٢) سورة النازيات: الآية ٥٦.

(٣) سورة يس: الآية ٨٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

الرسول الكريم ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح له يدعو له»^(١) وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة. انظر «مشكاة المصابيح» ٢٠٣ و «صحيح الجامع الصغير» ٨٠٥.

□ مجمل توحيد الله سبحانه الذي خلق له الثقّلين □

الحمد لله الذي له ملك السموات والأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقَدَره تقديراً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن نبينا وإمامنا محمداً عبد الله ورسوله ﷺ وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى آله وأصحابه وعلى كل من شهد الله بالوحدانية ولنبه بالرسالة إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها الأخوة المؤمنون لقد خلق الله الثقّلين: الجن، والإنس، لغاية عظمى، وهدف أسمى، هو توحيد الله سبحانه وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(١) أي يوحدون.

فتوحيد الله سبحانه وتعالى بما يستحقه وما يليق به على أكمل الوجوه وأتم الصفات، هو الغاية التي خلق لها الجن والإنس، والتي من أجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وأعدت الجنة، وأعدت النار، وجردت السيوف، ورفعت الرايات، وأقيمت بين أفراد الأسر الموالية والمعاداة منذ أن وجد هذا الدين وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾^(٢)، ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم: إنا براءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾^(٣).

وهذا التوحيد هو الإقرار والاعتراف بضرورة إفراد الله سبحانه لما له، وبما يستحقه من توحيد في ربوبيته لا يشركه فيه أحد من خلقه إقراراً واعترافاً يشد

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ٤.

المخلوق بالخالق توكلاً وخوفاً ورجاء واستعاذة واستغاثة وعبادة وسلوكاً ومعاملة في ضراء أو سراء أو مشهد أو حضور ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون. قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين. قال هل يسمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآبائكم الأقدمون. فإنهم عدو لي إلا رب العالمين. الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين. والذي يميتني ثم يحيين. والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴿^(١)﴾.

كما وأنه الإقرار والاعتراف بضرورة إفراد الله سبحانه بالألوهية والعبادة دون غيره إقراراً يشد المتأله بالمألوه، والمتعبد بالمعبود، فلا يتوجه بعبادته، وضمنها دعاؤه فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه توجهاً يحقق له ركني كلمة الإخلاص: النفي والإثبات اللذين يلفظ بهما، في قوله: لا إله إلا الله، (فلا إله) نفي لأي مألوه أو متعبد، (وإلا الله) قصر لهذه الألوهية والعبادة على الله وحده، كما في قول الخليل عليه السلام الذي حكاه الله عنه بقوله: ﴿إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى﴾ ^(٢). وفي قوله سبحانه: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون. وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ ^(٣)، وقوله: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾ ^(٤).

كما وأنه الإقرار بما أخبر الله به عن نفسه، وبما أخبر به عنه رسوله ووصفه بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تأويل، ومن غير تكيف ولا تعطيل بل على حد قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ^(٥) فيثبت العبد لله ما أثبت تعالى لنفسه، وينفي العبد عن الله ما نفى تعالى عن نفسه،

(١) سورة الشعراء: الآيات ٦٩-٨٢.

(٢) سورة الزخرف: الآيات ٢٦-٢٧.

(٣) سورة الأحقاف: الآيات ٥-٦.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١١٧.

(٥) سورة الشورى: الآية ١١.

منتهجاً في ذلك قولة بعض السلف الخالدة : آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله .

وفي هذا المعنى قول مالك المشهور، لما سئل عن كيفية استواء الله الذي أخبر الله به: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». هذا هو مجمل توحيد الله الذي خلق الله الثقيلين لأجله وأرسل رسوله، وأنزل كتبه من أجله.

فاتقوا الله، عباد الله، وحققوا توحيدكم بتوحيد الله سبحانه بكل ما للتوحيد من صفات ومعان خالصة تليق بالله، فما هو إلا توحيد الله الخالص من شوائب الشرك والبدع والعصيان والجنة، أو ضده والنار ﴿إِنَّهُ مِنْ يَشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(١) وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) سورة المائدة: الآية ٧٢.

□ محبة الله ورسوله □

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه المبين: ﴿إِن أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١). وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله القائل: «إِنَّ آلَ فَلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءِ إِنْ وَلَّيْتُ اللَّهُ صَالِحَ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢) صلى الله وسلم عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الأخوة المسلمون، لقد أكرم الله تعالى أمة محمد بالإسلام ورضيه لها ديناً وأتم عليها نعمه به أكرمها بالإسلام وأمرها بالاهتداء بهديه والأخذ بما جاء به ليتحقق لها كماله وتسعد بما وعد أهلها في الدنيا وفي الآخرة ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٣).

وإن مما جاء به الإسلام وأمرنا بالأخذ به بقوة، الحب في الله والبغض من أجل الله لا لدنيا زائلة، أو أغراض وأهواء سافلة أو غايات ومقاصد دنيئة، فهو لهذا حب أو بغض محرم في دين الله وممقوت عند الله وزائل لا ثبات له ولا قرار أبداً، ولا جرم فمن أحب في غير الله زالت محبته بزوال ما أحب فيه، من أحب امرأ لسلطانه أو لماله زالت محبته بزوال السلطان أو بزوال المال، يقول سبحانه وتعالى: ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٤) ويقول: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَأَتُهُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٨.

(٢) انظر «مشكاة المصابيح» ٤٩١٤ و «صحيح الجامع الصغير» ١٥١٣-٦٧٠ و «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ٧٦٤ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٣) سورة يونس: الآيات ٦٢-٦٤.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٢٥.

وإذا كان الأمر والدين هكذا فعلى المسلم أن يسعى فيما يثبت ويدوم، وعلى المسلم أن يحب ما أحب الله، وأن يبغض ما أبغض الله، والله سبحانه يحب الإيمان ويكره الكفر والفسوق والعصيان، على المسلم أن تكون محبته دائماً تابعة لمحبة الله ورسوله، وأن يقدم محبته لله ولرسوله على محبته للنفس والولد والمال وكل شيء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾^(١) ويقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٢) ويقول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»^(٣) ويقول فيما رواه البخاري لما قال له عمر: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال: أنت أحب إلي من نفسي فقال: «الآن يا عمر».

فيا أيها الأخوة المؤمنون. لنتق الله ولنحقق إسلامنا بمحبة الله ومحبة رسوله، محبة صادقة منبعثة من القلوب ومتبلوراً فيها تبلوراً ظاهراً تأويل قول الله سبحانه الذي ما هو إلا اختبار لمن ادعى محبته ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٤).

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فمحبة الله ومحبة رسوله الصادقة تتجلى في فعل طاعة الله وطاعة رسوله وترك مخالفة الله ومخالفة رسوله رجاء ثواب الله وخوف عقابه، تتجلى في محبة أعمال البر

(١) سورة التوبة: الآية ٢٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٦.

(٣) أورده الخطيب في «مشكاة المصابيح» ٨ و «صحيح الجامع» ٣٠٤٠.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣١.

والخير والدعوة لها بصدق وإخلاص، تتجلى في أن ينعم العبد بالطاعة ويستلذ بعبادة ويرتفع بها عن مستوى الكلف والمشاق إلى مستوى المتعة بها واللذة والأنس، تتجلى في ألا يحب العبد بقلبه من الناس إلا من كان طائعاً لطاعته وأن لا يبغض إلا من كان عاصياً لمعصيته، تتجلى في أن تلتقي روح المرء ومشاعره مع روح ومشاعر فاعلي الخير من المسلمين في أي صقع من أصقاع الدنيا أو حقب من أحقابها، كأنها تقول لهم: هنيئاً يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً. وبهذا بمحبة المؤمنين لربهم ولنبيهم محبة صادقة وبتحايهم فيما بينهم محبة صادقة والتقائهم على طاعة ربهم وتبرئهم ممن ليسوا على دينهم وبغضهم لهم وأقل شيء بالقلوب التي لا يملكها إلا علام الغيوب يتم لهم ما وعدوا به من عز وعلو في الدنيا ونعيم مقيم في الآخرة وبدونه يكون ما أذروا منه في قوله سبحانه: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(١). وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٣.

□ من أطاع العلماء والأمراء □ في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعده ضل الضالون. سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا أيها المسلمون لقد جاء دين الإسلام الحنيف إلى البشرية وهي غارقة في أوحال نتنة شتى وألوان من ألوان الجاهلية الجاهلاء، تعبدات ومعاملات وتحليلات وتحريمات واتصالات وعلاقات ومعاداة وموالة خارجة عن مبدأ التعبد لله وحده، وعمما جاءت به رسل الله عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلهم الله إلى الناس يدعونهم إلى عبادة الله وحده، فأخذت تعاليم الإسلام القيمة الخالدة على لسان رسوله العالمي الكريم في انتشارها من تلكم الأوحال وردها إلى السلطة الأولى التي تلقت منها وجودها أولاً، لتلقى منها منهاجها في عبادتها ومعاملتها وسلوكها وتحليلها وتحريمها وموالاتها ومعاداتها وحكمها وتحاكمها ثانياً، كما تلقت منها وجودها من قبل وكما أنها منها بدأت وإليها ستعود، ألا وهي: الله سبحانه الذي يقول: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(١) ويقول: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾^(٢).

وإن تعاليم الإسلام التي انتشرت البشرية من تلكم الأوحال وأرست لها مصدر التعبد والتلقي اللذين هما مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

كثيراً ما أنذرت وهددت وتوعدت من لم يسر على هذا المنهاج، من لم يسر في تعاليمه، ونظم حياته في عبادة أو معاملة أو سلوك أو حكم أو تحاكم وفق كتاب ربه وسنة نبيه، أنذرت هؤلاء، وأنذرت من اتباعهم وتقليدهم في أي شيء يضر بدين المسلم أو يعود بالمسلم - لا سمح الله - إلى تلكم الجاهلية الجهلاء التي يعبد فيها غير الله وتلقى فيها التعاليم من غير ما جاءت به رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، يقول سبحانه في الأتباع والمتبعين من شياطين وكفرة وعصاة مسلمين ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾^(١)، ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢). ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهِهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣). ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٤). ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ لِفَاسِقُونَ. أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٥). ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً، وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٦).

سمع عدي بن حاتم رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقرأ قول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٧) فقال: يا رسول الله لسننا نعبدهم قال: «أليسوا يحلون ما حرم الله فتحلونهم ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه».

(١) سورة الشورى: الآية ٢١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٢١.

(٥) سورة المائدة: الآيات ٤٩-٥٠.

(٦) سورة الأحزاب: الآيات ١-٣.

(٧) سورة التوبة: الآية ٣١.

قال عدي: بلى قال عليه الصلاة والسلام: «فتلك عبادتهم»^(١).

فاتقوا الله عباد الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، اتقوا يوماً يتبرأ فيه المتبوع بغير حق من التابع، والمطاع في معصية من الطائع والمشارك في إثم من الشريك، اليوم الذي يقول الله تعالى فيه ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قرى﴾^(٢). واقصروا جميع أمركم في عبادة أو معاملة أو سلوك أو حكم أو تحاكم أو غير ذلك من أمور معاشكم ومعادكم على مصدر الوجود والإشعاع الذي خرجت به الإنسانية من الظلمات إلى النور من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة وإلا ... تكن فتنة في الأرض وفساد كبير وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ...

* * *

(١) رواه الترمذي (١٠) في تفسير سورة التوبة بلفظ: «... وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه».

(٢) سورة فاطر: الآية ١٨.

□ خطورة التغيير والتبديل في دين الله □

الحمد لله يعز من يشاء بطاعته ويذل من يشاء بمعصيته لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، وهو السميع العليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى الله ببصيرة وصدق وتعلق بالله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين رضوا ما رضىه الله لهم، وصدقوا الله فيه إلى أن لقوا الله راضين مرضيين وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(١) ويقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مَغْيِرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) - أيها الأخوة المؤمنون - لقد جرت سنة الله في خلقه إذا أراد إنفاذ أمره الكوني في أمة أنعم عليها بنعم فلم تعقلها، وأنذرها بنذر فلم تنتذر بها أن يظهر فيها الشر شيئاً فشيئاً لإقامة الحجة على من سبقت شقاوته وإتاحة الفرصة لمن يريد نجاة نفسه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة ولا عجب فإن النار من مستصغر الشرر وإن الحرب أولها كلام لا عجب فأول ما ظهر الشرك الأكبر في هذه الأمة بدأ بتعظيم الصالحين الطيبين خشية الله وتقرباً إليه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾^(٣) قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبت، وقال ابن القيم رحمه الله: قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم . والحكم بغير

(١) سورة الرعد: الآية ١١ .

(٢) سورة الأنفال: الآية ٥٣ .

(٣) سورة نوح: الآية ٢٣ .

ما أنزل الله بدأت فكرته صغيرة بين صفوف أناس يحكمون بما أنزل الله ذوي فطر سليمة ومشارب صافية، من أناس تلوثوا بثقافات الإغريق وفلسفة اليونان التي بلورها الغرب في أنظمتها وأساس حكمه، فأخذوا يزبنونها للناس ويظهرون ما يسمونه بجديتها وصلاحياتها لحكم الإنسان وتوطيد الأمان حتى حل الحكم بها- وللأسف- في كثير من بلدان الإسلام محل الحكم بالإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإن المسلم - أيها الأخوة - الذي قرأ تاريخ الإسلام من مصادره الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله وما رواه أتباعه الملتزمون لأوامره ليعرف أنه منذر ومحذر، منذر من أن يجر إلى نفسه وإلى الأمة سوء على حين غفلة من غفلات النفس، أو اجتهاد لم تتوقع آثاره، وما يؤول إليه الأمر به بعد، وكفانا واعظاً وشاهداً في مثل هذه الأشياء قول رسول الله ﷺ في عمرو بن لحي الخزاعي: «رأيت يجر قصبه في النار لأنه أول من سيب السوائب وغير دين إبراهيم عليه السلام»^(١) وذلكم أنه سافر إلى الشام ولم يكن بمكة صنم يعبد فوجدهم يعبدون الأصنام، وكان تاجراً منفقاً مطاعاً في قومه حتى قيل إن قوله فيهم يعتبر تشريعاً. فقال له شيطانه: إن هذه بلاد الأنبياء- يعني الشام- ونقل منها الصنم المعروف بهبل ووضعه بمكة وانطلقت بعد عبادة الأصنام بها.

فلتق الله - أيها الأخوة المؤمنون- في نفوسنا، أفراداً وجماعات حكماً ومحكومين، كل متاً بحسبه وبقدر ما ولي، فما متاً إلا وهو على ثغر من ثغور الإسلام فالله الله، أن يؤتى الإسلام من قبله، كما قال عليه الصلاة والسلام، ولنحذر كل الحذر عند وضع اللبنة الأولى لأي مشروع ما في هذه الحياة خاص أو عام سيما ما يتصل بالتعليم والتنظيم من أن يدخل على الأمة من قبلنا شيء يضر أو يضعف ما تنعم به من عز وأمن ورخاء واستقرار وإقامة حدود. وقانا الله شر ما يضعف، ولنبتعد كل البعد عما يتعدى ضرره ويلحق إثمه صاحبه حياً وميتاً. يقول عليه الصلاة والسلام: «ما قتل قاتل إلا كان على ابن آدم الأول كفل منه»^(٢).

(١) ورد بألفاظ متعددة وهو صحيح. انظر «صحيح الجامع» ٣٤٦٣-١٨٨٩.

(٢) انظر «مشكاة المصابيح» ٢١١ و «صحيح الجامع» ٧٢٦٤-٣٠٤٨ عن ابن مسعود رضي الله عنه.

لأنه أول من سن القتل ويقول: «من سن سنة سيئة في الإسلام فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً»^(١) ولنتذكر ونستيقن أن الخير كل الخير والهدى والاستقرار كل الاستقرار والأمن كل الأمن، في أن تلتزم الأمة في كل شأن من شؤونها، سيما صلب حكمها وأساس معتقدها ما كان عليه أسلافها من قبل. يقول عليه الصلاة والسلام: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قيل من هم يا رسول الله. قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(٢). نسألك اللهم بأسمائك الحسنى أن تزيدنا خيراً إلى خيرنا، وأن تبارك لنا فيما أعطيتنا، وأن تشرح صدورنا للأخذ بما يزيد في عزنا وأمننا واستقرارنا، نسألك اللهم أن تجعلنا مفاتيح للخير دعاء إليه، مغاليق للشر صمداً أمامه.

ونستغفرك ونتوب إليك.

* * *

(١) صحيح عن جرير بن عبد الله. انظر «مختصر صحيح مسلم» ١٨٥٩.
(٢) روى عن عوف بن مالك، وأبي هريرة رضي الله عنهما، انظر «صحيح الجامع» ١٠٩٣-٥٠٣ و «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ١٤٩٢.

□ الاعتصام بكتاب الله وأثره □

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله القائل: «لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»^(١) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين التقت أهدافهم واجتمعت كلمتهم تحت لواء لا إله إلا الله محمد رسول الله، والله العزة والرسولة وللمؤمنين. أما بعد، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(٢).

أيها المسلمون إن لكل إنسان طريقاً يسلكه في حياته ينتهي به إلى سعادة وعزة وخير في معاشه ومعاده، أو إلى شقاوة وذلة وشر ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾^(٣) وإن الله قد وضع طريقاً في هذه الحياة ينتهي بمن يسلكه إلى الخير والهدى، وينجيه من آثار الشر والردى ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾^(٤) ومدّ تعالى حبلأ يهدي من تمسك به إلى الصراط السوي صراط الله الذي يقول فيه سبحانه: ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾^(٥) وحبله الهادي إليه وإلى صراطه الذي أمرنا بالاعتصام به بلفظ الاعتصام الذي يفيد شدة المنعة والتحصن، هو كتابه الكريم وذكره الحكيم وصراطه المستقيم الذي لا تلتبس به الألسن ولا تزيج به الأهواء ولا يشيع منه العلماء، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، هو الذي أنزل فيه ما أنزل على أول خلافة قامت في الأرض خلافة آدم عليه السلام ليربط أول أمة الإسلام بآخرها

(١) انظر «صحيح الجامع» ٤٢٤٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠١.

وآخرها بأولها وليبين لها أن ثمت مصدراً يجب أن تتلقى منه تعاليمها وقيمها ومنهاج حياتها في كل شأن من شؤونها كما تلقت منه أولاً وجودها وكما أنها منه بدأت وإليه ستعود ألا وهو الله سبحانه الذي أنزل قوله قرآناً يتلى ومنهاجاً يقتفى.

﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فيما يأتيكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾^(١). فاتقوا الله عباد الله وامثلوا أمر الله فيما أمركم به من الاعتصام بكتابه فأمامكم فتن عظمى، فتن تموج أعاصيرها كموج البحار يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا لا مخرج منها ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا بالاعتصام بالقرآن بجبل الله الهادي إلى صراطه، بجبله الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا إذا اعتصمتم به كتاب الله»^(٢) ويقول فيه: «إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً»^(٣).

وإن كمال الاعتصام وتمامه الذي يريده الله سبحانه للجماعة المسلمة التي استخلفها في الأرض لا يكون إلا بالتفافها نحو كتاب ربها وسنة نبيها انطلاقاً من مثل قوله: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(٤) لا يكون إلا بشد بعضهم أزر بعض بتأمرهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر، لا يكون إلا بأن يكونوا يداً واحدة في الحق وقلباً واحداً ولساناً واحداً، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم لا يكون إلا بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، يقول سبحانه بعد أن أمر بالاعتصام بجبله الذي هو كتابه ﴿ولا تفرقوا﴾ روى ابن جرير عن قتادة قوله: «إن الله عز وجل قد كره لكم الفرقة وقدم لكم فيها وحذركموها ونهاكم عنها

(١) سورة طه: الآيات ١٢٣-١٢٦.

(٢،٣) هما من حديث صحيح ورد في ألفاظ متعددة عن جابر وزيد بن أرقم رضي الله عنهما

انظر «صحيح الجامع» ٢٤٥٤-١١٢٣ و ٢٧٤٥-١٢٦٣ «مشكاة المصابيح» ٦١٤٤.

(٤) هذا قطعة من حديث: «ستفترق أمتي...» وقد تقدم في الصفحة رقم ١٥١.

ورضى لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا ما رضىه الله لكم إن استطعتم ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(١) ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم رحمه الله: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتمصوا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»^(٢).

فاتقوا الله عباد الله، وكونوا إخواناً متآلفين ملتقين على الخير والهدى، على طاعة الله ورسوله لا على الأطماع والأهواء والمصالح، فكل اجتماع أو لقاء أو تعاون ليس على طاعة الله فمصيره التفكك والاختلاف والتفرق ولا قوة إلا بالله. وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) انظر «صحيح الجامع الصغير» ٢٧٤٥ وللحديث ألفاظ مختلفة.
(٢) وله روايات أخرى غير رواية الإمام مسلم، انظر «صحيح الجامع» ١٨٩١.

□ حاجة المسلم لتعاهد القرآن □

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ما كثر فيهم أبدأ، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً، ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين﴾^(١).

أيها الأخوة المؤمنون، إننا اليوم لفي زمن تلاطم أفكار وتغير مفاهيم، زمن مواجهة شهوات وشبهات وتحديات وتساؤلات كثيراً ما تفرع الأسماع، وتتوارد على القلوب ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما منا من أحد في هذه الدنيا مهما كان مقامه إلا وهو محتاج إلى ما يشد أزره ويرسي قدمه ويزيد في إيمانه ويقينه ليرسو أمام تلكم الشهوات والتحديات رسو الجبال الشم التي لا تحركها الهزات ولا تؤثر فيها الأعاصير، ما منا من أحد إلا وهو محتاج إلى ما يؤنسه إن تطرقت إليه وحشة ويسليه ويواسيه إن ألمت به مصيبة، ويرجيه ويعده إن ضاقت به حال أو طاف به طائف اليأس والقنوط من روح الله، وينذره ويخوفه إن استولى عليه طغيان المادة أو سلطان الهوى والأمن من مكر الله، ما منا ... إلا ويسره أن يزداد إيمانه وأن تحصن عقيدته وأن تقوى صلته بربه تبارك وتعالى الذي بيده الخفض والرفع لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع سبحانه. لا إله إلا هو، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

وإنه لا تقوية لأزر ولا رسوخ لقدم ولا أنس لنفس ولا تسلية لروح ولا تحقيق لوعده ولا أمن من عقاب ولا ثبوت لمعتقد ولا بقاء لذكر وأثر مستطاب،

(١) سورة التل: الآيات ٢، ١.

إلا بأن يتجه المرء اتجاهماً صحيحاً بكامل أحاسيسه ومشاعره، بكل قلبه وقالبه إلى كتاب ربه تلاوة وتدبراً وتعلماً وعملاً، فهو المعين العذب الصافي الذي لا ينضب ولا يسن أبداً والكنز الوافر الذي لا يزيده الإنفاق إلا جدة وكثرة، ولا تكرر التلاوة إلا حلاوة ورغبة، بيد أنه لا يمنح كنوزه إلا لمن أقبل عليه بالحالة التي أسلفت ويريدها الله في مثل قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(١).

كما أقبل عليه أولئك الأبرار الأطهار من أسلافنا الصالحين الأخيار الذين إذا تعلموا منه عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا معناها ويعملوا بمقتضاها، أولئك الذين يتقبلون نواهيه وأوامره كما يتقبل الجندي التعليمات في الميدان فينفذونها أولاً بأول بدون تردد أو تساؤل أو تراخ، أولئك الذين يأخذونه ويقرؤونه معتقدينه خطاباً من الله لهم يكلمهم به على لسان رسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْتَبِهْ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ﴾^(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً﴾^(٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾^(٥) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٦) وأمثال ذلكم. وبهذا أيها الأخوة، يعلم أن لزوم القرآن وتعاهد القرآن بل وتعاهد النفس في كل يوم وليلة بالقرآن ضرورة حتمية للمسلم، للداعية الذي يهدي إلى صراط الله، للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، للقائد الذي ينفذ أوامر الله في عباد الله كضرورة العين لنورها والجسد لروحه.

يقول الله سبحانه لنبيه ﷺ ولأتباعه: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(٧)

(١) سورة ق: الآية ٣٧.

(٢) سورة الحشر: الآية ١٨.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٧٠.

(٤) سورة المائدة: الآية ١.

(٥) سورة المائدة: الآية ٨.

(٦) سورة الحجرات: الآية ١.

(٧) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

ويقول على لسان نبيه: «وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن»^(١) -
 فيا أيها الأخوة لئن كان لأحدنا في يومه وليلته عدة مشاهدات وعدة مسموعات
 وعدة مقروءات لاستزادة من علم أو ثقافة أو لأداء واجب وظيفي فلا يعدم أحدنا
 أن يكون له في يومه وليلته حزب يلزم به نفسه من كتاب الله الذي ما تقرب إليه
 المتقربون بمثله، والذي فيه أدبه، فيه أنسه، فيه عزه، فيه التأمين على حياته حياة الدنيا
 وحياة البرزخ وحياة الآخرة الذي لا يعادله أي تأمين. يقول الحق سبحانه: ﴿فَأَمَّا
 يَا تَيْنِكُمْ مَنِي هَدَى فَمَن اتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾^(٢) قال ابن عباس
 رضي الله عنه في هذه الآية: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في
 الدنيا ولا يشقى في الآخرة، فاتقوا الله أيها الأخوة المؤمنون وخذوا كتاب ربكم
 بقوة وصدق تمنحوا كنوزه وتشرفوا بشرفه ويتحقق لكم وعد الله، في قوله سبحانه:
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
 لِلْمُؤْمِنِينَ، قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلِيفْرِحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣).

وأستغفر الله لي ولكم وسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور

الرحيم.

* * *

(١) انظر «صحيح أبي داود» (١٢٢٧) و «صحيح الجامع» ١٣٧٠-٥٩١ و «الأحاديث الصحيحة»

٨٤٣ وله ألفاظ مختلفة عن أبي، وابن مسعود رضي الله عنهما.

(٢) سورة طه: الآية ١٢٣.

(٣) سورة يونس: الآيتان ٥٧، ٥٨.

□ خطورة هجر القرآن □

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بيده الخير وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾^(١) قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما في ذلك: الذين يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يعرفونه عن مواضعه. وقال الحسن البصري رحمه الله: الذين يعملون بحكمه ويؤمنون بمتشابهه.

أيها الأخوة المؤمنون، إن الله جلت قدرته وتعالى أسماؤه أكرمنا - أمة محمد - بأن أنزل علينا أفضل كتبه على لسان أفضل رسله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وشرفنا بحمله بأن جعل قلوبنا له أوعيةً وصدورنا له مصاحف، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وجعلنا به خير أمة أخرجت للناس لأنفسها فقط، للناس تهديهم بهذا القرآن إلى صراط مستقيم صراط الله. ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾^(٢) وإنه كما شرفنا بذلك ووعدنا إذا نحن أخذنا كتابه بالروح التي يريد، الروح التي أخذها بها أسلافنا من قبل، أن نخرج من فتن الدنيا وشبهها وتحدياتها وتساؤلاتها كما يخرج الذهب إذا فتن بالنار صافياً لم يعلق به أي ضرر، وعدنا ما هو أعظم من ذلك أمنية المؤمن الكبرى جنة الفردوس الأعلى التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - لهم ما يشاؤون فيها - فقد أنذرنا إنذاراً لم يبق معه عذر لمعتذر، أنذرنا من خطر

(١) سورة البقرة: الآية ١٢١.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٥ - ١٦.

نسيان القرآن وضياعه والإعراض عنه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون. يقول سبحانه: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض وأتبع هواه فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾^(١) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى^(٢) أنذرنا تعالى من هجره بقوله: ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾^(٣) وهجر القرآن، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله: يشمل هجر سماعه والإيمان به، وهجر الوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به وهجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه وهجر تفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه وهجر الاستشفاء به في جميع أمراض القلوب.

وكما أنذرنا سبحانه من نسيانه وهجره فقد أنذرنا كذلك من العدول عنه في الحكم والتحاكم إلى غيره بقوله: ﴿فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾^(٤).

وقوله: ﴿أفحکم الجاهلية يیفون ومن أحسن من الله حکماً لقوم یوقنون﴾^(٥) وكما أنذرنا من العدول عنه في الحكم والتحاكم إلى غيره فقد أنذرنا كذلك من أعمال بعضه وترك بعضه بقوله تهديداً ووعيداً لقوم أنزل عليهم كتاب فأعملوا بعضه وتركوا بعضه ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾^(٦).

وكما أنذرنا من إعمال بعضه وترك بعضه فقد أنذرنا كذلككم عند تحكيم

(١) سورة الأعراف: الآيات ١٧٥، ١٧٦.

(٢) سورة طه: الآيات ١٢٥، ١٢٦.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٣٠.

(٤) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٥) سورة المائدة: الآية ٥٠.

(٦) سورة البقرة: الآية ٨٥.

شرعه جملة وتفصيلاً. ألا يوجد في نفوسنا أي حرج من ذلكم وتردد عند التنفيذ في حالة الحكم به بقوله ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾^(١).

فاتقوا الله عباد الله، وخذوا كتاب ربكم وشرع نبيكم بما تعتقدونه فيه أنه أنزل ليكون دستور حكم لحاكمين، ومنهاج حياة لأفراد المسلمين، دستور حكم يحكم الأمة في جميع شؤونها أياً كانت عسكرية أو ثقافية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غير ذلك ويحكم الفرد في عبادته ومعاملته وسلوكه، وبذلك مع صلاح النية وصدق العزيمة ستخضع لكم قوى الدنيا بنوعها المادي والمعنوي، اذكروا قول الله فيمن أخذوا كتابه بالروح التي يريدونها ﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾^(٢) الرعب القوة العظيمة التي لا يملكها شرق ولا غرب، لا يملكها إلا من قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء، والذي أخبرنا أنه حافظ كتابه، وحفظه يتضمن بقاء و نفاذ تعاليمه.

وأنذرتنا بعد هذا الإخبار من التولي عنه بقوله سبحانه: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾^(٣).

وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٣) سورة محمد: الآية ٣٨.

□ ذاقَ طعمَ الإيمانِ □

من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله ولي المؤمنين وناصر المتقين، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله آمن بربه خير إيمان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أنابوا إلى ربهم وأسلموا له وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن الله جلت قدرته وتعالى أسماؤه أكرمنا - أمة محمد - بنعمة كبرى لا مثيل لها في النعم أبداً هي نعمة الإسلام، النعمة العظمى التي لا يعدها أي نعمة، النعمة التي من عقلها حقاً عاش في دنياه مطمئن النفس قرير العين ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾^(١) من عقلها حقاً عاش في دنياه محترماً في نفسه، وأمام حكم الإسلام الذي يظله محترماً في نفسه بصيانتها والسمو بها عما قد يعرضها لسوء أي سوء، إهانة أو إذلال أو نحوهما.

وأمام حكم الإسلام الذي يظله بجرمة ماله ودمه وعرضه، من عقلها حقاً عاش عيشة راضية عيشة راحة وهناء، مسروراً بواقعه الذي يعيشه، مغتبطاً بما أوتيها من هذه النعمة التي امتلأت بها نفسه وانشرح لها صدره ورضيها له ربه، مستزيداً منها حقاً، استزادة من حيا ومات لله، من تنطق أعماله ولسان حاله ومقاله في دنياه بمدلول ما أمر به في قول الله عز شأنه: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾^(٢).

فيا لها من نعمة - أيها المسلمون - يجب عقلها وتذكرها والتحدث بها ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾^(٣) يا لها من نعمة ترفع أهلها إلى عليين ومنازل النبيين ...

(١) سورة الزمر: الآية ٢٢.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

(٣) سورة الضحى: الآية ١١.

يا لها من نعمة يسعد ويعز بشكرها أقوام ويذل بكفرها آخرون، يا لها من نعمة تمكن لأهلها في الدنيا وترفعهم في الأخرى، ترفعهم إلى منازل عالية خالدة ينعم فيها المسلم مع أحب الناس إليه وألصقهم به من والد وولد وزوج. يقول سبحانه: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾^(١) ويقول: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾^(٢) ويقول منوهاً على حقارة ما في الدنيا وهوانه وقصر عمره بجانب ما أعد للمسلم المتزم فيها لتعاليم الإسلام، المسلم في مظهره وبخيره، المسلم في اعتقاده وعبادته ومعاملته وسلوكه ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾^(٣) ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد، الذين يقولون ربنا إنا آمنة فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾^(٤).

فاتقوا الله - أيها المسلمون - واشكروا الله أن جعلكم مسلمين، وحققوا إسلامكم بمحبته والاعتباط به والدعوة إليه، فمن أحب شيئاً سرّ به ودعا إليه، حققوه بإقامة تعاليمه في واقع حياتكم وأعمالكم وعباداتكم ومعاملتكم وحكمكمم وتحاكمكمم تسعدوا وتفوزوا بما وعد أهله من عز وعلو في الدنيا، ونعيم ولذة وأنس في الأخرى. وأستغفر الله لي ولكم وأسأله تعالى بأسمائه الحسنی أن يجعلنا مسلمين له ومن ذريتنا أمة مسلمة له وأن يرينا مناسكنا، ويتوب علينا إنه هو التواب الرحيم.

* * *

(١) سورة الزخرف: الآيتان ٦٩، ٧٠.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤.

(٤) سورة آل عمران: الآيات ١٥-١٧.

□ أثرُ التمسُّكُ بالإسلام □

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام، نحمده تعالى ونشكره، حمد وشكر مقدر لآلائه العظام، ونشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه الكريم: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعدُ في السماء﴾^(١). ونشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله القائل: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»^(٢). صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين آزره ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد أيها الأخوة المؤمنون، لقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى بدين كله خير وفضل وإحسان وبر وإخاء وترابط وتراحم وتواصي بالحق وتواصي بالصبر. دين أساسه التوحيد ومنه التوجه بالأعمال جميعها إلى الله ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾^(٣) وشعاره المتابعة لرسول الله ﷺ لقوله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قيل من هي يا رسول الله قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(٤) دين في غاية الكمال والجلال والجمال شامل لجميع مصالح البشر في معاشهم ومعادهم فلا خير إلا وأمر به، ولا شر إلا ونهى عنه، دين وضع من لدن الله تعالى ثابتاً خالداً صامداً صمود الجبال الصم لا يتغير أبداً في حد ذاته مهما كاد له الكائدون وتأولوه في غير ما وضع له أو نالوا من أهله ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾^(٥) ولا عجب فهور وضع حكيم عليم قدير، عالم بأسرار الكون وما ينفع الحياة البشرية ويصلحها في كل زمان ومكان، فلقد

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عند الإمام البخاري والنسائي. انظر «صحيح الجامع الصغير» ١٦٠٧.

(٣) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٤) سبق تخريجه صفحة ١٥١.

(٥) سورة التوبة: الآية ٣٢.

أودع فيه تعالى من الحكم والأسرار، ووضع فيه من الحدود والتعزيرات وشرع فيه من العبادات والمعاملات ما يحفظه ويصون نظامه العام من أي فوضى أو اضطراب، وما يردع النفوس البشرية ويكبح جماحها عن ارتكاب المنكرات واجتراح السيئات ويسمو بها عن سفاسف الأمور وسواقط الأخلاق، فهو رقيب في الخلوات رقيب حيث لا رقيب، أمر وناه حيث لا أمر ولا ناهي إلا الله سبحانه الذي شرعه.

ووالله وبالله وتالله إنه لا سعادة لأي فرد في هذه الحياة مهما كان مقامه - مهما اتخذ نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء- إلا بتمسكه بدينه، ولا عزة له ولا احترام مهما أحيط به من هالة إلا بتمسكه بدينه، ولا مدخر له يدخره أو رصيد يحتسبه لما يسمى بالليالي السود عندما تدلهم أمامه الأمور وتتداعى عليه الخطوب إلا دينه.

ولا جرم أيها الأخوة فأنتم ترون الفرد منا يعيش في هذه الدنيا على ما يسر له «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»^(١) أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، فإذا غادرها إلى الآخرة لم يبق معه إلا دينه، تروونه وهو في أخريات حياته وقد بلغت الروح منه الحلقوم والتفت الساق بالساق، وتمثل من حوله بالحكمة السيارة:

لعمرك ما يغني الشراء عن الفتى

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

تروونه في حاله يتذكر بحق وصدق ما أسلفه وماذا سيجده، وكأنكم به إن كان محافظاً ملتزماً مسارعاً في الخيرات متفائلاً مستبشراً بما أمامه غير حزن على ما خلفه. يقول مرحباً بلقاء ربي، اللهم إلى الرفيق الأعلى وملائكة الرحمة من حوله يقولون بفرح به واستبشار: يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي. وكأنكم به إن كان مفراطاً معرضاً في ماضيه عن أوامر الله منتهكاً لحرماته، متحسراً متوجعاً نادماً حين لا ينفعه الندم، تائباً حين لا تنفعه

(١) روي عن علي، وابن عباس، وعمران بن حصين، وجابر، رضي الله عنهم. انظر «صحيح الجامع

التوبة، قائلاً حين لا ينفعه القول: يا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين. فاتقوا الله عباد الله في دينكم فهو مدخركم ورصيدكم وأنيسكم في القبر وشفيعكم في الحشر، خذوه بقوة وصدق وإخلاص ومتابعة لرسوله يحقق لكم صادق الوعد، وعده في قوله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار﴾^(١). وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) سورة غافر: الآيتان ٥٢، ٥١.

□ أَلْقَيْتَ عَلَىٰ إِثْرِ عِدَّةٍ مِّنْ مَّؤْتَمِرَاتٍ وَتَجْمَعَاتٍ إِسْلَامِيَّةٍ □

أما بعد، فيا عباد الله اتقوا الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون.

أيها الأخوة المؤمنون، لقد كثرت الحديث في الآونة الأخيرة عن الإسلام، وكثر الوعظ والتذكير والنداء بضرورة الأخذ بالإسلام وتطبيقه عملياً في واقع الحياة ودنيا الناس، فقد نودي بذلك كثيراً، نودي في اللقاءات الخاصة والاجتماعات والمؤتمرات العامة، نودي به على مستوى العلماء العارفين بالله وبكتابه وسنة رسوله وعلى مستوى الشباب والمفكرين، الشاعرين بفساد الوضع وتدهور الموقف وخطورته التي لا علاج لها إلا الأخذ بالمبدأ القائل: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها مبدأ الإسلام الحق الذي جاء من عند الله ﴿وهن يبتغين غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾^(١) الإسلام الذي وحد الله به الكلمة وجمع به الصف ورفع به القيم، فساده من كان مسوداً، وأم به من كان مأموماً ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(٢) «إن الله يرفع بهذا الدين أقواماً ويضع به آخرين»^(٣).

لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الشقي أبا لهب

أيها الأخوة: ما دمنا شيوخاً وشباناً - علماء ومسؤولين ومفكرين - شعرنا بفساد الوضع وخطورة الموقف وحاجتنا خاصة أفراداً وجماعات، وحاجة البشرية عامة إلى العودة إلى الإسلام الصحيح الذي يحكم النفس في عبادتها ومعاملتها وسلوكها، ويحكم الفرد والمجتمع في أي وضع أو شأن من أوضاعه وشؤونه ثقافياً أو عسكرياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً مادياً أو أدبياً، فما الذي يمنع إذاً أيها الأخوة من تطبيق الإسلام عملياً في واقع الحياة ودنيا الناس؟ ما الذي يمنع؟ أيمع خوف ذي قوة قاهرة في الأرض؟ كلا. فمن أزمة الأمور بيده وقلوب العباد بين إصبعين من

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٣) أخرجه مسلم وابن ماجه عن عمر بلفظ (الكتاب) مكان (الدين)، انظر «صحيح الجامع» ١٨٩٢.

أصابه يقول: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه، فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾^(١) أيمع خوف حاجة في الدنيا أو نقص في رزق؟ كلا. فمن بيده ملكوت السموات والأرض يقول: ﴿وإن خفتم عيلة - أي فقر - فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾^(٢).

ويقول: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾^(٣). أيمع شبه ملحدين وتساؤلات بعض من يسمون أنفسهم تقدميين ممن لم تشرب قلوبهم حب الإيمان؟ كلا - ففهم وأمثالهم يقول سبحانه: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾^(٤). ويقول: ﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم. وإن كثيراً من الناس لفاسقون. أفحكم الجاهلية يغون. ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾^(٥) - أيمع ما يسمونه بضغط اجتماعية وظروف يقتضيها العصر ويميل الناس إليها.

كلا، وألف كلا، فالحق تعالى يقول: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾^(٦). ويقول: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾^(٧).

ما الذي يمنع أيها الأخوة وقد حملنا هذه الفكرة في نفوسنا، وناديننا بها بأقوالنا، أيمع التسويف والتأويل حتى يؤخذ أحدنا على غرة فيندم حين لا ينفعه

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٧٣-١٧٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٨.

(٣) سورة هود: الآية ٦.

(٤) سورة الأحزاب: الآيات ١-٣.

(٥) سورة المائدة: الآيات ٤٩، ٥٠.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١١٦.

(٧) سورة يوسف: الآية ١٠٣.

الندم، سبحان الله إنه لا إذا ولا ذاك، ولكن الحال كما قيل:
ولم أر في عيوب الناس عيباً كنعص القادرين على التمام
فصدقاً صدقاً أيها الأخوة، أيها الولاة، أيها العلماء، أيها المؤتمرون، أيها القادرون،
صدقاً صدقاً مع الله تصدقوا وتكرموا وتجاريكم المشاعر والأفواه إذا قلتم قولاً نقول:
صدقتم وبررتم وإلا ... فسنجاوبكم بقول الله: ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في
قلوبهم﴾^(١) نستغفرك اللهم وتوب إليك ونعوذ بك من أقوال لا تصدقها الفعال.

* * *

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٧.

□ أثر شكر النعم □

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعده ضل الضالون، سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه الكريم ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾^(١) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق المأمون صلى الله عليه وآله وعلى أصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فإن الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بنعم كبرى، وأسدى علينا ألواناً من الخيرات العظمى، أنعم علينا بالإسلام نستظل بظله الوافر في الدنيا وننعم بآثاره الكريمة في الآخرة، أنعم علينا بعقل نميز به الطيب من الخبيث والنافع من الضار، ندرك به من آلاء الله فينا ما يعرفنا بعظيم صنعه وجلالة قدره وضعف الخلق وحاجاتهم إليه سبحانه: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾^(٢) فلقد أخرجنا تعالى من ظلمات الأرحام ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾^(٣). ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾^(٤) ما في السموات، من نجوم يهتدى بها وقمر يستضاء به وشمس ينعم بها، وما في الأرض من بحار وأنهار وثمار وأشجار، وحملنا في البر والبحر والجو وسخر لنا الليل والنهار ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾^(٥). وإن الله سبحانه وتعالى قد آذنا بأن هذه النعم التي أنعم بها علينا كثيراً ما تتضاعف وتربو وتستقر إذا شكرت، وأنها تضعف وتنقص وقد تزول كلياً إذا كفرت، بقوله سبحانه: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾^(٦).

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٢١.

(٣) سورة الزمر: الآية ٦.

(٤) سورة الجاثية: الآية ١٣.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

(٦) سورة إبراهيم: الآية ٧.

فاتقوا الله أيها الأخوة المؤمنون، واشكروا نعم الله إجمالاً وتفصيلاً، اشكروها ابتداءً ولدى تجدد أي نعمة أو إزالة نقمة فإنه لا زوال لها أبداً إذا شكرت، بل ولا بقاء لها إذا جحدت، اشكروها فكلما شكرت نعمة تجدد بشكرها أعظم منها، اشكروها فخير ما تحلى به أنبياء الله فأتباعهم بإحسان شكر نعم الله يقول سبحانه عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿إِنَّه كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾^(١) وعن نبيه سليمان عليه السلام ﴿وَقَالَ رَبُّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾^(٢). ويقول نبيه محمد عليه الصلاة والسلام: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(٣) ويقول سبحانه في عموم الصالحين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبُّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾^(٤).

وإن من شكر النعم - أيها الأخوة - التحدث بها على وجه الاعتراف بها لله لا تطاولاً وفخراً على من حرمها - ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٥) - إن من شكرها أن يرى أثرها على الإنسان في إنفاقه ووصله وبره وإحسانه وعفافه واستغناؤه بها ففي الأثر: «إن الله يحب إذا أنعم على عبد أن يرى أثر نعمته عليه»^(٦). إن من شكرها تذكرها قال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه: تذكروا النعم فإن من شكرها تذكرها.

فليتذكر كل منا - أيها الأخوة - ما به من نعمة قد حرمها غيره ، ليتذكر من كان معافي من يتقلب على ظهره وبطنه - من شدة الألم - ليتذكر صاحب السمع مثلاً من فقد سمعه ، وصاحب البصر من فقد بصره ، وصاحب المال والغنى ذوي العوز والفاقة الذين تفيض أعينهم من الدمع حزناً ألا يجدوا ما

(١) سورة الإسراء: الآية ٣.

(٢) سورة التمل: الآية ١٩.

(٣) متفق عليه، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. انظر «مشكاة المصابيح» ١٢٢٠.

(٤) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٥) سورة الضحى: الآية ١١.

(٦) عبد الله بن عمرو، وأبي الأحوص وغيرهما، وهو صحيح وله أكثر من لفظ بعضها حسن، انظر

«غاية المرام في تخرج أحاديث الحلال والحرام» للألباني ٧٥،٧٤ و «صحيح الجامع الصغير» ١٨٨٣.

ينفقون ... ليتذكر الكل قول رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»^(١).

وليحذر كل صاحب نعمة كل الحذر أن يقر بها وأن ينسبها إلى غير المنعم بها، فإنها وإن كانت في حد ذاتها نعمة إلا أنها ابتلاء واختبار يظهر بها الله تعالى مدى تقبل المنعم عليه للنعم، ومدى شكره وعقله لها فكم نعمة كانت على الحر نعمة ... وكم مغنم يعتده الحر مغرماً. فشكر النعم الحقيقي لا بد فيه من أركان ثلاثة: الإقرار بالنعمة للمنعم، ونسبتها إليه، وبذلها فيما يجب، فأما من نسب النعم التي خولها إلى نفسه كمن يقول إذا تجددت له نعمة مال أو غيره: هذا بعلمي وأنا محقوق به. وذلك على علم مني بوجوده المكاسب أو على علم من الله أني له أهل ..

﴿فإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضِرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلِ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيَّصِيهِمْ سَيِّئَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ. أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأسأله بأسمائه الحسنی أن يجعلنا شاكرين لنعمه مثنين بها عليه، إنه تعالى حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

(١) رُوي عن ابن عمر، وعبد الله بن محسن، وأبي الدرداء بألفاظ متقاربة. وحسنه الألباني. انظر «صحيح الترغيب والترهيب» و «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ٢٣١٨ و «صحيح الجامع الصغير» ٥٩١٨.

(٢) سورة الزمر: الآيات ٤٩-٥٢.

□ الصبر الجميل وأثره على أهله في الدنيا والآخرة □

الحمد لله على قضائه وبلائه ونعمائه ... أحمدته تعالى لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأتوكل على الحي الذي لا يموت وأسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة ربه خير بلاغ، وقام بها خير قيام، إلى أن وافاه ما كتب عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾^(١) صلوات الله وسلامه عليه وعلى كل من ثبت على ما كان عليه نبيه إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله، لقد خلق الله الدنيا مليئة بالرزايا والبلايا، وخلق فيها الإنسان وجعله معرضاً لأنواع الآلام والأحزان، فما من أحد إلا ويبتلى فيها بخير أو بشر أو بهما معاً ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(٢) ﴿لِيَبْلُوكُم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٣) وأكثر الناس فيها بلاء الأنبياء ثم الصالحون، الأمثل فالأمثل يبتلى الإنسان على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وليس ذلكم للمؤمن تعذيب أو دليل بغض فحاشا حكمة الله وعدله ولكنه ابتلاء واختبار يصقل قلب المؤمن، ويمحص نفسه ويعدده إعداداً كاملاً لمواجهة الخطوب بصبر وثبات واحتساب، ليعظم بذلك أجره ويضاعف ثوابه ويطيب ويخلد ذكره ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾^(٤) ويميز تعالى بالابتلاء الآخذين لدين الله بقوة وصدق ويمحق به الكافرين ويفضح به المدعين.

والابتلاء في الدنيا ألوان وأشكال وأهمها الابتلاء بالتكاليف الشرعية التي جاء بها الإسلام من أمر ونهي وتصديق وغير ذلكم والابتلاء بالدنيا وما فيها من فتن

(١) سورة الزمر: الآيات ٣٠، ٣١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

(٣) سورة هود: الآية ٧.

(٤) سورة السجدة: الآية ٢٤.

المناصب والشهوات والشبهات، والابتلاء بانتفاش الباطل في بعض الأحيان وتسلط الأعداء وقلة النصير، والابتلاء بشيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات وما إلى ذلك مما يتلى به العباد في الدنيا.

وإن أعظم وأقوى ما يتدرع به المؤمن لمجابهة ما قد يتلى به في هذه الدنيا الصاخبة، هو الصبر الجميل الذي وجه تعالى العباد إليه وأمرهم به، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

أيها المسلمون هذا نداء ربكم، نداء الحق ووعد ذي الصدق الذي لا يخلف الميعاد، نداء ووعد للمؤمنين حقاً ولا سيما المصطفين منهم لمتابعة تطبيق رسالة الله في أرضه ببصيرة واحتساب، نداء لهم بأن يصبروا على طاعة الله لا يصددهم عنها صاد مهما كانت الأحوال أو ضاقت الأمور أو وجدت مصالح الدنيا ﴿رَجُلًا لَا تَلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾^(٣). وأن يصبروا عن محارم الله فيقصرون النفس الأمانة بالسوء ويجسونها عن متابعة الأهواء والميل للشهوات المحرمة، وأن يصبروا على أقدار الله المؤلمة فإذا ادلم عليهم أمر أو اشتد بهم خطب أو نزلت بهم نازلة في نفس أو مال أو غير ذلك صبروا محتسبين قائلين ما يقول الصابرون: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها. والصبر النافع ما كان عند الصدمة الأولى مر رسول الله ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال لها «اتقي الله واصبري» فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمثل مصيبتى، فلما علمت أنه رسول الله جاءته إليه تعتذر فقال: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»^(٤).

فاتقوا الله، عباد الله وأطيعوا الله فيما أمركم به من لزوم الصبر عند البلاء بأي نوع من أنواعه خيراً أو شراً فإن الخير قد يطغى، والشر قد يضعف، اتقوا الله

(١) سورة البقرة: الآية ٤٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

(٣) سورة النور: الآية ٣٧.

(٤) متفق عليه، عن أنس رضي الله عنه. انظر «مشكاة المصابيح» ١٧٢٨.

واصبروا صبر محتسب بصبره يتغني به وجه الله والدار الآخرة.
ولست بغالب الشهوات حتى تعد لمن صبراً واحتساباً
فكل مصيبة عظمت وجلت تخف إذا رجوت لها ثواباً
وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور
الرحيم.

* * *

□ مَوْعِظَةٌ وَذِكْرِي □

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، أحمدته سبحانه وأتوكل على الحي الذي لا يموت، وأسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هو الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾^(١).

عباد الله لقد أوجدنا الله تبارك وتعالى في هذه الدنيا من عدم، وأسدى علينا تعالى فيها ألواناً شتى من أنواع النعم، وأبلغنا فيها بأوامر وزواجر، وأخبرنا أننا سنموت بعد الميتة التي كتبها تعالى علينا، ثم سيحيينا بعد حياة البعث والنشور والجزاء والحساب والثواب والعقاب على ما كان لتلكم الأوامر والنواهي من أصداء وآثار في نفوسنا وواقع حياتنا ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾^(٢).

ولقد أنذرنا بذلكم نذر الزمان، ووعظتنا به من قبل مواعظ القرآن التي كثيراً ما تفرع أسماعنا قرعاً، والتي لو أنزلت على جبل لرأيتموه خاشعاً متصدعاً. يقول سبحانه: ﴿القارعة، ما القارعة، وما أدراك ما القارعة، يوم يكون الناس كالفرash المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش، فأما من ثقلت موازينه، فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه، فأمه هاوية، وما أدراك ما هي نار حامية﴾^(٣). ويقول: ﴿اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون، ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، لاهية قلوبهم﴾^(٤). فهل من مذكر أيها الأخوة فلقد

(١) سورة الروم: الآية ٤٠.

(٢) سورة الملك: الآيتان ٢، ١.

(٣) سورة القارعة: الآيات ١-١١.

(٤) سورة الأنبياء: الآيات ٣-١.

جاءنا - وإيم الله - من الأنبياء ما فيه مزدجر، جاءنا ما ينذر بتصرم الأيام وتقصم الأعمار قيد المنون كما تشاهدون مرسله آناء الليل وآناء النهار - جاءنا ما ينذر ويذكر بنهاية كل منا، ورجوعه إلى الله ومساءلة الله له عما ولاه فيه مهما طال عمره أو كان أمره ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾^(١) ﴿وقفوههم إنهم مسؤولون، ما لكم لا تناصرون، بل هم اليوم مستسلمون﴾^(٢) ولا عجب أيها الأخوة، فلکم شهدت الدنيا كثيراً وكثيراً ممن عمروها أكثر مما عمرناها نحن، من كانوا فيها أعزة أقوىاء أغنياء قادرين على كثير مما يشاؤون من إصلاح وأمر ونهي فتعجلتهم أحداثها قبل ذلك، أو طوتهم المنون، فحيل بينهم وبين ما يشتهون، لا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون، وأصبحوا مرتين ينتظرون وضع الموازين من لدن أحكم الحاكمين وأعدل العادلين الذي لا يظلم مثقال ذرة ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾^(٣) والذي يقول وقوله الحق: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾^(٤).

وكم شهدنا نحن وفقدنا من أقران كانوا بالأمس معنا زينة المجالس وبهجة القلوب وأنس النفوس، يذكروننا بالله وأيامه، قد ضمتهم اللحد وخلت منهم ثغر الإصلاح ومواطن الدعوة ومواقع الركوع والسجود، ولو نطقوا لقالوا: إخواننا تزودوا فإن خير الزاد التقوى فنحن سلفكم وأنتم في الأثر، ولقد جاءكم من الأنبياء ما فيه مزدجر.

فاتقوا الله - عباد الله - وتذكروا يوم النقلة والرجوع إلى الله، وماذا ستقدمون عليه به، يوم أن تودعوا الثرى ويتخلى عنكم الأهل والأصدقاء، يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون، يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى يقول: ياليتني قدمت لحياتي، تذكروا ذلكم دائماً، تذكر من يريد إصلاح ما به من فساد، والاستزادة كثيراً مما هو فيه من خير وبر وهدى وارشاد.

(١) سورة العنكبوت: الآية ٥٧.

(٢) سورة الصافات: الآيات ٢٤-٢٦.

(٣) سورة النساء: الآية ٤٠.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

وخذوا من قوتكم وعزكم لضعفكم وذلكم، خذوا من سعنتكم وغناكم لضيقكم
وفقركم، خذوا من عافيتكم وحياتكم لبلاتكم وموتكم، خذوا ليوم تغنوا فيه الوجوه
للحي القيوم، ويخيب فيه من حمل ظلماً، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت
من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، يقول تعالى وقوله الحق:
﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتاكم العذاب بغتة وأنتم
لا تشعرون، أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت
لمن الساخرين، أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين، أو تقول حين ترى
العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها
واستكبرت وكنت من الكافرين، ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين، وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم
السوء ولا هم يحزنون﴾^(١). ونستغفرك اللهم ونتوب إليك.

* * *

(١) سورة الزمر: الآيات ٥٥-٦١.

□ موعظة وتذكير بحاجة المسلم إلى ما يقدمه لغيره □

الحمد لله الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، أحمدته سبحانه. خلق الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن الله جلت قدرته وتعالى أسماؤه بحكمة بالغة وقدرة باهرة أوجدنا في هذه الدنيا من عدم. أوجدنا فيها لا للدوام والبقاء ولكن للموت والفناء، ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾^(١).

لدوا للموت وابنو للخراب فكلكم يصير إلى تباب

فما من نفس في هذه الدنيا إلا وهي ذائفة الموت مهما طال عمرها أو عظم شأنها أو كثر مالها وولدها ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾^(٢) وإن الله سبحانه وتعالى قد أعلمنا بسر هذا الإيجاد وحكمته في هذه الدنيا الفانية وما يتطلبه الانتقال منها بعد إلى الآخرة الباقية بقوله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾^(٣). وقوله في الحديث القدسي الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ إنه تبارك وتعالى قال: « يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا

(١) سورة الرحمن: الآيات ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٥٧.

(٣) سورة الذاريات: الآيات ٥٦-٥٨.

أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»^(١).

وإنه ليجدر بالعاقل الذي علم أنه أوجد في هذا الكون لحكمة وأنه سيموت بعد هذا الإيجاد ولا يدري في أي أرض أو في أي ساعة يموت، وأنه سوف لا ينفعه ويصعبه إذا انتقل من هذا العالم الدنيوي الفاني إلى ذلكم العالم الآخروي الباقي إلا ما قدمه في حياته من أعمال بر وخير وهدى، أن ينظر دائماً نظر المستزيد إلى ما قدمه لغده، إلى ما ينفعه عند الله ما دام حياً سوياً قادراً صحيحاً شحيحاً يخشى الفقر ويأمل الغنى امتثالاً لأمر الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾^(٢) ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾^(٣). ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾^(٤). وقول رسوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم تبعه ثلاثة ماله وأهله وعمله فيرجع اثنان المال والأهل ويبقى واحد وهو العمل، إذا مات ابن آدم قالت الملائكة: ما قدم وقال الناس: ما أخر»^(٥). وقوله: «من ماله أحب إليه من مال وارثه» قالوا: كلنا ماله أحب إليه من مال وارثه قال: «مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر»^(٦).

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به من تقواه، أطيعوه فيما أمركم به من النظر إلى ما قدمتم وتقدمونه لغدكم - أطيعوا الله فيما أمركم به من المسارعة والمسابقة في الأعمال الصالحة والاستزادة منها، ووجهوا أنفسكم دائماً لذلك وأزموها وعظوها وذكروها بآثارها ونفعها عند الله سبحانه، ذكروها بأن الموت قد لا يمهلهما لتعمل ما تنوي عمله فقد يكون أقرب إليها وقت التفكير

(١) في «صحيح الإمام مسلم» ١٧/٨ و «مسند الإمام أحمد» ١٥٤/٥/١٧٧/١٦٠ «صحيح الجامع» ٤٢٢١.

(٢) سورة الحشر: الآية ١٨.

(٣) سورة النبأ: الآية ٤٠.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه. انظر «مشكاة المصابيح» ٥٢١٩.

(٦) «صحيح البخاري» في باب الرقائق ١٢ و «مسند الإمام أحمد» ٣٨٢/١. والنسائي و «صحيح

الجامع» ٢٦٩٣-١٢٤٦.

فيه من شرك نعلها أو حبل وريدها، وأنها سوف لا تنتقل معها إذا انتقلت إلى الآخرة بما شيدته في هذه الدنيا من قصور، ولا بما جمعته فيها من أموال ولا بما ولته فيها من ولاية ولا بشيء مما التذت به فيها من متع الحياة ولو جمع لها فيها ما ذكر في قول الله سبحانه: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾^(١) الآية. ولكنها ستنتقل وحيدة بالحالة التي خرجت على الدنيا بها من بطن أمها، مخلقة لما جمعت فيها من أموال مكدياً وراءها، يتقدمها إلى الآخرة حسابه وإثمه إن كانت آتمة فيه ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾^(٢) وإن الشأن في هذه الدنيا ليس هو تحصيل شيء من متع الحياة حتى لو جمع للإنسان فيها ما جمع في قول الله: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾^(١) الآية. ولكن الشأن كل الشأن والأمر الهام الذي ينبغي أن تمتزج العناية به والحرص عليه بلحم الإنسان ودمه، هو أن يوفق الإنسان في هذه الحياة لعمل صالح يكون سبباً لنجاته وزحزحته من النار وفوزه برضى الله ورضوانه، يوم أن توافيه المنية التي كتبها الله عليه بقوله سبحانه ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾^(٣).

وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

□ نماذج لأوصاف أهل الجنة وأوصاف أهل النار □

الحمد لله رب العالمين. الحمد لله الذي أعد الجنة بمقتضى فضله وكرمه لعباده المؤمنين، وأعد النار بمقتضى عدله وحكمته للعصاة والكافرين. أحمده تعالى لا أحصي ثناء عليه وأستغفره وأتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وعلى أصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرِكَ سُدًى، أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً مِنْ مَنِي يَمِينِي، ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى؟﴾^(١).

عباد الله، بهذه الآيات وأمثالها يذكر الله سبحانه معشر الثقلين الجن والإنس، يذكر من أعرض عن ذكره ولم يؤمن بآيات ربه، ويذكر من آمن حتى لا يلهو ويغفل، يذكرهم بأنهم لم يخلقوا عبثاً ولم يتركوا هماً، وإنما خلقوا لأمر عظيم وهيئوا لشأن جسيم، خلقوا لتوحيد الله وطاعته ونهوا عن الشرك به ومعصيته خلقهم تعالى وخلق معهم جنة ونارا، جنة حفت بالمكاره، بالتضحية بكل ما يطلب الإسلام والتضحية به من نفس ونفيس، وقال لها تعالى بعد أن جرت أنهارها وطابت ثمارها وتجملت حسانها واشتأقت لسكانها: «إِنَّكَ الْجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءَ». وناراً حفت بالشهوات، شهوات الفرج والبطن والهوى، وأشر ذلك الهوى فهو يعمي ويصم، وقال لها بعد أن اشتد ضرامها وعظم لهيها وتهيات للالتهام، وقودها ووقودها الناس والحجارة، إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً: «إِنَّكَ النَّارُ عَذَابِي أَعَذِبُ بِكَ مِنْ أَشَاءَ»^(٢). خلقهم لذلكم تعالى لا لحاجته سبحانه ولكن

(١) سورة القيامة: الآيات ٣٦-٤٠.

(٢) اقتبس المؤلف حفظه الله، في هذا المقطع من خطبه من عدد من الأحاديث الصحيحة، ولم يوردها بلفظ الحديث، منها عند الإمام مسلم والترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما. وعند ابن خزيمة عن أنس رضي الله عنه، وانظر «صحيح الجامع الصغير» ١٨٣-٦٥.

لتظهر آثار فضله وكرمه فيمن أطاع، وأثر عدله وحكمته فيمن عصى. خلقهم لذلكم وأرسل إليهم رسلاً يوضحون لهم طرق الخير والهدى وينذرونهم من أسباب الشر والردى، فمن أطاعهم دخل الجنة ومن عصاهم دخل النار. يقول سبحانه: ﴿رسلنا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾^(١). ويقول عليه الصلاة والسلام: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قيل ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»^(٢).

وإن الله سبحانه وتعالى أبان واضحاً في كتابه وعلى لسان رسوله أعمال وأوصاف أهل الجنة، وأمر بالاتصاف بها، وأعمال وأوصاف أهل النار وأمر بتركها والابتعاد عنها، وخذوا مثلاً لذلكم قول الله سبحانه وتعالى في أوصاف أهل الجنة: ﴿قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾^(٣). إلى أن قال: ﴿وأولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾^(٤)... وقوله في أوصاف أهل النار: ﴿ما سللكم في سقر، قالوا لم نك من المصلين ولن نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾^(٥)... وقوله: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾^(٦). وقول رسوله عليه الصلاة والسلام: «احتجت الجنة بالنار فقالت الجنة: في ضعفاء المسلمين وفقراؤهم، وقالت النار: في الجبارون والمتكبرون فقضى الله بينهما إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليهما علي ملؤها»^(٧).

فاتقوا الله عباد الله وخذوا من الأوصاف أغناها وأرجاها واسلكوا من السبل أصونها وأنجأها، فالحياة كما تعلمون ليست حياة متع وهو وجمع بدون حساب

(١) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٢) رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. انظر «صحيح الجامع» ٤٣٨٩.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ١.

(٤) سورة المؤمنون: الآيتان ١٠-١١.

(٥) سورة المدثر: الآيات ٤٢-٤٧.

(٦) سورة الماعون: الآيات ٤-٧.

(٧) رواه الإمام مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه. انظر «صحيح الجامع الصغير» ١٨٣-٦٥.

وترقب عقاب، كلا، ولكنها حياة بعدها موت بعده جنة ونار، جنة لمن أطلع ونار لمن عصى. ﴿إِنَّ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جِزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾^(١). ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾^(٢). ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ، أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(٣).

فنسألك اللهم بأسمائك الحسنى أن تجيرنا من النار. نستجير بك اللهم من عذابها، نستجير بك اللهم من فر وكر وكبد وكبد في هذه الحياة نهايته عذاب وشدة حساب، ونسألك اللهم أن تهدينا فيها إلى الطيب من القول وإلى صراط الحميد، وأن تحشرنا في الآخرة مع من أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ونستغفرك وتوب إليك.

* * *

(١) سورة طه: الآيات ٧٤-٧٦.

(٢) سورة النازعات: الآيات ٣٧-٤١.

(٣) سورة السجدة: الآيات ١٨-٢٠.

□ الصدق □

الحمد لله رب العالمين: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيقول الله جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾^(١) أيها المؤمنون، لقد جاءت نصوص القرآن والسنة مبينة وموضحة أن الصدق أساس عبادة الله وحده التي خلقنا من أجلها والجامعة لكل ما يحبه الله ويرضاه، وأساس تقوى الله التي أمرنا بها، وبها جماع خير الدنيا والآخرة، بل وأساس لجميع الأخلاق الفاضلة والقيم الكريمة التي يقوم عليها بناء المجتمعات الحية المتعاونة المتآمنة فليس في الأخلاق خلق أمس بالإصلاح والنظام الاجتماعي من الصدق، بل ولا بأفسد لهما من ضده وهو الكذب فالصدق تضمن الحقوق وتطمئن النفوس ويستتب ما تحتاجه الأمة في حياتها من أمن ورخاء واستقرار ﴿فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾^(٢) ولا جرم أيها الأخوة، فالصدق وعليه بنيت تربية وإعداد حملة رسالة الله من رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ممن أعدوا وأهلوا للقوامة على البشرية والاستخلاف في الأرض. يقول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً﴾^(٣) ويقول: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين، ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾^(٤) ويقول: ﴿يوم ينفع الصادقين

(١) سورة التوبة: الآية ١١٩.

(٢) سورة محمد: الآية ٢١.

(٣) سورة مريم: الآية ٤١.

(٤) سورة الزمر: الآيات ٣٣-٣٥.

صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴿١﴾.

والصدق الذي مدح الله أهله ووعدهم عليه ما سلف مما يسمو بنفوسهم إلى مصاف الأنبياء ومنازل الشهداء مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. هو الصدق في الاعتقاد المترجم عنه بالأقوال والأفعال المطابقة له في واقع الأمر، فلا شك ولا ريب ولا تزعزع أو تردد فيما يجب الإيمان به والتسليم به ولا مخالفة له بالأفعال ولا تكذيب له عملياً بما ينطق اللسان بخلافه من الأقوال، وإنما اعتقاد صادق مصدق بالأقوال والأفعال التي تظهر ما خفي مما قام بالقلب، تظهره حقيقة واقعية في عالم الحياة ودنيا الناس مهما كانت الأحوال أو قست الظروف، فالمؤمن الصادق هو الذي يوحد ما استشعره بقلبه مع ما ينطق به لسانه أو تتحرك به أركانه يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١). ويقول في سياق الرد على من تردد في تحويل القبلة مبيناً تعالى أن أمر المسلم أمر تصديق وطاعة وامتنال وتوجه حيث وجه: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٢).

فاتقوا الله أيها الأخوة المؤمنون، واصدقوا الله تصدقوا ... اصدقوا مع الله في معتقداتكم وأقوالكم وأعمالكم ومعاملاتكم تصدقوا وتدخلوا مدخل صدق وتخرجوا مخرج صدق، ويجعل لكم تعالى سلطاناً نصيراً ... وتسلموا من صفات الذين وعدوا الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً، ممن يقولون بأفواههم

(١) سورة المائدة: الآية ١١٩.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

ما ليس في قلوبهم ...

يقول عليه الصلاة والسلام: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عنده صديقاً ... وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عنه كذاباً»^(١).

وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه، انظر «صحيح الجامع الصغير وزيادته» للألباني ٣٩٥٠.

□ الوَفَاءُ بِالْعُقُودِ □

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١). يقول عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه: أوفوا بالعقود بما أحل وبما حرم وبما فرض وبما حد في جميع الأشياء، ويقول الزجاج: المعنى أوفوا بعقد الله عليكم وبعقدكم بعضكم على بعض، والعقود جمع عقد وهو الشد والربط، ويشمل أي عقد عقده الإنسان مع ربه بلفظ العهد أو النذر أو اليمين أو نحو ذلك، وما عقده مع غيره من بني الإنسان بلفظ عهد أو بيع أو نكاح أو تأجير أو كفالة أو ضمان أو مشاركة أو مغارسة أو مساقاة أو زراعة أو غير ذلك في حدود ما جاء به الشرع الشريف، وبالأولى ما أخذه الله علينا بني الإنسان من الإقرار به وبرسوله بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٢). ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي - أَيَّ عَهْدِي - قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٣) وبالأولى تحليل ما أحل وتحريم ما حرم بوجه عام ووجه خاص لما في هذه السورة، سورة المائدة من قوله تعالى: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَيْمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ، إِنْ أَلَّ اللَّهُ بِحُكْمٍ مَا يَرِيدُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾^(٤). إلى آخر ما فيها من تحليل وتحريم وتحاكم وتحكيم مما هو أساس موضوعها وقطبها الذي تدور عليه.

ومما سلف أيها الأخوة، يتذكر الغافل ويعلم الجاهل أن الوفاء بالعقود أيًا كان لفظها مبدأً أساسياً من مبادئ ديننا الكريمة مبدأً توثيقاً وتأميناً يحتاجه الإنسان

(١) سورة المائدة: الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٤) سورة المائدة: الآيتان ١، ٢.

مع الإنسان، ويحتاجه مع ربه الذي وعده الوفاء إذا هو وفى معه بتحقيق توحيد
 وفعل طاعته، وعده بقوله: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾^(١) وقوله: ﴿من أوفى
 بعهده من الله﴾^(٢) ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾^(٣).

ولعلم الله الأزلي بحاجة الناس إلى الأخذ بهذا المبدأ، مبدأ الوفاء بالعقود ليظلوا
 آمنين في دنياهم فيما بينهم مترابطين متعاونين، يحترم بعضهم بعضاً ويفي بعضهم
 لبعض، شدد تعالى في غدر العهود وخيانة الموائيق وأنذر من ذلك وحذر وأبدى
 فيه تعالى وأعذر وحذر من الغدر والتحايل على نقض عهد أو عقد أو تحليل أو
 تحريم بغير ما أوجب بقوله سبحانه: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
 ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم
 الخاسرون﴾^(٤). وقوله: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن
 ولنكونن من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون،
 فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا
 يكذبون﴾^(٥). وقول رسوله ﷺ: «يقول الله تعالى: ثلاثة أنا خصيمهم يوم
 القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً وأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً
 فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره»^(٦)، وقوله: «ذمة المسلمين واحدة يسعى بها
 أدناهم ويمير عليهم أقصاهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
 لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»^(٧). وقوله: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة»^(٨)
 وكما أنذر سبحانه وحذر من الغدر والخيانة وأبان أثر ذلك ومصير أهله فقد أمر بالوفاء

(١) سورة البقرة: الآية ٤٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(٤) سورة البقرة: الآيات ٢٧.

(٥) سورة التوبة: الآيات ٧٥ - ٧٧.

(٦) انظر: «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» ٢٥٧٥ و «إرواء الغليل» ١٤٩٧، وفيه ضعف.

(٧) انظر «صحيح الجامع الصغير وزيادته» ٣٤٢٩، عن عائشة. وقد أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

والإمام أحمد: ج ١ / ١١٩ / ١٢٢ / ١٣٦ / ١٥١. وج ٢ / ١٩٢ / ٢١١ / ٢٩٨.

(٨) أخرجه البخاري وغيره. انظر «غاية المرام في تخریج أحاديث الحلال والحرام» للألباني ٤٤٩.

بالعقود ورغب فيه وأثنى كثيراً على الملتزمين له ووعدهم وهو صادق الوعد، وعدهم ما ترنو وتتطلع إليه النفوس الخيرة المصدقة بوعد الله، وعدهم بقوله تعالى: ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدروون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار، جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾^(١).

فاتقوا الله أيها الأخوة المؤمنون، وأوفوا بالعقود التي أمرتم بالوفاء بها فيما بينكم وبين الله وفيما بينكم وبين الناس في ظل طاعة الله وشرعه تستحقوا وعده وإلا ... فقد برئت منكم ذمة الله وذمة عباده ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، نستغفرك اللهم ونتوب إليك ونسألك الصبر والاحتساب والثبات إلى أن نلقاك غير مبديلين ولا خائنين ممن قلت فيهم وقولك الحق: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾^(٢).
ونستغفرك ونتوب إليك.

* * *

(١) سورة الرعد: الآيات ٢٠-٢٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

□ مخالفة الفعل للقول □

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب أحمدته تعالى وأعوذ به من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يستجاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها المسلمون إن دين الإسلام الحنيف الذي أنزله الله رحمة للعالمين ومنهاجاً للمؤمنين عنى كثيراً بتربية الشخصية المسلمة وإعدادها إعداداً يليق بمن هو أمين على تطبيق منهج الله في الأرض وحقيق بجنة الفردوس الأعلى بجوار الله يوم القيامة ... إعداداً يلتقي عليه المظهر والمخبر معاً يتسم بالاستقامة والرزانة والوضوح في الضراء والسراء والمنشط والمكروه ... إعداداً يصون المسلم أن يهزأ أو يغمز بيد أو بلسان أو حتى بعين فقد نهى أشد النهي عما يعرض لسوء أو يحط من قدر، يقول سبحانه: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾^(١) ويقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «الإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(٢)، ويقول: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»^(٣) ويقول أحد العلماء في نفسه: أنزهها عن بعض ما لا يشينها مخافة أقوال العداء فيم ولما ... وهناك خصلة شنعاء وخلة نكراء، تحط من القدر مهما تستر صاحبها عليها.

فمهما تكن عند امرئ من خليقة (وإن خالها تخفى على الناس تعلم) ألا وهي مخالفة الفعل للقول المتضمنة تُخلق المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون ويبتغون خلاف ما يظهرون ، يقول تعالى عاتياً على علماء بني إسرائيل ومن شابههم

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥١.

(٢) عن النّوّاس بن سمرعان رضي الله عنه، وأوله: «البر حسن الخلق» انظر: «صحيح الجامع الصغير»

٢٨٧٧.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

في هذه الصفة من علماء هذه الأمة وقادتها: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾^(١). ويقول في مناقبي هذه الأمة: ﴿ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيئت طائفة منهم غير الذي تقول﴾^(٢).

ويقول: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد﴾^(٣).

وقد حدث في تاريخ الإسلام إبان نزول القرآن، أن تمنى رجال من المؤمنين فريضة الجهاد قبل أن تفرض فلما نزل القرآن يأمر به تقاعس بعض المتمنين فأنزل الله تويحاً لمن تقاعس وهدياً وتشريعاً لمن غير إلى يوم القيامة ﴿يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾^(٤).

وإذا كان هذا العتاب وهذا الاستنكار لمن تمنى طاعة الله فلما أمر بها نكل فما بالكم بمن يقول هذا منكر في دين الله فاجتنبوه وهذا معروف فافعلوه، وأعماله ومشاعره مستمعيه تجاربه على ذلك بما صدقت ولا بررت.

لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم
أبدأ بنفسك فانها عن غيرها	فإن انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى	بالقول منك وينفع التعليم

إن هذا النوع من الناس مستخف عملياً ومستهتر بجرمات الله يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول، إن قلوبهم لو أشربت حقاً بغض هذا المنكر الذي ينهون عنه لأبغضته في قرارة نفسها ولحاربه علناً بفعالها ولو أشربت حقاً حب هذا الخير الذي يأمر به لأقامت منه واقعاً في حياتها ولدعت إليه بفعالها ولكنها مرضى، مرضى إن لم تكن جوفاء

(١) سورة البقرة: الآية ٤٤.

(٢) سورة النساء: الآية ٨١.

(٣) سورة البقرة: الآيات ٢٠٤-٢٠٦.

(٤) سورة الصف: الآيتان ٣، ٢.

خالية من أي خير، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

فيا أيها المسلمون، إن جرم هذا الفعل لعظيم، وإن خطره سيما على القادة والعلماء ونحوهم لجسيم يكشف أهله في الدنيا وقد يعرضهم لفتنة عمياء ولفح نار تلظى، فقد روي أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه، وروى البخاري ومسلم رحمهما الله عن أسامة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه - أعضاؤه - فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه أهل النار فيقولون: يا فلان ... ما شأنك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول: بلى ... كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية»^(١). وفي رواية قال: وإني سمعته يقول يعني النبي ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على رجال تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: يا جبريل من هؤلاء ... قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون»^(٢).

فاتقوا الله عباد الله وابتغوا رضی الله والقرى إليه بالأعمال الصالحة ظاهراً وباطناً وتجنبوا ما يعرض لسخطه وأليم عقابه، وانهجوا في أمركم ونهيكم ودعوتكم وجميع شأنكم نهج الإسلام الذي يريد الله نهج رسل الله وأتباعهم بإحسان الذين يعلنونه لأقوامهم بمثل ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

(١) متفق عليه عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما. انظر «مختصر صحيح مسلم» للمنذري ١٢٣٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» عن أنس بن مالك ١٢٠/٣، ٢٣٩، ٢٣١.

□ المنافقون وخطرهم على الإسلام وأهله □

أيها الأخوة المؤمنون لقد مني الإسلام منذ طلوع فجره وقيام دولته في المدينة المنورة بعدو خطر لدود، خطورته وعداوته لا تشبهها أي خطورة أو عداوة في الدنيا ألا وهم المنافقون الذين يكمنون بين صفوف المسلمين مستترين بدعوى الإسلام، وهم أخطر على الإسلام وأهل الإسلام من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين، لأنهم لا مؤمنون حقاً فيؤمنون ولا كفار ظاهراً فيحذرون مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ... ولقد حذر القرآن الكريم منهم كثيراً، حذر أفراد المسلمين والجماعة المسلمة، حذر الأفراد أن يتصفوا بصفاتهم بمثل قوله: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾^(١) وحذر الجماعة المسلمة من ائمتانهم والاختداع بهم بخطابه لنبيه ولمن قام بأمره من بعده من أئمة المسلمين بمثل قوله: ﴿فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾^(٢) وأبان أعمالهم وصفاتهم وما سيلقونه في الدنيا والآخرة بياناً واضحاً يكشف أعمالهم في الدنيا للمؤمن الذي ينظر بنور الله كما تكشف المرآة ما قابلهما، وخذوا مثلاً قول الله فيهم في سورة البقرة: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً وهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون، وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون. الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾^(٣).

وقوله: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله

(١) سورة النساء: الآية ١٤٥.

(٢) سورة المنافقون: الآية ٤.

(٣) سورة البقرة: الآيات ٨-١٦.

والله يشهد إن المنافقين لكاذبون، اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون^(١). وقوله في سورة التوبة: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾^(٢). وقوله مما يفضحهم ويجعلهم يترقبون الفضيحة تلو الفضيحة: ﴿يحبسون كل صيحة عليهم هم العدو﴾^(٣) - وغير ذلك مما يجعل المؤمن من أمرهم في حيلة وحذر يقف معهم في حياته موقف القرآن الكريم: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً، ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون، ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون﴾^(٤). لا أن يأمنهم ويركن ويطمئن إليهم ويتخذ منهم سريرة أو رؤساء، فيشاركهم في نفاقهم العملي ويتيح لهم الفرصة للإفساد في الأرض، فهم ممن قال الله فيهم: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾^(٥).

فاتقوا الله عباد الله، وانهجوا في حياتكم مع أنفسكم وأعدائكم نهج القرآن الكريم فبذلك عزتكم في الدنيا وسعدتكم في الآخرة، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾^(٦) وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) سورة المنافقون: الآيات ٢، ١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٥٤.

(٣) سورة المنافقون: الآية ٤.

(٤) سورة التوبة: الآيات ٨٤، ٨٥.

(٥) سورة البقرة: الآيات ٢٠٤-٢٠٦.

(٦) سورة المزمل: الآية ١٩.

□ آثار السعي في أعمال البر العامة □

على الفرد والمجتمع في محياه ومماته

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فلقد خلق الله الثقلين لعبادته وحده وأمرهم بها في قوله: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً، وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾^(١) وقد وعدهم تعالى على تحقيق ما أمروا به عزة الدنيا وعلوها ونعيم الآخرة ولذتها، وعدهم أنهم سيتفاوتون في ذلك بتفاوت ما يقدمونه في هذه الدنيا من أعمال وما يقوم بقلوبهم من صدق وخالص توجه يقول سبحانه: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾^(٢) ويقول: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾^(٣). ويقول رسوله عليه الصلاة والسلام: «إن أهل الجنة يترأفون من فوقهم كما تترأفون الكوكب الدرري الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم». قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(٤).

ولقد شرفت هذه الأمة بين أمم التكليف بأن أتيح لها ما لم يتح لغيرها فهي آخر الأمم وجوداً وأولها تقدماً يوم القيامة لشمول وتعدي أعمالها فهي لم توجد لنفسها أو لإقليمها أو لزمانها فقط، ولكنها وجدت وجود الشمول والخلود، وجدت ليستظل

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٣) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٤) متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. انظر «مشكاة المصابيح» ٥٦٢٤.

بظلمها وليستتار بنورها، وجدت لتحقق مهمتها في الحياة التي وضعت لها، يقول الله سبحانه: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾^(١) وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً^(٢) فيا أمة محمد بن عبدالله، يا أمة الخلافة في الأرض والوصاية على البشرية التي خولتم إياها بنصوص دينكم مثل قول الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾^(٣) إن رجال الإصلاح الفعلي والتأريخ الصادق الناطق والدرجات العالية عند الله التي أعدت لأولي العزم من أصحاب رسول الله وأتباعهم بإحسان ممن أوجدوا للناس لا لأنفسهم، ممن أوجدوا ليحلوا في الدنيا القلوب بما يقدمونه فيها من أعمال بر متعد نفعها وبقا ذكرها وفي الآخرة عليين ﴿على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم، يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك﴾^(٤) هم من يتجهون بأعمالهم كثيراً إلى التعدي والشمول مثلما ندب الله تعالى إليه بقوله: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾^(٥) وندب إليه رسوله ﷺ بقوله وقد سئل أي الناس خير الناس؟ أنفع الناس للناس هم من يهتمون بمصالح المسلمين ويسعون فيها دأبهم رجاء وعد الله في قول رسول الله ﷺ: «من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(٦).

وخوف وعيده في قول رسوله ﷺ: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(٧)

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٣) سورة النساء: الآية ١٣٥.

(٤) سورة المطففين: الآيات ٢٣-٢٦.

(٥) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٦) انظر «صحيح الجامع الصغير» ٦٤٥٣-٢٧٢٣.

(٧) سلسلة الأحاديث الضعيفة ورد: «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لا يصحح ويمسح

ناصحاً لله ورسوله ولكتابه وإمامه ولعامته المسلمين فليس منهم».

ضعيف. أخرجه «الطبراني في الصغير» ص ١٨٨ وعنه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٢٥٢/٢ من طريق =

هم من يشدون الأزر بمناصحة الأقوياء ومناصرة ومواساة الضعفاء والبؤساء وفق منهاج الله سبحانه ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾^(١) ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾^(٢).

«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، أنصره إذا كان مظلوماً فكيف إذا كان ظالماً؟ قال: بحجزه عن الظلم»^(٣).

فاتقوا الله عباد الله، اتقوا الله يا فعلة الخير وهداته وانهجوا بأعمالكم الخيرية نهج الشمول والتعدي والإيثار والاستمرار، نهج من يعملون بقول الله ابتغاء ثوابه: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾^(٤). ﴿وآقِ المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب﴾^(٥) ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾^(٦). ﴿فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة، فك رقية أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة﴾^(٧). روى الواقدي وغيره من المؤرخين أن جماعة من الصحابة لما صرعوا من الجراح في غزوة اليرموك استسقوا بماء فجيء بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه

= عبدالله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية عن حذيفة بن ايمان مرفوعاً وقال: «لا يروى عن حذيفة إلا بهذا الإسناد».

قلت: وهو ضعيف من أجل عبد الله بن أبي جعفر وأبيه فإنهما ضعيفان، واقتصر الهيثمي في «المجم» ٨٧/١ في إعلال الحديث على تضعيف الابن فقط وهو قصور، فإن الأب أشد ضعفاً من الابن.

(١) سورة المائدة: الآية ٢.

(٢) سورة العصر: الآيات ١-٣.

(٣) صحيح الجامع ١٥١٤ ورد: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل: كيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجزه عن الظلم، فإن ذلك نصره».

أحمد في مسنده، البخاري، الترمذي عن أنس، صحيح، الإرواء ٢٤٤٩.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٩٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٦) سورة الإنسان: الآيتان ٨، ٩.

(٧) سورة البلد: الآيات ١١-١٦.

نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها أحد منهم رضي الله عنهم أجمعين وصدق الله العظيم ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾^(١).

فيمثل هذا النهج الكريم والمسلك القويم أيها الأخوة ترابط المسلمون وزانوا التاريخ وعاشوا حقه المتباعدة باستمرار أعمالهم الخيرة وبقاء أفكارهم نيرة، يستضاء بها بين الناس وهم في عالم الأموات. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكل ساع في درب الخير مهتم بأمر المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

□ برّ الوالدين □

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً، أحمدته سبحانه يطعم ولا يطعم بيده ملكوت كل شيء وخلق كل شيء فقدره تقديراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾^(١) أيها المسلمون لقد خلق الله الثقلين لعبادته وحده وأمرهم سبحانه بتحقيق ما خلقوا له وما أمروا به ليحقق لهم تعالى ما وعدوا به ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ - وبعد أن أمرهم تعالى بعبادته أمرهم أمر إيجاب وإلزام بالإحسان إلى الوالدين بقوله: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ وقوله: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾^(٢) يروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها إحداها: قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾^(٣) فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه، والثانية: قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾^(٤) فمن صلى ولم يرك لم يقبل منه، والثالثة: قوله تعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾^(٥) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه، وفي هذا المعنى قول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين»^(٦).

أيها المسلمون إن من تمام الوفاء وكرم الأخلاق التي جاء بها الإسلام أن تحسن محتسباً إلى من أحسن إليك ، وفي هذا قول الله سبحانه : ﴿هل جزاء الإحسان

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) سورة الإسراء: الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٥) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٦) انظر «صحيح الجامع» ٣٥٠١ و «الصحيح» ٥١٥ عن ابن عمرو رضي الله عنهما بلفظ «الرب».

إلا الإحسان»^(١) وقول رسوله ﷺ: «من صنع إليكم معروفاً فكافوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه»^(٢) وليس في الوجود أحد بعد الله سبحانه أسدى إليك أيها الإنسان معروفاً أكثر مما أسدى إليك أبوك وأمك فقد ربياك صغيراً، وآثرك على أنفسهما كبيراً، وكانا قبل ذلك السبب في وجودك وبروزك في الحياة شخصاً سوياً، فقد بذلا من أجلك الشيء الكثير، بذلا مهجهما وراحتهما ومالهما لإنعاشك وإسعادك، إن مرضت مرضاً معك وإن سهرت سهراً معك، إن حضرت خافاً عليك، وإن غبت بكياً عليك، فمن أجل ذا ومن أجل أن توفق لما أمرت به من طاعة الله وبر الوالدين فتسعد في دنياك وتنعم في آخرك أمرك الله جل جلاله ببرهما والإحسان إليهما والعطف عليهما وخفض الجناح لهما والترحم عليهما ومخاطبتهما باللين والرفق واليسر والحسنى، ووصاك بهما تعالى توصية مبينة حكمتها توصية تستجيش المشاعر وتهز القلوب بقوله: ﴿ووصينا الإنسان بالديه إحساناً، حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾^(٣) وقوله: ﴿ووصينا الإنسان بالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾^(٤).

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به من بر الوالدين وطاعتها في المعروف فبرهما وطاعتها من أكبر القربات المقربة إلى الله، وعقوقهما وعصيانها من أكبر السيئات المبعدة عن الله، روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها». قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»^(٥) وروي عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» ثلاثاً قلنا: بلى. قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين»

(١) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(٢) انظر «المشكاة» ٣٠٢٤ و «صحيح الجامع» ٦٢٤٤ و «صحيح الترغيب والترهيب» عن أسامة ابن زيد رضي الله عنهما.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٤) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٥) متفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه. انظر «رياض الصالحين» للإمام النووي تحقيق الألباني ٣١٧.

وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت^(١).

فاتقوا الله عباد الله وبروا تبروا، وأحسنوا يحسن الله إليكم وأطيعوا الله في والديكم يطع الله فيكم أولادكم، ففي الحديث الذي رواه الطبراني عن أبي هريرة بإسناد حسن ورواه غيره عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «بروا آباءكم تبركم أبناءكم وعفوا تعف نساؤكم وإن أبر البر وأفضل الإحسان ما كان في ذوي القربى وأقرب ذوي القربى والوالدان»^(٢). روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بصحبتى؟ قال: «أملك» قال: ثم من؟ قال: «أملك» قال: ثم من قال: «أبوك، ثم الأقرب فالأقرب»^(٣). وروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان: أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما قال: «نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقيهما من بعدهما»^(٤). وروى مسلم عن عبد الله ابن دينار عن عبد الله بن عمر أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت عليه فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير، فقال: إن أبا هذا كان ودّاً لعمر ابن الخطاب وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه»^(٥).

اللهم اغفر لنا ولوالدينا اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم

(١) كما قال المؤلف حفظه الله، فقد رواه عن أبي بكرة، البخاري ومسلم والإمام أحمد في «مسنده» والترمذي. انظر «صحيح الجامع الصغير» ٢٦٢٥-١٢٠٦.

(٢) الحديث رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» عن ابن عمر و «مجمع الزوائد» ١٣٨/٨ «ضعيف الجامع الصغير» ٢٣٢٨.

(٣) انظر «صحيح الجامع الصغير» ١٣٩٥ عن معاوية بن حيدة، و «المشكاة» ٤٩١١ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الرجل من بني سلمة، وانظر «تخرج المشكاة» ٤٩٣٦ وفي إسناده ضعف. ويشهد له الحديث الآتي بعده عن ابن عمر.

(٥) رواه مسلم وانظر «صحيح الجامع» ١٥٢١.

نزلهم وأوسع مدخلهم ولا تفتنا بعدهم واجعلنا وإياهم ممن قلت فيهم: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتاهم من عملهم من شيء﴾^(١) ونستغفرك ونتوب إليك.

* * *

(١) سورة الطور: الآية ٢١.

□ حق المسلم على أخيه المسلم □

أيها الأخوة الكرام، إن دين الإسلام الميسر الحنيف الذي عنى بمصالح البشر ومتطلبات معاشهم، ومعادهم قد أوجب على بعضهم للبعض حقوقاً بالأخذ بها والتأدب بآدابها يسود بينهم الوثام والتآخي والترابط والتشاد المدعو إليه، يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١) ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٢) ويقول رسوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٣) وأن من ألزم تلکم الحقوق وأكدها أن يكف المسلم أذاه عن أخيه المسلم فلا يؤذي أي مسلم كان قريباً أو بعيداً ولا يحقره ولا يخذله ولا يكذبه ولا يضاره ولا يشق عليه ويعنته ففي الحديث: «من ضارَّ مسلماً ضارَّه الله ومن شق على مسلم شق الله عليه»^(٤) وفيه: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»^(٥). وفيه: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٦). وفي التنزيل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهَتَانَا وَهَاتِمَا مِثْلًا﴾^(٧).

ومما يجب للمسلم على أخيه المسلم في إطار الآداب العامة ما جاء في قول رسول الله ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس»^(٨)، وفي نص آخر «وإبرار القسم ونصر المظلوم» وفي لفظ آخر: «وإذا استصحك فانصح له» وما جاء في قوله:

(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٣) متفق عليه وعند الإمام أحمد وغيره عن أنس. انظر «الأحاديث الصحيحة» ٧٣.

(٤) انظر «إرواء الغليل» ٨٩٦ و «صحيح الجامع الصغير» ٦٢٤٨.

(٥) رواه الإمام البخاري، وانظر «شرح العقيدة الطحاوية» تخرىج الألباني ص ٥٠٠ فإن للحديث طريق

جديد جيد جداً و «صحيح الجامع الصغير» ١٧٧٨.

(٦) عن جابر وابن عمر، انظر «صحيح الجامع الصغير» ٦٥٨٥.

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٥٨.

(٨) متفق عليه: انظر الألفاظ الأخرى في «صحيح الجامع الصغير» ٣١٤٥، ٣١٤٦ و «الأحاديث

الصحيحة» ١٨٣٢.

نَفْسٌ عَنْ مُؤْمِنٍ كَرِبَةً مِنْ كَرِبِ الدُّنْيَا نَفْسُ اللَّهِ عَنْهُ كَرِبَةٌ مِنْ كَرِبِ يَوْمِ
السَّيِّئَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مَعْسَرٍ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا
سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ
أَخِيهِ»^(١).

ومما يجب للمسلم على أخيه المسلم أن يؤدي إليه حق الجوار إذا جاوره وحق
الائتمان إذا ائتمنه وحق المعيشة إذا اقتضتها الحال بضيافة أو قرابة تستدعي الإنفاق.
هذه أيها الأخوة نماذج لما جاء للمسلم على أخيه المسلم من حقوق، جاء
الإسلام بها ليرفع بها أهله من حياة التقاطع والتدابير والتناحر إلى حياة أفضل وتلاق
أكمل إلى حياة الترابط والتآخي في الله والتناصح والتعاون من أجل الله ليصبحوا
بهذا جسداً واحداً وقلباً واحداً ولساناً واحداً ليصبحوا به كما وصفهم الصادق
المصدوق، عليه الصلاة والسلام، بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم
وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحـمى
والسهر»^(٢) وقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٣) وشبَّك بين
أصابعه.

فاتقوا الله أيها الأخوة المؤمنون، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تتعاونوا على
الإثم والعدوان، اتقوا الله بأداء ما وجب عليكم من حقوق حسبة لله وسيراً على
منهاج رسول الله، الذي أرسى لنا أصول هذه الحقوق وجوامعها بقوله في أكبر مجمع
عرفته الدنيا في حجة البلاغ والوداع وهو واقف يخطب الناس: «إن دماءكم وأموالكم
وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا»^(٤).
وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور
الرحيم.

(١) انظر «صحيح الجامع الصغير» ٦٤٥٣-٢٧٢٣.

(٢) انظر «صحيح الجامع الصغير» ٥٧٢٥ و «الأحاديث الصحيحة» ١٠٨٢.

(٣) متفق عليه، انظر «صحيح الجامع الصغير» ٦٥٣٠ و «مشكاة المصابيح» ٤٩٥٥.

(٤) رواه مسلم، انظر «مشكاة المصابيح» ٢٥٥٥ و «صحيح الجامع الصغير» ٢٠٦٤-٩١٤.

□ حرمة الحقوق المالية □

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، والمجازي لها بما عملت، سبحانه وتعالى لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله القائل: «كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه»^(١) صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون. أيها المسلمون لقد خلق الله الإنسان في هذه الدنيا وكرمه أحسن تكريم وقومه أحسن تقويم ليؤدي فيها ما خلق له من عبادة الله وحده التي يصل بها إلى أمنيته الكبرى وغايته القصوى في الدنيا والآخرة. أكرمه بشرع عظيم يسر كريم يرعى الحقوق ويصون المصالح ماديها ومعنويها يرعى الدماء والأعراض والأموال برعاية الله التي وضعها منهاجاً لعباده في الأرض ونوراً يستضيء به وهدى يقتضى لا يزيغ عنه إلا هالك. يقول سبحانه وتعالى في صيانة الأموال وحرمتها: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾^(٢) ويقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً﴾^(٣) ويقول: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾^(٤) ويقول: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾^(٥). وقال عليه

(١) رواه مسلم، انظر «صحيح الجامع الصغير» ٤٣٨٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣٨.

(٣) سورة النساء: الآيتان ٣٠، ٢٩.

(٤) سورة النساء: الآية ١٠.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٨.

الصلاة والسلام في أكبر مجمع وأروع مشهد وهو واقف يخطب الناس بعرفات: «أي يوم هذا؟» قالوا: يوم عرفة. قال: «أي بلد هذا؟» قالوا: بلد الله الحرام. قال: «أي شهر هذا؟» قالوا: شهر الله المحرم. قال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا»^(١). وقال فيما رواه أحمد والدارقطني عن أنس رضي الله تعالى عنه: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه»^(٢) وقال فيما اتفق عليه: «من ظلم شبراً من الأرض طوقه من سبع أرضين»^(٣).

وبهذه النصوص وأمثالها يعلم الجاهل ويتذكر الغافل أنه لا يجوز لمسلم ما أن يأخذ مال مسلم أو أن يستعمل مال مسلم سواء ما يركب من آلة أو دابة ونحو ذلك، أو ما ينزل فيه ويستظل به من عقار وخيمة ونحوها، أو ما يستعمل من لباس وآلات عمل إلا برضا وطيب نفس صاحبه، ودون ذلك يكون الآخذ والمستعمل غاشماً ظالماً متعدياً على حرمت الله مستهدفاً لوعيده في قوله سبحانه: ﴿ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً﴾^(٤).

فاتقوا الله أيها المسلمون، وليحترم بعضكم حقوق وأموال البعض فاحترام الحقوق والأموال الذي أمرتم به بالنسبة لغيركم وأنذرتهم من أخذه وحذرتهم عاقبته، احترام لدينكم وأمنكم وأنفسكم واحترام وحماية للدماء والأعراض التي لا يستغني أي منا عن احترامها وحمايتها، ليظل في حياته آمناً مطمئناً على نفسه وعرضه، ولا جرم أيها الإخوة فضياع جانب الأموال أو التساهل فيها أخذاً أو إعطاءً أو معاملة

(١) هذا القسم جزء من الحديث المتقدم عند مسلم عن جابر رضي الله عنه. انظر «مشكاة المصابيح» ٢٥٥٥. وانظر كتاب «حجة النبي ﷺ» للألباني فإنها شرح لهذا الحديث و «صحيح الجامع الصغير» ٢٠٦٤-٩١٤.

(٢) وعند أبي داود عن حنيفة الرقاشي. وانظر «مشكاة المصابيح» ٢٩٤٦ و «إرواء الغليل» ١٤٥٩ و «صحيح الجامع الصغير» ٧٥٣٩.

(٣) متفق عليه وعند الإمام أحمد عن عائشة وسعيد بن زيد رضي الله عنهما. انظر «صحيح الجامع الصغير» ٦٢٦١.

(٤) سورة النساء: الآية ٣٠.

يجر إلى ضياع جانب الدماء والأعراض ولا قوة إلا الله. ومن أجل ذلك جاءت نصوص تحريم وحماية الجميع متتالية في كتاب الله وسنة رسوله مترابطة ترابط لبنات البناء المتشاد الذي إذا اهتزت إحدى لبناته حركت التي تليها.

فمحافظة محافظة أيها الأخوة على أوامر الله التي فيها الخير والرشد والهدى، وتمسكاً متمسكاً بشرع الله وما وضعه في أرضه منهاجاً لعباده، فهو وضع حكيم عليم بأسرار الكون وما يصلح النفس البشرية وينفعها في معاشها ومعادها، وهو الذي وعدها بقوله وقوله الحق ووعد الصديق: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾^(١) وقوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾^(٢) وقول رسوله ﷺ: «ومن يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله»^(٣).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) سورة الطلاق: الآيات ٣، ٢.

(٢) سورة الطلاق: الآية ٤.

(٣) هو جزء من حديث عند الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ١٠٢/٣. وانظر «مختصر صحيح مسلم» ٥٥٥.

□ الغش □

أما بعد: أيها المؤمنون لقد جاء دين الإسلام الحنيف بما فيه خير البشرية وتأمينها وتعاونها على الخير وتعاملها به

جاء بما يحقق ما يحتاجونه في معاملاتهم من صدق ونصح وإيضاح وبيان وتوفية كيل أو وزن أو زرع أو غير ذلك. يقول سبحانه: ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجليلة الأولين﴾^(١) ويقول عليه الصلاة والسلام: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»^(٢).

وبهذين النصين وأمثالهما من الكتاب والسنة يعلم أن الإسلام جاء بالأمر بالصدق في المعاملة والنصح فيها والنهي عما يخدش ذلك أو يناقضه ، فقد حرم في معاملاته التي وضعها لبنينه ضرورة يتعايشون بها في حياتهم ... الغش بجميع أنواعه وألوان مسمياته، حرمه لما يعلمه تعالى فيه من خطورته العظمى وآثاره النكراء على المجتمع المسلم في معاملاته ومعتقداته في أمنه وسلوكه في معاشه بل ومعاذ، ولا جرم فما وجد في الأمة غش تاجر أو غش صانع أو غش مرابي إلا ونخر ذلك في عظمها كما تنخر السوس في الخشب، فإذا انضم إليه فيها غش وإل أو قاضر أو جندي فقل عليها السلام في أعز ما لديها في عدلها وأمنها في معتقدها وسلوكها في دينها ومعاملتها إن لم يتداركها الله بتقييض مخلصين محتسبين متفانين في خدمة دينهم وحماية مجتمعهم من التدلي في مهاوي الأخطار ومسببات الأضرار، ولا جرم فما - وإيم الله - قامت أمة عبر حقب التاريخ المتتالية قياماً تبعه استقرار ورخاء ، إلا بالتزامها للنصح والوفاء ، وما انحطت أية أمة عبر حقب التاريخ وضاعت معاشها وتنافرت قلوبها بل وتجري على سلطانها إلا بعد أن وجد الغش فيها سافراً ترى

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٨١-١٨٤.

(٢) عن حكيم بن حزام رضي الله عنه: انظر «صحيح الجامع الصغير» ٢٨٩٣.

عليه الصغار وهم عليها الكبار، وحفاظاً على كيان الأمة الإسلامية وصيانة لها من التدي والترددي فيما لا تحمد عقباه حرم الإسلام الغش. يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: «الدين النصيحة» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله وكتابه ولسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١) ويقول: «من غش فليس منا»^(٢) ويقول: «يقول الله تعالى: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خان خرجت من بينهما»^(٣) ويقول: «ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة»^(٤) رواه مسلم، وفي الطبراني بإسناد حسن: «ما من إمام ولا والٍ بات ليلة سوداء غاشاً لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»^(٥).

فاتقوا الله عباد الله، وحاربوا الغش حكماً ومحكومين أفراداً وجماعات، حاربوه بجهودكم الطيبة وأعمالكم المخلصة، حاربوه بلزوم النصح والصدق في الأمور مهما كانت الأحوال أو وجدت مصالح ظاهرة، فالحق يقول بعد أن أمر بالوفاء في كيل أو وزن ﴿بِقِيَّةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٦).

وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إن الله هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) انظر «صحيح الجامع الصغير» ٣٤١١.

(٢) انظر «صحيح الجامع الصغير» ٦٢٨٢.

(٣) انظر «مشكاة المصابيح» ٢٩٣٣.

(٤) رواه الإمام مسلم عن معقل بن يسار رضي الله عنه. انظر «صحيح الجامع الصغير» ٥٥٧٣.

(٥) انظر «مجمع الزوائد» ٢١٢/٥ و «ضعيف الجامع الصغير» ٥١٥١-٨٥٤.

(٦) سورة هود: الآية ٨٦.

□ الطيبات وأثرها على المسلم في حياته ومماته □

الحمد لله العلي الأعلى، الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أكرم الطيبين من خلق الله أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين هدوا إلى الطيب من القول وإلى صراط الحميد. وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾^(١).

أيها الإخوة - لقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى بهذه النعم التي أجلها ما خلقنا عليه من أحسن الهيآت وأكمل الصفات التي عناها الحق تعالى بقوله: ﴿وأحسن صوركم فأحسن صوركم﴾^(٢) ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾^(٣). ذلكم الخلق الذي لم يكن محض صدفة، ولكنه تهيئة وقدر من قدر الله تهيئة لهذا الإنسان بهذا الخلق السوي لتقبل الأمر السوي لتقبل شرع الله الحسن الطيب الذي هيء له الحسن الطيب من الناس طيب الخلقة طيب القلب ليحل ما اختاره الله من شرع كريم في قلب كريم وجسم قويم، ليؤتي ثماره يانعة شهية كما تؤتي الأرض القابلة للماء إذا سقيت به، ثمارها يانعة شهية بإذن الله وإزاء ما خلقنا عليه، نحن بني الإنسان من طيب الهيئة وطيب القلب الذي هو مناط التكليف أمرنا بالتزام الطيب من كل شيء والابتعاد عن الخبيث من كل شيء، بالتزام الاعتقاد الطيب والعمل الطيب والقول الطيب والمأكل والمشرب والملبس والمسكن والمنكح الطيب.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾^(٤) ويقول: ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٢) سورة غافر: الآية ٦٤.

(٣) سورة التين: الآية ٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٠.

والطيبون للطيبات»^(١) ويقول في رسوله ﷺ: «يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث»^(٢). ويقول رسوله فيما رواه الإمام مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾»^(٣) وقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ»^(٤) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»^(٥).

فاتقوا الله عباد الله، والزمو الطيبات أياً كانت وبما كانت من ثمن، فلن يقبل عند الله إلا الطيب، ولن يرفع إليه وينفع ويشفع لديه دنيا وأخرى إلا ما كان طيباً، والطيب من المآكل والمشارب، والنكاح ما كان حلالاً مباحاً، ومن الاعتقادات والأعمال والأقوال ما كان مشروعاً يتغى به وجه الله ومتبعاً فيه رسول الله ﷺ إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه»^(٦) «ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها»^(٧). فاتقوا الله عباد الله وكونوا كما يريد الله لكم وهياًكم له وأكرمكم به خلقاً، وأمركم به شرعاً طيبى الاعتقاد وطيبى الأفعال وطيبى الأقوال، طيبى المآكل طيبى المشارب طيبى المساكن طيبى المناكح طيبى الأخلاق طيبى المدخل طيبى المخرج طيبى الحيا طيبى الممات، يطب منقلبكم وماوأكم ونزلكم يوم أن تلقوا الله سبحانه الذي يقول: ﴿جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين. الذين توفاهم الملائكة

(١) سورة النور: الآية ٢٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٥١.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٢.

(٥) رواه الإمام مسلم، وانظر «مشكاة المصابيح» ٢٧٦٠.

(٦) سورة فاطر: الآية ١٠. ويشير المؤلف في شرح الآية إلى الحديث «العمل الصالح يرفع الكلم الطيب» وهو عند الإمام أحمد والبخاري وغيرهما.

(٧) سورة إبراهيم: الآيتان ٢٤، ٢٥.

طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴿١﴾ ويقول: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ ﴿٢﴾.

نستغفرك اللهم وتوب إليك ونسألك أن تجعل آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) سورة النحل: الآيات ٣١-٣٢.

(٢) سورة الزمر: الآيات ٧١-٧٤.

□ الحسد وأثره على صاحبه □

أما بعد: أيها المسلمون لقد أمر الإسلام أهله بكل ما فيه خير وبر ونفع وإسعاد. ونهاهم عن كل ما فيه شر وإثم وضرر وفساد. أمرهم بمكارم الأخلاق وأفاضل الأمور ونهاهم عن سيئها ورذيلها.

وهناكم خصلة شيطانية ذميمة وخلة يهودية دنيئة جاء الإسلام بالنهاي عنها. ألا وهي الحسد، يقول تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا﴾^(١) ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «لا تحاسدوا»^(٢) أي لا يحسد بعضكم بعضاً. والحسد المذموم الذي جاءت الأدلة بدمه والنهي عنه هو: تمنّي زوال ما أنعم الله به على عبد من نعمته دين أو دنيا، ويشتمد إثم ذلك ويعظم شره إذا سعى الحاسد في زوال النعمة عن المحسود بقول أو بفعل، بقول: كالكذب والتأليب عليه، أو بفعل: كعماكسته في الأمور وإظهار أخطائه وسيئاته على وجه التنقص والهدم لا على وجه الإصلاح والبناء.

ولا غرو أن ينهى عن الحسد، فالحسد أول ذنب عصي الله به وأول عامل في ضلال الإنسانية وشقائها، فقد حسد إبليس - لعنه الله - آدم عليه السلام، لما رأى آدم فاق على الملائكة بأن الله خلقه بيده وأسجد له ملائكته وأسكنه بجواره، وعلمه أسماء كل شيء، ومنعه حسده أن يسجد لآدم، فامتنع فحقت عليه وعلى من تبعه اللعنة ترى إلى يوم القيامة.

فاتقوا الله معشر المسلمين، وتجنبوا الحسد فإنه لوخيم العاقبة شديد النكاية يحرق القلوب ويولد فيها الشحنة والعداوة والبغضاء، ويأكل الحسنات كما تأكل النار العشب، كما أخبر بذالك المصدق المصدق صلوات الله وسلامه عليه.

(١) سورة النساء: الآية ٥٤.

(٢) رواه الإمام مسلم، وانظر «صحيح الجامع الصغير» ٧١١٩-٢٩٦٠.

ما وجد في أمة إلا وأوردها أشر موارد العطب، وأصدرها أفضع مصادر الهلاك، ما وجد في أمة إلا وأذهب ريحها وفرقتها شيعاً، ما وجد في أمة إلا وأعمى قلوبها عن فهم الحق وأصم آذانها عن سماعه وأخرس ألسنتها عن النطق به، لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا عجب أيها الإخوة، فقد دفع إبليس إلى أن يزين لآدم ولزوجه في الأكل مما نهبها عنه، ولا زال بهما حتى أوقعهما في المعصية، دفع بأحد ابني آدم هابيل لما أن قُرب هو وأخوه قابيل قرباناً فتقبل قربان هابيل لتقواه ولم يتقبل قربان قابيل، إلى أن يقتل أخاه حسداً وظلماً، فجر عليه حسده الإثم العظيم إلى يوم القيامة، فقد جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد وغيره ... «ما قتل قتيل إلا كان على ابن آدم كفل منه»^(١) لأنه أول من سنَّ القتل دفع بأخوة يوسف إلى أن يعقوا أباً ويقطعوا رحماً بإلقائهم أخاهم يوسف في البئر حسداً وظلماً ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة﴾^(٢).

دفع بكثير من أهل الكتاب الذين يعرفون نبوة محمد وصفته في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم إلى أن يجحدوا نبوته حسداً للعرب، لما بعث ﷺ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَاراً حَسِداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾^(٣). دفع كفار قريش إلى حسد بني هاشم لما بعث منهم عليه الصلاة والسلام، فقد قال قائل من قريش وهو الأخنس بن شريق: كنا نتسابق وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثنا على الركب وكنا فرسي رهان. قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذا. ويقول أبو جهل لعنه الله: إني لأعلم أن محمداً صادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه والنبوة فماذا يبقى لسائر قريش. وصدق الله العظيم ﴿فإِنَّهُمْ لَا يَكذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(٤).

(١) حديث متفق على صحته وتقدم بصفحة ١٥٠.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٣٣.

وهكذا كان مبلغ الحسد بأهله، وهكذا كانت آثاره على أهله. وكيف لا يكون كذلككم وأثر من ذلكم، وهو اعتراض على الله في حكمه وقضائه وإعطائه ومنعه. فاتقوه عباد الله وجانبوا الحسد وعالجوه إذا وقع بقلب أحدكم بذكر فضائل ومحاسن المحسود، وبذلكم تسلمون من أخطاره وأضراره، فإنه- وإيم الله- لعناء وشقاء في الدنيا وحسرة وندامة في الآخرة.

وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

□ المناسبات الإسلامية وآثارها □

الحمد لله الذي بيده ملكوت السموات والأرض، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. أحمدته تعالى وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الظالمين، ويفعل ما يشاء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عبد الله حق عبادته، ودعا الناس إلى عبادة الله وحده ببصيرة حتى أتاه اليقين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وجميع من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها المسلمون، إن من نعم الله علينا نحن المسلمين أن شرع لنا عبادات ومناسبات إسلامية كريمة تحرك الشعور الإسلامي في أهله، فتزيد في طاعتهم وتنبههم وإقبالهم على ربهم، مناسبات تتوالى عليهم كثيراً فيعظمونها فيخرج من عظمها منهم بطهر وصفاء ونقاء كيوم ولدتهم أمهاتهم.

وتلك المناسبات كثيرة وعديدة في الإسلام، كالصلوات مثلاً والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شعائر الإسلام مما يمر في السنة مرة، مثلاً كصوم رمضان والحج والأضحية وصوم يوم عرفة لغير الحاج ويوم المحرم، أو في الأسبوع مرة كالجمعة، أو يتكرر في اليوم واللييلة كالصلوات الخمس وما إلى ذلك من شعائر الإسلام الظاهرة المتنوعة التي تتعاهد المسلمين بين حين وآخر، وإنه ليجدر بالمسلم الذي أنعم الله عليه بالإسلام وإدراك شيء من مناسباته الفاضلة أن يستشعر أنها شرعت لحكم ومصالح، منها صقله وتنبهه وتذكيره، فقبل أيام مثلاً مرت بنا مشروعية التكبير علناً، ولدى ذبح النسك من هدي أو أضحية لتذكرنا بمدلول ما نلفظ به كثيراً في صلواتنا وغيرها من قول: الله أكبر لتذكرنا بأن الله أكبر من كل شيء أكبر من الملوك من المصالح من المناصب من الدنيا جميعها، مرت بنا مناسبة الأضحية وضحي منا من ضحي، وقال ما يشرع عند ذبحها من قول: ﴿إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمِحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١)، ومشروعية هذا القول عند ذبح النسك لها مغزاها وما تومي

(١) سورة الأنعام: الآيات ١٦٢-١٦٣.

إليه، فهي أشبه بالعهد الذي يقطعه المسلم مع ربه وهو يدخل في عبادته ونسكه، مرت بنا مناسبة الحج ودخل فيه من دخل ومر فيه بحالات ومواقف كلها عبر ومدكر من بدايته بالتححرر من الخيطة للإحرام، وإعلانه بعده للتجرد من كل ما سوى الله بإهلاله بالتوحيد إلى نهاية قضاء مناسكه. فيا أيها المسلمون يا من تصلون وتزكون وتصومون وتحجون وتولون وجوهكم نحو ربكم وتسلمونها له، إن الخير كل الخير والطهر كل الطهر بل والدين كل الدين، أن يصلي أحدنا وترى آثار صلته عليه ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١) وأن يزكّي أحدنا وترى آثار زكاته عليه ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٢) وأن يصوم أحدنا وترى آثار صيامه عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣) وأن يحج أحدنا وترى آثار حجه عليه، بلزوم الحاج للعهد الكريم والمسلك القويم الذي كان عليه في الحج ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(٤).

فاتقوا الله أيها المسلمون، واغتنموا ما يمر بكم من مناسبات فاضلة، وسارعوا فيها إلى مغفرة من ربكم ورضوان، وإذا خرجتم منها فاخرجوا خروج الغائم الكاسب المغتبط بما أوتيته من توفيق لطاعة الله فيها ولزوم العهد الذي كان عليه فيها من فعل الفضائل برغب واجتناب الرذائل برهب، فالمسلم الحق ما يكاد يخرج من طاعة إلا ويدخل في طاعة أخرى. بحياه ومماته لربه تعالى، إن تحرك فبالإسلام، وإن عمل فللإسلام وهذه هي الحياة الطيبة حياة الأنبياء وأتباع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم حياة من وعدوا بقول صادق الوعد ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥) نسألك اللهم أن تثبتنا بقولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وأن تجعل آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ونستغفرك اللهم ونتوب إليك.

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٩٦.

(٥) سورة النحل: الآية ٩٧.

□ الجمعة □

أما بعد، فيا عباد الله إن الله جلت قدرته وتعالى أسماؤه شرع لنا شرائع مثلى، وهدانا لطرق سوى، شرع لنا أمة محمد اجتماعاً لأداء صلاة الجمعة يوم الجمعة في بيت من بيوته، شرعه مشروعياً وإيجاباً وإلزاماً على كل مكلف ما عدا المرأة والمريض والرقيق والمسافر وسكان البادية، وما أعظمه وأجله من تشريع، وما أروعه وأمثله من اجتماع تتجلى فيه عبودية الله وحده، ويتجدد به تعارف المسلمين ويقوى به إخاؤهم وترابطهم وولائهم بلقائهم في بيت من بيوت الله وعلى بساط طاعة الله، لقاء يذكرهم بالله وبآيات الله وأيامه، يذكرهم بوحدتهم في العقيدة ووحدتهم في القيادة والإمامة، ويظهر شعارها جلياً واضحاً، إنه - وإيم الله - لتشريع حكيم، بل وفضل عظيم، أن هدانا الله لهذا الاجتماع وجعله في أفضل أيام الأسبوع الذي يقول فيه ﷺ: «يوم دعيت إليه الأمم قبلنا فضلت عنه وهدانا الله له»^(١) ويقول فيه: «ما طلعت الشمس على يوم أفضل من يوم الجمعة ففيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه»^(٢)، وقد جاء في السنة ما يدل على أن تلك الساعة ما بين أن يحضر الإمام إلى أن تقضى الصلاة، وقيل: ما بين صلاة العصر وغروب الشمس.

أيها المسلمون إن فضل هذا اليوم لعظيم، وإن فضل أداء صلاة الجمعة فيه لواسع وكبير، فيها تكفر السيئات وتمحى الخطايا، يقول ﷺ: «الصلاة إلى الصلاة والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر»^(٣) وإن الله سبحانه وتعالى قد سنَّ فيه سنناً وشرع فيه آداباً تصقل النفوس وتزكّيها وتطهرها من الأدران

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة، والبخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه. انظر «مشكاة المصابيح» ١٣٥٦ و «الأحاديث الصحيحة» ١٥٠٢ وله ألفاظ أخرى انظر «صحيح الجامع الصغير» ٣٣٢٨ و «صحيح

أبي داود» ١٠٢٤، ٩٦١.

(٣) انظر «مختصر صحيح مسلم» ٢٠٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والأوساخ الحسية، وتبئها للنظافة المعنوية والتطهر الشامل الكامل وتذكرها به، تذكرها عندما تطهر وتنظف الجسم والملابس بضرورة تطهير وتنظيف القلب من الشكوك والأحقاد والجوارح من يد ورجل ولسان وسمع وبصر من أعمال السوء، يقول عليه السلام: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين إلا بإذنهما ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام»^(١)، ويقول: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم - أي بالغ - والسواك وأن يمس من طيب»^(٢).

أيها المسلمون، إن الشريعة كما جاءت مبينة فضل يوم الجمعة وفضل صلاة الجمعة، فقد نهت أشد النهي عن التكاثر منها والتهاون بما شرع فيها من آداب، فقد روى مسلم عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»^(٣) ويقول صلى الله عليه وسلم: «من ترك ثلاث جمع طبع الله على قلبه»^(٤)، ويقول في النهي عن التساهل بآدابها: «من تكلم والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا، والذي يقول له أنصت ليست له جمعة»^(٥). ويقول وهو يخطب يوم الجمعة للذي رآه يتخطى رقاب الناس: «اجلس فقد آذيت وآنيت»^(٦).

أيها المسلمون، هذه أوامر الله بأداء الجمعة ونواهيها عن تركها. هذا ترغيبه

(١) رواه الإمام البخاري من حديث سلمان رضي الله عنه. انظر «صحيح الجامع الصغير» ٧٦١٣-٢٣١٧.

(٢) انظر «صحيح الجامع الصغير» ٤٠٥٤، ٤٠٥٣. وقد رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان عن أبي سعيد.

(٣) رواه أحمد ومسلم وغيرهما. انظر «صحيح الجامع الصغير» ٥٣٥٦.

(٤) انظر «صحيح الجامع الصغير» ٦٠١٦-٢٥١٢.

(٥) ضعيف الجامع ٥٣٣٠ - الأحاديث الضعيفة ٤٥٢٨ - الإرواء ٦١٩.

(٦) رواه الإمام أحمد وغيره عن عبدالله بن بسر وعن جابر رضي الله عنهما. انظر «صحيح الجامع الصغير» ١٥٣-٥٦.

ووعيده للعاملين، وترهيبه ووعيده للمتكاسلين، ومن هنا يعلم أن يوم الجمعة ليس منطلقاً للنفوس في الشهوات والملذات، ولكنه منطلق لها في الطاعات والروحانيات، وليس لنزهة الدنيا ولكنه لنزهة الآخرة، وشتان شتان بين ما ينصرف به فيها وافد الرحمن من مغفرة ورفع عمل وقبول دعاء، وبين ما يتبوأه من وفد فيها على الشيطان من خزي وعار ونار. فاتقوا الله عباد الله، واحمدوا الله واشكروه أن وفقكم لهذا اليوم العظيم والفضل العميم، اشكروا الله باحترام هذا اليوم، والتقرب إلى الله فيه بطاعته والاستجابة له في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) سورة الجمعة: الآيات ٩، ١٠.

□ الزكاة □

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين يعدون ما أنفقوه خيراً وأبقى مما ادخروه. وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، أيها المسلمون إن دين الإسلام الحق الذي أكرمنا الله به ووعدنا على تحقيقه أسمى الغايات في الدنيا وأرفع الدرجات في الآخرة، قد بني على أسس وقواعد متشادة مترابطة متى اختل شيء منها صدع ما عداه أو قضى عليه كلياً، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإن من بين أركانه الركينة المتعدي نفعها والساري أثرها في المجتمع، ليشعر فقراءهم أنهم أمام تعاون لا تطاحن، وأمام مشاعر وقلوب لا مخالِب، ونيوب أداء الزكاة المفروضة فيه والتي لاحظ في الإسلام لمن تركها. يقول تعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾^(١). ويقول ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»^(٢) يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها، إحداها قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه، والثانية قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾، فمن صلى ولم يركّ لم يقبل منه، والثالثة قوله تعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه».

(١) سورة التوبة: الآية ٥.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر، والنسائي عن أبي بكر، وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنهم. انظر «صحيح الجامع الصغير» ١٣٦٧-٥٩٣.

وإن الله سبحانه وتعالى قد أنذر وحذر من ترك الزكاة أبدى في ذلك وأعذر، وأنذر من جحد وأنذر من تساهل، أنذرهم بأسلوب يرعد الفرائص ويهز الأفتدة، بأسلوب لو خوطبت به الجبال الصم لرأيتموها خاشعة متصدعة. يقول سبحانه: ﴿وويل للمشركين. الذين لا يؤتون الزكاة﴾^(١) ويقول: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم ففكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾^(٢) والمراد بالكنز هنا هو المال الذي تجب فيه الزكاة ولم تؤد زكاته، ويقول رسوله ﷺ فيما رواه البخاري: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه - شذقيه - فيقول: أنا مالك أنا كنزك»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ولا يحسن الذين يخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة، والله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾^(٣) (٤).

وكما أنذر تعالى من ترك الزكاة جحوداً أو تساهلاً، فقد رغب في أدائها ووعده أهلها الطهر والنماء والزكاة والمغفرة والفضل العظيم يقول سبحانه: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾^(٥) ويقول بعد أن أمر بإخراجها ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾^(٦) ويقول: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾^(٧) ويقول رسوله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال»^(٨).

وما تكاد أيها المؤمن تقرأ صفات المؤمنين في القرآن الموعودين اسمي

(١) سورة فصلت: الآيات ٦، ٧.

(٢) سورة التوبة: الآيات ٣٤، ٣٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٠.

(٤) في الزكاة وتفسير سورة آل عمران، والإمام أحمد ٨٩/٢ وغيرهما.

(٥) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

(٧) سورة سبأ: الآية ٣٩.

(٨) انظر «صحيح الجامع الصغير» ٦٥٨٥.

الغايات وأرفع الدرجات، إلا وتجد الإنفاق ابتغاء وجه الله بما في ذلك الزكاة من أبرز صفاتهم مما دعا بعض السلف رغبة في موعود الله أن يخرج من جميع ماله كأبي بكر، أو من أنفس ماله وأحبه لديه كعمر وأبي طلحة رضي الله عنهم، فضلاً عن أن ييخل بربع العشر فيما يجب فيه ربع العشر.

فاتقوا الله أيها الأخوة المؤمنون، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم، فقد أعطاكم تعالى الكثير وطلب منكم القليل، أعطاكم المال غنماً لتغنموه في الدنيا بالقرى به من الله لا غرماً تغرمونه في الآخرة عسر حساب وشدة عقاب، أعطاكم المال ابتلاء وعارية لينظر ماذا تعملون فيه، فهو لله في أيديكم ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾^(١) أعطاكم المال لتتقوا بما تنفقون فيه ابتغاء وجه الله أنفسكم الشح المذموم، وتقوا الأقرباء والفقراء بما تصلونهم به منه من ويلات القطيعة والفقير، أو ويلات تلقي مبادئ الشر التي قد يدفعهم إليها استثماركم بالأموال دونهم، والبخل عليهم بما يجب لهم فيها. فالله الله أيها الأخوة أصحاب الأموال فيما ائتمنتم عليه، فإنما يجب في المال أمانة ستسألون عنها يوم القيامة أمام عالم بالمغيبات، مطلع على السرائر والخفيات، فتحروا في ذلك الخير والابتعاد به عن الشر، تحروا الخير بصرف زكاة أموالكم كاملة في مصارفها الشرعية التي حددها تعالى بقوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾^(٢) والابتعاد بها عن الشر حالة إخراجها كالرياء بها أو إيذاء من يعطى منها أو المنّ عليه بها، فالحق سبحانه يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس﴾^(٣). نسألك اللهم، بأسمائك الحسنى أن تقينا شح أنفسنا، وأن تعيذنا من نزغات الشيطان ووساوسه، وأن تحقق لنا ما وعدتنا بقولك وقولك الحق: ﴿والله يعدكم مغفرة منه فضلاً والله واسع عليم﴾^(٤) وسبحانك اللهم وبمحمدك نستغفرك ونتوب إليك.

(١) سورة الحديد: الآية ٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٦٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

□ التهجُّد بالليل وأثره □

الحمد لله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ. كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. بِالنَّجْمِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١).
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي قام من الليل حتى تورمت قدماه، فقيل له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الأبرار الأطهار الذين هم رهبان بالليل أسود بالنهار، وعلى كل من سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله وراقبوه وأطيعوا أمره ولا تعصوه أيها الأخوة، إن المؤمن الصادق مع نفسه والساعي فيما يعدها، ويهيئها لحمل رسالتها في الحياة الدنيا وتلقي إشعاع نور ربها وهداية كتابها الذي هو هداية وعصمة لها، ليعمل جاهداً على ما يصقل روحه ويرهف إحساسه. لأخذ ما كلف به بانطلاقة وقوة وبصيرة، ذلك بأن يعدها بما أعد الله به عبده ورسوله محمداً لحمل رسالته ونشر دعوته بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ، قم الليل إلا قليلاً. نصفه أو انقص منه قليلاً. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً. إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً. إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم قِيلاً﴾^(٢).

ولقد جاءت نصوص الشريعة الغراء داعية أهل الخير والصلاح داعية أفراد الأمة المحمدية المشرفين بالقيام بالدعوة الإسلامية داعية من حملوا العبء الثقيل فيها ليكرموا إذا حملوه بحق بالأجر الجزيل، داعية لهم أن يكون لكل منهم في يومه وليلته برهة يخلو فيها بربه، ويدعوه فيها، ويناجيه بصفاء وزكاء وطهر وشكر، وخير ما يكون ذلكم لدى هدأة الليل، بعد أن يفصل المرء مشاغل الحياة عنه بنومة

(١) سورة الذاريات: الآيات ١٥-١٨.

(٢) سورة الزمل: الآيات ١-٦.

يستيقظ بعدها يطرد شيطانه بكل عقده كلها فيخلص فيها لربه متجهاً بكامل مشاعره وأحاسيسه لله، لينضم بذلك إلى عباد الرحمن الصالحين الطيبين الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، ويجزون الغرفة بما صبروا، ويلقون فيها تحية وسلاماً، إلى من أثنى الله عليهم ومدحهم ورجب في صفاتهم بقوله: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾^(١). ﴿تتجاف جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ولما رزقناهم ينفقون. فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قورة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾^(٢). فالليل أيها الأخوة، محل لمضاعفة الجزاء واستجابة الدعاء، ففيه ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً في أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة. والحق تعالى ينزل كل آخر ليلة إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله على حد قوله: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(٣). فيقول هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه سؤله؟ وقد وجه تعالى رسوله الكريم إلى ذلك، إلى التهجّد بالليل والإلحاح بالدعاء، مظهراً له تعالى حكمة التهجّد، ومبشراً له بطيب أثره عليه بقوله: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً. وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾^(٤).

فتى - أيها الأخوة - نتجه إلى ربنا بحق وصدق، متى نكون مسلمين له وجوهنا حقاً، ومخلصين له أعمالنا صدقاً، متى نطلب النصر والعون من الله ببذل أسبابه ومن أسبابه التهجّد بالليل والدعاء بالدعاء السالف ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾^(٥) فلقد بات قدوتنا وسيدنا محمد ﷺ ليلة بدر تحت جذع شجرة يصلي ويلظ بيا ذا الجلال والإكرام حتى جعل الله له سلطاناً نصيراً، ففي غدها جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

فاتقوا الله عباد الله، وعليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وفيه

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

(٢) سورة السجدة: الآيتان ١٦، ١٧.

(٣) سورة الشورى: الآية ١١.

(٤) سورة الإسراء: الآيتان ٧٩، ٨٠.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٠.

اكتمالكم وشرفكم وعزكم، وبه تدخلون جنة ربكم، يقول عليه الصلاة والسلام: «نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل»^(١). ويقول: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»^(٢). ويقول سهل بن سعد فيما رواه الطبراني بسند حسن: «جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس»^(٣).

نسألك اللهم أن تعزنا بطاعتك، وأن تغنيننا بك عن سواك، وأن تجعلنا ممن أجابوا داعيك في قوله: «يا أيها الناس أطمعوا الطعام وأفشوا السلام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»^(٤) ونستغفرك اللهم وتوب إليك.

* * *

-
- (١) رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم. انظر «صحيح الجامع الصغير» ٦٦٤٧-٢٧٨٢.
- (٢) للحديث ألفاظ متعددة. انظر «صحيح الجامع الصغير» ٧٣٦٤-٧٣٦٥ عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما.
- (٣) انظر الأحاديث الصحيحة: ٨٣١. صحيح الجامع الصغير: ٧٣.
- (٤) صحيح الجامع الصغير ٧٧٤٢-٣٤٣١.
- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن سلام. صحيح. الأحاديث الصحيحة ٥٦٩.

□ غزوة بدر الكبرى □

الحمد لله يعز من أطاعه و اتقاه، ويذل من خالف أمره وعصاه. أحمدته سبحانه لا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾^(١). وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون، إن القلوب الواعية المدكرة بمواعظ ربها، والمستقيمة ثقافتها من مناهل دينها العذبة ومقوماته الأصيلة من كتاب ربها وسنة نبيا وسير صالحها، كثيراً ما ترسل نظراتها إلى تذكر منشأ عزها لترتسمه بصدق في حياتها، تتذكر ذلك فتذكر بجملة وعظمة مواقف مشرفة وأعمالاً خالدة مدى التاريخ الطويل، فقد سجلت بقرآن يتلى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾^(٢).

وبالمناسبة ففي الليلة السابعة عشر من هذا الشهر المبارك شهر رمضان، في ليلة جمعة، في السنة الثانية من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، تقابل ببدر صفان: صف إسلام وصف كفر - صف أنصار الله ... وصف أنصار هبل ... صف طالبي جنة ورضوان من الله ... وصف طالبي سمعة وفخر ومحمدة ومباهاة ... - فيهما يقول سبحانه: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم. يصهر به ما في بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير. وهدوا

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد^(١) وللاتعاظ بهما يقول سبحانه: ﴿قد كان لكم آية في فتين التقاتلة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعلبة لأولي الأبصار﴾^(٢).

أيها المسلمون، إن يعد الفرد منا يتذكر بصدق، يتذكر ليتعظ، يتذكر ليقنتدي، يتذكر ليشكر، فليتذكر مثل هذه الحادثة العظمى، العظمى في حقيقتها، العظمى لا في تاريخ الإسلام فحسب، ولكن في تاريخ البشرية جميعه، العظمى لا في هذه الدنيا الزائلة ولكن للمدى البعيد لما بعد الموت، يقول رسول الله ﷺ: «إن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم»^(٣).

وأن نتذكرها في هذه اللحظة، نتذكر منها جوانب هي من أسباب نزول المدد والعون من الله. منها أنه لا مجال في الإسلام ولا في هذه المواقف أبداً لما يسمى بالقوميات.

فقد تلاشت بالإسلام وأصبح الأمر فيه أمر إسلام وكفر، إسلام من أي لون أو جنس، وكفر من أي لون أو جنس، فقد التقى في هذه المعركة الأخ مع أخيه، والقريب مع قريبه، أحدهما ينصر الله ودينه، والآخر ينصر قوميته وفخره: فحمزة ابن عبد المطلب رضي الله عنه في صف رسول الله ، وأخوه العباس رضي الله عنه ، الذي أسلم بعد في صف المشركين ، وعلي في صف رسول الله ، وأخوه عقيل في صف المشركين . ومصعب بن عمير في صف رسول الله ، وأخوه أبو عزيز في صف المشركين ، وأمثالهم كثيرون، ومن قرأ سورة الأنفال التي نزلت في هذه الحادثة ، ورسمت فيها الخطوط العريضة للجماعة المسلمة في حربها وسلمها وجد أنها في آخرها ربطت المؤمنين برباط الإيمان ، وربطت الكافرين برباط الكفر ، قال تعالى في المؤمنين ﴿ أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾^(٤) وقال ﴿والذين كفروا بعضهم

(١) سورة الحج: الآيات ١٩-٢٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣.

(٣) رواه البخاري عن علي رضي الله عنه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه. انظر «صحيح الجامع الصغير» ١٧١٥.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٧٢.

أولياء بعض... ﴿١﴾ الآية. وقد برزت هذه الرابطة جلية في هذه الغزوة، فقد قال عمر رضي الله عنه لما استشار رسول الله ﷺ أصحابه في أمر الأسرى، قال رضي الله عنه: «أرى أن تمكنني من فلان قريب لي وتمكن علياً من أخيه عقيل وتمكن حمزة من أخيه العباس فنضرب أعناقهم حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين»^(٢) ومصعب رضي الله عنه يمر بأخيه أبي عزيز أسيراً في يد أنصاري فيقول للأنصاري: اشد يدك به فإن له أمأ ذات مال ستفديه، فيقول الأسير لمصعب: يا أخي هذه وصايتك بي؟! فيقول له مصعب إنه - يعني الأنصاري - أخي دونك. ومن تلك الجوانب التي هي محل للتذكر وسبب لحلول النصر الشورى، فقد ظهرت بين القائد العظيم والجندي العادي، ابتداء بالدخول فيها وانتهاء ببحث شأن الأسرى، فلقد كان أصل خروج رسول الله ﷺ لغير قريش القادمة من الشام، ولما علم بخروج قريش بأشرافها وقضها وقضيضها لمنع غيرها، استشار أصحابه رضوان الله عليهم، فقال أبو بكر وأحسن، وقال عمر وأحسن، وقام المقداد بن عمرو فقال: «يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون»^(٣). فكرر ﷺ الشورى، فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: «لكأنك تريدنا يعني الأنصار، قال: «أجل» فقال سعد: لقد آمانا بك وشهدنا أنما جئت به هو الحق، وأعطيناك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، والله لو خضت بنا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك. فسر رسول الله بقول سعد فقال: «سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين ولكأني أنظر إلى مصارع القوم»^(٤).

ومن تلكم الجوانب التي هي محل التذكر وسبب للنصر، يشتد اللجوء إلى الله والشعور بالحاجة إليه سبحانه، فرسول الله الموعود بالنصر والمؤمن بأن الله سينجزه

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٣.

(٢) انظر «مختصر صحيح مسلم» ١١٥٨.

(٣) انظر «المسند» ١/٣٩٠ وج ٤/١٨٣/٣١٤.

(٤) مسلم، و «مسند أحمد» ج ٣/٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٥٨.

ما وعده يبيت تلك الليلة يصلي ويلظ بياحي يا قيوم، ولدى بدء التحام المعركة اشتد ابتهاله وتضرعه في الدعاء، ورفع يديه إلى السماء: «اللهم نصرك، اللهم أنجزني ما وعدتني»^(١) حتى سقط رداؤه وأشفق عليه أبو بكر، وأنجزه تعالى ما وعده ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمَدِّمٌ بِالْمَلَائِكَةِ مُرْسَلِينَ﴾^(٢).
ويحق الله الحق، ويبطل الباطل، وترى مرده قريش وصناديدها تتهاوى بين يدي أصحاب رسول الله، ما بين قتيل مكب على وجهه يجر إلى القليب برجله، وأسير يرسف في وثاقه يتذكر ماذا ادخره لfolk أسره، ويشفي الله صدور قوم مؤمنين، يرى بلال رضي الله عنه خصمه الألد في مكة أمية بن خلف، والذي كان يعذبه بالحجارة المحماة ليرده عن دينه، وقد أخذ بيده ويد ابنه علي عبد الرحمن بن عوف للأسر، فيصرخ بلال بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية لا نجوت إن نجا. وينقض عليه جماعة من المسلمين فيقتلونه.

هذه العبر أيها الأخوة، وهذه الجوانب الثلاثة: الانضواء تحت أخوة الإسلام الحق، وراية التوحيد الحق، والتفاهم بإخلاص في الأمر، والاعتماد على الله، واللجوء إليه بعد بذل الأسباب المادية، ومحض النصح للقيادة ابتغاء وجه الله، هي أسس الأمر ومقومات النصر، التي أمر الله بها عند اللقاء في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٣).

فاتقوا الله عباد الله وخذوا من سنة نبيكم وسير صالحكم خير قدوة، فدين الله وإن غاب عنه شخص رسول الله باقي خالد، وضعت فيه أوصاف المؤمنين وخطط المجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور

الرحيم.

(١) «مختصر صحيح مسلم» ١١٥٨.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٩.

(٣) سورة الأنفال: الآيات ٤٥-٤٧.

□ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم □ لذكر الله وما نزل من الحق

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير. أحمدته تعالى، يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين أتوا إلى ربهم وأسلموا له، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد : فيقول الله سبحانه وتعالى : ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله. ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾^(١). أيها المسلمون : إننا في هذه الدنيا معرضون لأخطاء شتى فهي ملأى، ملأى بما يجر إلى الأخطاء لا حول ولا قوة إلا بالله، والمعصوم من عصمه الله، ولا عجب أن يخطيء الإنسان فيها أو أن يصدر منه إساءة أو سفه أو جهل « فكل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون »^(٢) كما قال عليه الصلاة والسلام ، إنما العجب ممن يدرك خطأه أو جهله وإساءته وسفهه ويظل متلبساً بذلك، آمناً مكر الله ووعيده في قوله : ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾^(٣). ولئن كان الاستمرار على الخطأ قبيحاً، ولئن كان البقاء والإصرار على الجهل والسفه والسوء قبيحاً، فإنه يتضاعف شره ويشدد إثمه ويعظم قبحه إذا صدر ممن توالى عليه النذر، أمثال نذر الشيب وطول العمر، أمثال نذر القرآن وظهور تأويله فيمن لم ينتذروا به عبر الأيام والأزمان ﴿فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً. ومنهم من أخذته الصيحة. ومنهم من خسفنا به الأرض. ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾^(٤) نذر - لم ندع مجالاً

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٣٥-١٣٦.

(٢) انظر «صحيح الجامع الصغير» ٤٣٩١ و «المشكاة» ٢٣٤١.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٩٩.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٠.

ولا ما يسمى محالاً للخلوص من أيّ جاهلية في هذه الدنيا: كفر أو فسق أو جهل أو سوء أو سفه، اسمعوا الحق- أيها الأخوة- يخاطبنا، يخاطب الناس خطاب الكريم الغفور الرحيم، خطاب الداعي إلي دار السلام، إلى جنة الفردوس التي لأهلها ما يشاؤون فيها ولدى الحق مزيد، يخاطبهم ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾^(١). ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم﴾^(٢). ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين. ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾^(٣). ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً. إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾^(٤).

أفلا يجدر بنا أيها الأخوة، أن نلبي هذا النداء الكريم. بمشاعرنا وجميع أحاسيسنا وواقع أعمالنا، أفلا يجدر بمن لاح به الشيب وستر له ما كان في ماضيه من عيب، أفلا يجدر بمن تخطف أقرانه من حوله ومن قد شاركوه في شيء من سفهه، تخطفوا على غرة وهم لا يشعرون، أفلا يجدر بمن رفل في نعم الله التي من أعظمها ستر ما بارزه به من عصيان رغم اعتقاده بمراقبة الله له، وأنه يغار على محارمه ولا أحد أغير من الله، أن يزني عبده أو أن تزني أمته، أفلا يجدر بهذا أن ينضم إلى ركب أولئك الأبرار الأطهار الذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾^(٥). ألا يجدر بمن أساء منا أن يقتدي بإخوان وأسلاف كانوا من قبل مرتكسين في حماة الجاهلية وأوضار العصيان، ما بين عابد وثن وطريح خمرة وصريع غانية، نفضوا غبار تلك الأوضار بتبديل سفههم حلاً، وجهلهم علماً

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٤.

(٣) سورة الزمر: الآيات ٣٣-٣٥.

(٤) سورة الفرقان: الآيات ٦٨-٧٠.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٥.

وسوئهم إحساناً، وكفرهم إيماناً، فنالوا بذلك عزة الدنيا وسعادة الآخرة.

فاتقوا الله أيها الأخوة المؤمنون، وتوبوا إلى الله توبة نصوحاً، يقلع بها التائب من ذلك الذنب الذي تاب منه، ويقاطعه مقاطعة كاملة ويحدث نفسه بالألا يعود في مثل ذلك الذنب الذي تاب منه، ويرد ما استطاع من حقوق العباد إليهم، أو يستحلهم منها سيما إن كانت مالية.

يحقق لكم تعالى وعده في قوله: ﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾^(١). أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾^(٢).

أقول قولي هذا، وأستغفرك اللهم وأتوب إليك، ونسألك اللهم بكل اسم هو لك أن تجعل خير أعمالنا آخرها، وخير أعمالنا خواتيمها، وأن تجعل أبرك أيامنا يوم أن نلقاك فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت ولئنا في الدنيا والآخرة، توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين واجعل لنا لسان صدق في الآخرين واجعلنا من ورثة جنة النعيم، إنك وحدك أهل التقوى وأهل المغفرة.

* * *

(١) سورة التحريم: الآية ٨.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٦.

□ خطورة موالة واستخدام المسلمين للكافرين □

أما بعد: أيها الأخوة المسلمون، إن دين الإسلام الشامل الكامل الذي أنزله الله رحمة للعالمين ومنهاجاً للناس أجمعين ورتب على الأخذ به سبحانه عزة وسعادة وفوز الدنيا والآخرة قد نهى بقرآن محكم يتلى، قرآن لو أنزل على جبل لرأيتموه خاشعاً متصدعاً نهى عن موادة وموالة ومجبة غير المسلمين أو اتخاذ غير المسلمين بطانة وأولياء من دون المسلمين، نهى نهياً يحتمل الوعيد الشديد ويؤذن مخالفته بالخطر الأكيد خطر أثر مخالفته على الفاعل نفسه بوجه خاص وعلى المجتمع الإسلامي بأسره بوجه عام في مبادئه وأخلاقه بل وأمنه الذي هو أعز شيء لديه بعد دينه يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١). ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ اسْتَحْبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢). ويقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾^(٣).

فهذه الآيات الكريمات - أيها الأخوة - التي يذكر الله المؤمنين في مقدمتها ما أكرمهم به من الإيمان الذي خرجوا به من ذل الدنيا وضيقها إلى عزة الدنيا والآخرة وسعتها، خرجوا به من جاهليتهم الجهلاء التي يعبد فيها غير الله إلى ولاية الإيمان الحق التي يعبد فيها الله وحده، ويؤاخى فيها بين المسلم، والمسلم ويفرق فيها بين الكافر والمسلم مهما كان ومن أي جنس أو لون كان، تبين بوضوح أنه لا يجتمع إيمان حقيقي وموالة ومناصرة غير المسلمين مهددة ومنذرة ومحذرة من فعل ذلك بأنه مثل من والاه ووآده ونصره ومن يتولم منكم فإنه منهم ومن

(١) سورة المائدة: الآية ٥١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٣.

(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون.

وأشر الموالاة نصرتهم على المسلمين أو الارتباط معهم بأي عقد يقتضيها-
أي النصره على المسلمين- أو استمرار أعمالهم وشعاراتهم المحرمة أو عدم تكفيرهم
ومواجهتهم بما هم عليه من كفر وشرك بالله أو طاعتهم في كراهيتهم لبعض ما أنزل
الله ﴿إن الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سؤل لهم
وأملى لهم. ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض
الأمر﴾^(١).

وإنه لغريب جد غريب أن يتولى المسلم قوماً ليسوا على دينه أن يتولى المسلم
قوماً قد أظهر الله له عداوتهم له ولأهل دينه، وأنهم لا يألون جهداً حسداً من عند
أنفسهم في تحويل المسلمين وردهم عن دينهم الذي أكمله الله لهم وارتضاه لهم ديناً
وأقام لهم به دولة عالمية خالدة تالدة، اللهم إلا من عميت بصيرته ورائت الذنوب
على قلبه، أو كان منهم في المعتقد تسمى بالإسلام ليفسد على المسلمين أمر دينهم.
يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ
كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾^(٢). ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
كَافِرِينَ﴾^(٣). ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى
أَعْقَابِكُمْ فَتَقْلِبُوا خَاسِرِينَ﴾^(٤). ويقول: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى
حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾^(٥).

وليس ما قامت وتقوم به اليهودية العالمية منذ القدم إلى عهدنا هذا ضد
الجماعات المسلمة ولا ما قامت به وتقوم به الصليبية كذلك ولا ما قام ويقوم به
الإلحاد الشيوعي ضد المسلمين عن أذهاننا ببعيد، وما ذاك إلا لتساهل المسلمين في

(١) سورة محمد: الآيتان ٢٥-٢٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٠.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٤٩.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٠.

هذا الأمر وعدم حيظتهم وصدق الله العظيم: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾^(١).

فاتقوا الله أيها المسلمون وابنوا ترابطكم وتوآدكم وولاءكم وتناصركم وتعاونكم ومعاملتكم في جميع شؤونكم على أساس من كتاب ربكم وسنة نبيكم لا على قوانين وضعية ونظم دولية وضعت من أرجاس أنجاس لا يألون جهداً في ردنا عن ديننا، واعلموا أن المسلم لا يجوز له أن يطأطىء رأسه لعدو ما كافر أو فاسق ما دام في عزة ومنعة يقول سبحانه: ﴿فلا تمهتوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون﴾^(٢). إن كنتم مؤمنين ولا أن يتخذ أحداً من غير المسلمين بطانة يآتمنه ويستنصحه ويفضي إليه بما لا يفضي به لغير المسلمين يقول سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خيلاً ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾^(٣). روى الإمام أحمد رحمه الله بسند صحيح: «أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه استعمل كاتباً ذمياً فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال: ما لك أما سمعت الله يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾^(٤) ألا اتخذت حنيفاً، قال: قلت يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذا أهانهم الله، ولا أعزهم إذا أذهم الله ولا أدينهم إذ أقصاهم الله - وفي رواية - ولا أئتمنهم وقد خونهم الله».

وأستغفر الله العلي العظيم.

* * *

(١) سورة المائدة: الآية ٨١.

(٢) سورة محمد: الآية ٣٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١١٨.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥١.

□ الدعوة إلى الله وواجب المسلم تجاهها □

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. أحمدده سبحانه وأثنى عليه الخير كله وأشكره وأكبره تكبيراً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى كل من دعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد: فلقد أكرم الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بأن أرسل إليها أفضل رسوله وأنزل إليها أشرف كتبه، أكرمها بشمول وعموم رسالة نبيه وحفظ وخلود كتابها الذي يربطها بربها وتكون بالقيام به شهيدة على الناس بل وخير أمة أخرجت للناس. أكرمها بأن جعل أفرادها من أي أصل أو جنس أو لون حَمَلَة لرسالته التي بعث بها رسوله محمد ﷺ، وجنوداً لدعوته جنوداً مسيرين في ذلك غير مخيرين، مسيرين تسير تكريم وتشريف لا تسير عنت وتكليف. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١) ويقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٢) ويقول في عدد من دعائه وحملته رسالته، أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ﴿أولئك الذي هدى الله فيبدهم اقتده﴾^(٣) وكان هداهم الذي أمرنا بالاعتداء بهم فيه هو دعوة أمهم إلى الحق إلى عبادة الله وحده ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾^(٤).

ومن هذه الآيات السالفة وما في معناها يعلم أي فرد من أفراد المسلمين ذكر أو أنثى أن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى هي وظيفته الأساسية في هذه الحياة، بل ومقتضى فطرته التي فطره الله عليها وأنه مسئول عنها مسئولية مباشرة بمجرد

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

انضمامه في عضوية المسلمين، وبرضاه بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، فمن تقاعس في ذلك فقد قصر في واجبه وخالف مقتضى فطرته، لقد فهم هذا أسلافنا الأوائل رضوان الله عليهم فلقد سأل رستم قائد جيوش الفرس في موقعة القادسية ثلاثة من الصحابة واحداً واحداً خلال ثلاثة أيام قبل المعركة هم ربعي بن عامر وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة: ما الذي جاء بكم؟ فكان جواب كل منهم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان - أي جور المتسمين بها - إلى عدل الإسلام.

فاتقوا الله أيها المسلمون فيما أمركم الله به وهداكم له وأعزكم وشرفكم بحمله وتبليغه وفضلكم به على سائر من سلف من الأمم وجعلكم به أئمة خير وهداة رشاد. تلحقون به بمصاف الأنبياء، وتحلون به منازل السعداء. اتقوا الله في دعوتكم دعوة الله سبحانه، والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فليس في الوجود عمل أشرف من عمل الدعوة إلى الله، ولا انتساب أشرف من الانتساب إلى الدعوة إلى الله، ولا في الأعمال عمل يساوي أعمالها في الأجر ولا في بقاء الذكر. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾^(١) ويقول عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(٢) ويقول: «من دل على هدى كان له مثل أجر فاعله»^(٣).

ويقول الحسن البصري رحمه الله في هذه الآية: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله.

أيها الأخوة المؤمنون إذا كان واجب أفراد المسلمين جميعاً في هذه الدنيا أيّاً كانوا ومن أي جنس أو لون كانوا، هو الدعوة إلى الله سبحانه فليعلم وليتذكر

(١) سورة فصلت: الآية ٣٣.

(٢) هو قطعة من حديث سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحبه الله ورسوله...».

انظر في «مختصر صحيح مسلم» ١٦٤٠.

(٣) انظر «صحيح الجامع الصغير» ٦١١٥ عن ابن مسعود رضي الله عنه.

أن أي معارضة لهذه الدعوة أنها معارضة لفطر المسلمين، وواجب المسلمين الذي به عزّهم وشرفهم ولحوقهم بركب الأنبياء بل ومنع لمساجد الله أن يدعى فيها لدينه ويذكر فيها اسمه ومسعى في خرابها، وأتى لقوة في الأرض أن تقوى على محاربة الفطر وأساس واجب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. كما وأن انحراف أحد أعضاء هذه الجماعة، جماعة المسلمين حرب عليهم وضرب لدعوتهم، فاستقامة المسلم نفسه مثلاً في قوله وفعله ومعاملته وسلوكه وآدابه دعوة عملية لذلك وهو لم يلفظ في الدعوة إليها بنت شفة، وانحرافه في ذلك يضرب الدعوة إلى الله، ويفتح بعمله على أهلها الثغرات العظام..

فاتقوا الله أيها المسلمون واستقيموا في نفوسكم فالاستقامة أعظم وأول ما يقدمه المسلم لخدمة دينه ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾^(١) ﴿وادعُ إلى ربك إنك لعلى هُدًى مستقيم﴾^(٢) واحتسبوا فالأعمال بدون احتساب تكون هباء منثوراً، ولا تستطيّلوا الطريق فهي طريق إلى الله وسبيل مهاجر إلى رسول الله. يقول سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾^(٣) وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

(١) سورة يس: الآية ٢١.

(٢) سورة الحج: الآية ٦٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

□ العدل وأثره في حياة المسلمين □

أيها المسلمون لقد جاء دين الإسلام الحنيف بكل ما فيه، خير للبشرية وإسعادها، جاء بتعليمات كريمة ومبادئ مثلى، من أخذ بها عزّ في دنياه وسعد في أخرها، ومن أهم تلكم المبادئ مبدأ العدل الذي هو مصدر الأمن والاستقرار في الأرض ومصدر ضمان الحقوق واطمئنان النفوس، وبه يعمر الكون وبه قامت السموات والأرض وبه أرسى لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم ولكل أمة قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الأهواء، ولا تتأثر بمودة أو بغضاء، ولا تتغير مجارة لقرابة أو مصاهرة أو قوة أو ضعف أو غنى أو فقر وإنما تكيل وتزن للجميع بمكيال واحد ومعيار واحد هو العدل. يقول سبحانه: ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾^(١) ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٢) والقسط بمعنى العدل، والعدل ضد الجور وما قام بالنفوس أنه مستقيم. وعدل الإنسان يكون مع النفس ومع الغير، وعدله مع نفسه لا يكون إلا بالسلوك بها الصراط السوي المعتدل الذي لا غلو فيه ولا تقصير، وبمجزها وحفظها بأداء الأوامر واجتناب النواهي من الوقوع في الموبقات والمهلكات.

ومع الغير يكون بإعطاء كل ذي حق حقه بوحى من شريعة الله وسير على هدى الله واحتساب لرضاء الله. فيا أيها الأخوة المؤمنون إن مقام العدل العظيم وإن فضله لكبير وإن حاجة الناس إليه لماسة ولا سيما ما يعم نفعه من ذلك ويشمل خيره كعدل الولاة والأمراء والرؤساء والقضاة، الذي به تعم الطمأنينة النفوس ويسود أمن البلاد ويزدهر استقرارها وبفقدانه - بفقدان عدل الولاة - تفقد البلاد كيانها الذي تقوم عليه وينصدع أمنها، ويضطرب أمرها وتقلق نفوس أهلها - عياداً بالله لكم ولأمة الإسلام ولأمن البلاد من ذلك، وعدل الولاة يكون بتحكيم كتاب الله وإقامة شريعة الله إقامة كاملة في جميع مرافق الحياة وشؤون البلاد وإنفاذ الحدود

(١) سورة الحجرات: الآية ٩.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

بصرامة وعدل وإنصاف، وإعطاء كل ذي حق حقه في حدود ما يجب له شرعاً إخلاصاً لله، وتمشياً مع ما شرعه رسول الله ورغباً في ثواب الله، ورهباً من عقابه. روى الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحاً»^(١). ويروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «السلطان ظل الله في أرضه يأوي إليه كل مظلوم من عباده»^(٢). والعدل أيها الأخوة الذي أمر الله به، وبه قوام الأرض عام، ومكلف به جميع المسلمين كل بحسبه وبقدر ما ولي الإمام العام في ولايته والوزير في وزارته، والرئيس والمدير في مصلحته ورب الأسرة في أسرته. روى الإمام أحمد - رحمه - الله بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه إلا عدله»^(٣). وروى البخاري ومسلم - رحمهما - الله - عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال إني نخلت ابني هذا غلاماً كان لي - أعطاه عبداً - فقال رسول الله ﷺ: «أكل ولدك نخلته مثل هذا؟» فقال: لا فقال رسول الله ﷺ: «فأرجعه»^(٤) وفي لفظ قال رسول الله ﷺ: «اتقوا واعدلوا في أولادكم» وفي رواية مسلم فقال له: «إني لا أشهد على جور» وفي رواية «أيسرّك أن يكونوا لك في البر سواء» قال: نعم. قال: «فلا آذن».

وقال تعالى في الجمع بين الزوجات - «فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة»^(٥) فاتقوا الله أيها المسلمون واعدلوا فيما وليتم فيه وما أنتم مسؤولون عنه أمام الله من إمامة أو وزارة أو رئاسة أو قضاء أو ولد أو زوجة أو غير ذلك فبعدلكم تتبوؤون أعلى المنازل، دنيا وأخرى، ففي الدنيا يحظى العادلون بمودة الناس وسكنى قلوبهم

(١) عن ابن عمر، انظر «صحيح الجامع الصغير»: ١١٥٠ و «الأحاديث الصحيحة» ٢٣١.

(٢) انظر «إرواء الغليل في تخریج أحاديث منار السبيل» ١٨٤٠-١٨٤٨.

(٣) صحيح عن أبي هريرة، أخرجه الشيخان. وانظر «صحيح الجامع الصغير» ٥٥٧١، و «مشكاة المصابيح» ٣٦٩٧ و «الأحاديث الصحيحة» ٣٤٤.

(٤) متفق عليه، انظر «رياض الصالحين» الحديث (١٧٨١) ص ٦١٨.

(٥) سورة النساء: الآية ٣.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١) وفي الآخرة يتمتعون في ظل الله بروحه وريحانه ورضاه ورضوانه في مقعد صدق عند مليك مقتدر يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»^(٢) ويقول فيما رواه البخاري ومسلم: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم الإمام العادل^(٣).

هذا أيها المسلمون جزاء العادلين وما أعد لهم عند الله، وأما الجائرون عن الحق، المنتهكون حرمة العدل فقد أعلمنا الله بمصيرهم وجزائهم في قوله تعالى ﴿وَأما القاسطون — يعني الجائرين — فكانوا لجهنم حطباً﴾^(٤).

أستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه غفور الرحيم .

* * *

(١) سورة مريم: الآية ٩٦.

(٢) انظر «مختصر صحيح مسلم» رقم ١٢٠٧ باب: من ولي شيئاً فعدل فيه. و «رياض الصالحين» ٦٦٤.

(٣) صحيح عن أبي هريرة وأبي سعيد، انظر «صحيح الجامع الصغير» ٣٥٩٧ و «إرواء الغليل في تخریج

أحاديث منار السبيل» ٨٨٧. و «رياض الصالحين» ٣٨١.

(٤) سورة الجن: الآية ١٥.

□ نموذج من الخطبة الأخيرة للجمعة □

الحمد لله: حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، أحمدته تعالى وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة يوم نلقاه، يوم يبعث ما في القبور ويحصل ما في الصدور، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها الناس، اتقوا الله حقَّ تقاته، ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون؛ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واعلموا أن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. وعليكم بجماعة المسلمين فإن «يد الله مع جماعة المسلمين»^(١)، ومن شدَّ عنهم شد في النار، وصلُّوا على أكرم نبي وأعظم هادٍ فقد أمركم الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢). اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الخُفَاء: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسولك وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين وانصر عبادك الموحدين. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات. وألِّف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم، واهدهم سبيل السلام ...

اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين.

اللهم أرهم الحق حقاً وارزقهم أتباعه، والباطل باطلاً وارزقهم اجتنابه.
اللهم ارزقهم البطانة الصالحة التي تذكّرهم إذا نسوا وتعينهم على نوائب

(١) انظر «صحيح الجامع الصغير» (٧٩٢١) وإرواء الغليل (٢٤٥٣).

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

الحق؛ يا رب العالمين.

اللهم أقم علم الجهاد، واقمع أهل الشرك والزيف والفساد، وانشر رحمتك على العباد.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم آمِنًا في أوطاننا واستعمل علينا وعلى سائر المسلمين في كل زمان ومكان من يخافك ويَتَّقِيكَ يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك وفجاءة نعمتك وجميع سخطك.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

﴿ربنا لا تُزغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب﴾^(١).

﴿ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾^(٢).

عباد الله: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون﴾^(٣).

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * *

(١) سورة آل عمران الآية: ٨.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٠١.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٠.

□ تعظيم حُرَمَاتِ اللَّهِ وشعائره □

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد ...

فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تَهْنُونَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ ويقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا. وَإِذْ لَا آتِيَانَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا، وَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أيها الأخوة المؤمنون: إن المؤمن الحق المقدر من الله الموعود منه سبحانه وتعالى في الجزاء بالحق بالنيبين والصدقيين والشهداء هو من يعظم حرَمَاتِ اللَّهِ وشعائره، يعظمها تعظيم مؤمن بوعيد الله خائف من تحقيقه فيه، مؤمن بوعده، راج تحققة فيه من يعظم حرَمَاتِ اللَّهِ وشعائره تعظيماً وإجلالاً ومحبة لله وخوفاً من عقابه ورجاء ثوابه قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِمِ حُرَمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ وقال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ... ذلك خير لمبتدأ أي فرضكم وواجبكم ذلك أي تعظيم الحرَمَاتِ والشعائر .. وتعظيم الحرَمَاتِ / اجتناب المنهيات جملة وتفصيلاً، محرماً ومكروهاً وضمن ذلك إقامة الشعائر المطلوبة في الحج، فالأول (والله أعلم) رمز لاجتناب المنهيات عموماً ويدخل فيها ضمناً فعل المأمورات . والثاني رمز لفعل المأمورات عموماً ويدخل فيه ضمناً اجتناب المنهيات وللبيان والإيضاح والتذكير (أيها الأخوة) فإن من الحرَمَاتِ التي أمرنا الله بتعظيمها والوقوف منها موقف المنتذر المزدجر ما جاء في مثل قوله سبحانه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ وقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْدُومًا ..﴾ إلى قوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِيئَةً كَبِيرًا وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ . وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا. فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا، وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ

أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴿ الآيات. وقوله سبحانه: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً﴾ .. إلى قوله .. ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فآذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ وقول رسوله عليه الصلاة والسلام «اجتنبوا السبع الموبقات ..» قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» رواه البخاري ومسلم.

وإن من شعائره التي أمرنا الله بتعظيمها، وشعائره أعلام دينه وكل شيء فيه أمر أشعر وأعلم به فهو من شعائره دينه .. إقامة الأمور المطلوب إظهارها وإبرازها وسيادتها في الإسلام وأهمها إقامة العدل بين الناس من وإل عام أو رئيس خاص أو قاضٍ أو أب وفي ذلك قال تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين...﴾ الآية وإقامة الجهاد في سبيل الله الذي كثيرا ما يأتي في القرآن ذكره بعد الإيمان بالله قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير ..﴾ الآية ولئن كان الصيام كتب علينا بقول الله: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ فقد كتب الجهاد علينا بقوله سبحانه: ﴿كتب عليكم القتال﴾.

وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو مهمة وواجب هذه الأمة وبه عزا وشرفها وسيادتها ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ .. الآية ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾.

فاتقوا الله عباد الله وتجاوبوا مع ما نهاكم الله عنه بالقول بلسان الحال والمقال انتهينا انتهينا، ومع الأوامر كذلك بقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك

المصير .. تجابوا بهذا يحقق لكم سبحانه وتعالى ما وعد به في قوله جل ثناؤه: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ. أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادِ﴾.

عباد الله إن الله سبحانه وتعالى خلقنا لعبادته ومقتضى العبادة تعظيم الله .. وإجلاله وقدره حق قدره، وإن من تعظيمه وإجلاله وقدره حق قدره تعظيم حرماته وشعائره، وإن حال من تتوارد عليه النواهي أمثال ما تضمنته الآيات السابقة ونحوها فلا يجترمها ولا يجرمها حال ماكر مخادع كافر بالله بإجماع الأمة إن استحل شيئاً من هذه المحرمات المعروف تحريمها من دين الإسلام بالضرورة، عاص ضال بارتكابه لها دون استحلال مهدد بالنار والعار والصغار. قال تعالى في فرائض وحرمان من حرمانه وطاعات من طاعاته: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

في الخطبة الثانية حديث:

- ١- ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ..
- ٢- إن الله يغار وغيره الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه .. وألفاظه الأخرى.
- ٣- وما نهيتكم عنه فاجتنبوه ...

* * *

□ ظهور الإسلام وسيادته على الأرض □

أما بعد: فلقد أرسل الله رسوله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه بدين كامل شامل عام لجميع أهل الأرض عربهم وعجمهم وإنسهم وجنهم من حضر نزوله منهم ومن بلغه إلى يوم القيامة ﴿وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ وأودع فيه سبحانه من الحكم والأسرار ما جعله صالحاً لكل جنس أو لون من الناس ولكل زمان ومكان من الأرض ومحفوظة ألفاظ قرآنه من التحريف ومعانيه ومقتضياته قرآناً أو سنة من تعطيل العمل بها قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» رواه البخاري.

ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى ووعده وخبره الصدق ووعده الحق بخلود هذا الدين واستمراريته وظهوره وسيادته وسيطرته على الأرض التي أنزله ليكون ديناً مأموراً مكلفاً بالدينوية به جميع من وجد على ظهرها من الثقلين في أي زمان أو مكان يقول سبحانه وتعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾. والضمير عائد على الدين الذي هو أقرب مذكور في السياق.

يقول ابن جرير - رحمه الله - وقوله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ ليعلي الإسلام على الملل كلها ولو كره المشركون بالله ظهوره عليها. ويقول ابن كثير - رحمه الله - في ذلك: أي على سائر الأديان كما ثبت في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله زوى لي مشارفها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها». وقال صاحب تفسير المنار - رحمه الله - في ذلك: أظهره على الشيء أو على الشخص جعله فوقه مستعلياً عليه. والاستعلاء هنا بالعلم والحجة أو السيادة والغلبة أو الشرف والمنزلة أو بها كلها وهو المختار، وكما أخبر سبحانه وتعالى ووعده بظهور هذا الدين وسيادته فقد أخبر بذلك رسوله ﷺ في عدة أحاديث منها قوله السابق: «لا تزال طائفة من أمتي ..» وقوله: «لا يذهب الليل

والنهار حتى تعبد اللات والعزى» فقالت عائشة: يا رسول الله إني كنت لأظن حين أنزل الله ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ أن ذلك تام. قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله» رواه مسلم. وقوله: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها» رواه مسلم. وقوله: «ليلغن هذا الدين مبلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر». وقال ابن القيم - رحمه الله - في تعليقه في غزوة أحد في بيانه للظن بالله ظن الجاهلية وظن السوء المذكور في سورة آل عمران وسورة الفتح: فمن ظن أنه لا ينصر دينه وكتابه وأنه يدل الشرك على التوحيد والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمنحل معها التوحيد والحق اضمحللاً لا يقوم بعده أبداً فقد ظن بالله ظن السوء.

وهذه النصوص التي سمعتم ووعيتم ووعاها من قبل من تقبل هذا الدين برضى وطواعية مصحوبين بالاستسلام لله المقرون بالإحسان ومشاهدة واقع هذا الدين تاريخياً منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، والمكاييد العظمى تُكادُ له، والمصاد القوية تقام عنه فيظهره الله ويعليه سلطاناً وشرفاً وحجة وبياناً ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ دالة على استمراريته وظهوره.

فليعلم وليتذكر الذين يحاولون إقصاءه من حكم الأرض على أي بقعة منها كانوا أو إخراج جوانب من شؤون الحياة في مجال مال أو اجتماع أو حكم أو تحاكم أو أي شيء كان عسكرياً أو ثقافياً عن حكمه، ليعلم من ضاقت صدورهم ومعتقداتهم المشبوهة به ممن لم يتحقق فيهم حقيقة تأويل قول الله سبحانه: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن﴾ ليعلم ولتعلم الدنيا أن هذا الدين سيظل قائماً بإذن الله حكماً عدلاً ذا دولة وسلطان محفوظاً بحفظ الله مؤمناً حاملوها بتأمين الله. وأنه تعالى سيظهره على الدنيا جميعها، فأولى بمعارضيه أن يصطلحوا معه بعودة صادقة إلى الله في كل ما يأتون وما يذرون أو ليخلوا الطريق.

ليت الذي لم يكن بالحق مقتنعاً يخلى الطريق ولا يؤذي من اقتنعا

ولا عجب ولا استغراب ولا يأس ولا قنوط، فما هذه الصحوة الإسلامية اليوم وما هذا التفتح والمد الإسلامي في النفوس وما هذا النبات الذي بدأ يظهر من بين الحصى الصلد الصم والسيخ الذي لم تجر العادة بإنباتها وما هذا الدين الاختياري الذي وفر في قلوب كثير من شباب المسلمين وشيوخهم ذكوراً وإنثاءً في كثير من أصقاع الأرض رغم ما يعايشونه من فتن وشبه وتساؤلات من حولهم ولا سيما من يعيشون منهم في بلدان الإلحاد والكفر البواح .. إلا «والله أعلم» تهيئة وإرهاص وإيدان بسيطرة الإسلام وإخضاع أهل الأرض لحكمه وما ذلك على الله بعزيز. قال البخاري - رحمه الله - في صحيحه باب قول الله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُوْتِي الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءٍ وَتَنْزِعِ الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءٍ وَتَعَزَّ مِنْ تَشَاءٍ وَتَذَلَّ مِنْ تَشَاءٍ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أيها الأخوة المؤمنون من إخبارات الله سبحانه وإخبارات رسوله ﷺ، وما فسر به العلماء النصوص المذكورة، وما ورد في معناها من النذر لمن تولى عن شرع الله مثل ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾.

ووعده لمن قام به مثل ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض...﴾ الآية. يتبين للمتوسمين الذين ينظرون بنور أن المستقبل في العصر الحاضر للإسلام، وحده فليس العاملون له وليستبشروا وليهتوا أنفسهم لحملة تهيئة معنوية بطاعة الله ومادية بالأسباب العادية التي أمروا بفعلها ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾. وليحذر المخالفون له الصادون عنه إن ظلوا في طغيانهم يعمهون أن ينزل الله بهم بطشه فيسومهم سوء العذاب عدلاً من الله وجزاءً وفاقاً.

* * *

□ أثر التمسك بالسنة □

الحمد لله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد،
أحمده وأشكره على نعمه العظمى التي لا تحصى ولا تعد.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة،
وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله القائل: «لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها
كنهارها لا يزيغ عنه إلا هالك» .. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين
تمسكوا بسنته وأظهروها بأقوالهم وأفعالهم لأمتهم وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون إن الله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس ليعبدوه
وحده لا يشركون به شيئاً، وأرسل إليهم الرسل ليبينوا لهم أنواع العبادات قال تعالى:
﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ وقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول
إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ ومعلوم أنه لا عبادة صحيحة مقبولة
نافعة شافعة عند الله مستوجباً صاحبها ما وعد أهل توحيد الله الخالص من شوائب
الشرك والبدع والمحدثات من عز وعلو في الدنيا ونعيم مقيم في الآخرة حتى يقصد
بها وجه الله وحده ويجردها وينقيها ويحميها من أن يقصد بها غير الله .. قال تعالى:
﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ وقال ﴿قل الله أعبد مخلصاً
له ديني﴾ وقال: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة
ربه أحداً﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ
ما نوى» وأن تكون موافقة لما شرعه فينا محمد ﷺ موزونة بمعيار سنته متحققاً
فيها مقتضى الإقرار برسائله الذي هو طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر وألا يعبد
الله إلا بما شرع.

ولا خلاف في أن الإخلاص والمتابعة شرطان لصحة العمل وقبوله. قال
الفضيل بن عياض - رحمه الله - في قول الله تعالى: ﴿ليلوكم أيكم أحسن عملاً﴾
قال: أخلصه وأصوبه. قيل: يا أبا علي ما أخلصه وما أصوبه؟ قال: إن العمل إن
كان خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، فالخالص ما كان لله، والصواب ما
كان على السنة.

ولقد أذرتنا نصوص القرآن والسنة وحذرتنا من أن نخرج من عبادتنا صلاة أو دعاء أو ذكراً أو غير ذلك عن هذين الأمرين وأبانت بوضوح أن فقدان الإخلاص في العبادة يصيرها هباءً منثوراً يستوجب صاحبها الذل والعار والنار والصغار، قال تعالى: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم - رحمه الله -: «قال تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه» كما أن فقدان المتابعة في العبادة يجعلها مردودة غير مقبولة، ضارة غير نافعة، آخذة بصاحبها إلى طريق الغواية والضلالة، فحال من فقدت عنده المتابعة أشبه بحال النصارى الذين يعبدون الله على جهل وضلال . روى البخاري ومسلم - رحمهما الله - عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وروى مسلم عن جابر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» فاتقوا الله وانهجوا في أعمالكم نهج المخلصين المتبعين الذين يتوجهون بأعمالهم إلى الله، وقيمون عليها الدليل الناصع من شرع الله، اتقوا الله يا علماء الأمة وأئمتها من شيوخ وشبان بإظهار السنة الصحيحة عملياً في عبادتكم انطلاقاً من مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي - خذوا عني مناسككم» وقول الله سبحانه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ فأنتم القدوة للناس فكونوا كما يراد منكم قدوة خير، وهداة رشد، ودعاة لإحياء السنن، وإماتة البدع، يتحقق فيكم وبكم الائتمام، وإحياء سنة رسول الله ﷺ التي تشمل أقواله وأفعاله وتقريراته وما هم بفعله ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي - رحمهم الله - : عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال : « أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من سيعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ،

أيامكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

فاتقوا الله عباد الله بلزوم الاتباع، ومجانبة الابتداع، بصبر وإخلاص يتحقق لكم وعد صادق الوعد القائل سبحانه: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ وما وعد به المتمسكون بسنة رسوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله» متفق عليه. وقوله فيما رواه أحمد وأبو داود وغيرهما: «اتصروا بالمعروف، وانتهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأى برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن كالقبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله». قيل يا رسول الله منا أو منهم؟ قال: «بل منكم» وقال: «من تمسك بستتي عند فساد أمتي فله أجر شهيد» ويروى «أجر مائة شهيد» وقال: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس» اتقوا الله يتحقق لكم ذلكم، وتسلموا من خطر الوعيد الشديد الذي هدد وأنذر به وحذر منه من يخرجون عن سنة رسوله أو يتأيلون للخروج عنها. قال جل شأنه: ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ وقال: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾.

في الخطبة الثانية حديث:

أبغض الناس إلى الله ثلاثة ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية.

سنة لعنتهم ولعنتهم الله

من رغب عن سنتي فليس مني ..

* * *

□ البيعة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر □

الحمد لله الذي هدانا للإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب المقام المحمود، والخوض المورود، اللهم صل وسلم عليه وابعثه المقام المحمود الذي وعدته.

أما بعد .. أيها الأخوة المؤمنون: لقد وصف الله جل شأنه أمة محمد بأنها أمة ترابط وتراحم وتعاون على الخير وتناه عن الشر ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

ووصفها سبحانه وتعالى بأعظم وأجل وأرق وصف يؤهل لحمل أكمل وأتم وأجمع وأيسر شرع أنزله الله، بل ويكسب أعلى المقامات وأرفع الدرجات في العاجل ويوم الأشهاد، وصفها سبحانه بقوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾. وأمرهم سبحانه وتعالى بالمحافظة على هذه الصفات وتقويمها في النفوس واستمراريتها في واقع الأمة، قال تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ فخيرية هذه الأمة وشرفها لا يكون إلا بالمحافظة على ما وصفت به، وقيامها بما كلفت به لا يحمل ذلك نظريات ودعاوى لا تتحقق له في الواقع.

لا درّ درّ امریء یطری أوائله فخرًا ویطرق إن ساءلته ما هو

وإن الله جل شأنه الذي أكرم أمة محمد بهذه الأوصاف، وأهلها بها لحمل شرعه وللشهادة بها على الناس يوم القيامة قد أندر المتخلي عن هذه الأوصاف تخلياً كلياً أو جزئياً وبشر المتزمين لها المحافظين عليها، أندر المتخلين عنها بقوله

سبحانه: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ وقوله: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ وبشر المتزمين لها بقوله: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون﴾ وقوله: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾.

أيها الأخوة المؤمنون إن أمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يعد خافياً. إنه مصدر عز هذه الأمة وفخرها ورفعها لرؤوسها يوم تطأطأ الرؤوس في المشهد الأكبر، يوم يقال: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ فكما جاء القرآن الكريم فيه بما سمعتموه، وما ورد في معناه فقد جاءت السنة الغراء مبينة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوام إيمان الأفراد وشعار وسياس المجتمعات، وأن البيعة أخذت بالمحافظة عليه من كل مسلم. روى البخاري ومسلم - رحمهما الله - عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم» وروى الإمام مسلم في صحيحه - رحمه الله - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعده خولف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» وروى مسلم أنه قال ﷺ: «إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برىء ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع».

فاتقوا الله يا أمة الإسلام يا علماء وشباب المسلمين الذين أنتم اليوم محط آمال المسلمين بعد الله في إصلاح ما فسد، وإقامة ما اعوج، واحذروا إرخاص هذا الأمر أو التحايل والتأول في شأنه.

ليحذر الكل وخاصة من لم تحمر أعينهم، ولم تتمعر قلوبهم، ولم يحدث عدم الاستجابة لهم فيما نهوا عنه من منكر إظهار عدم الرضى، وإظهار عدم المتابعة، وإظهار بغض المرتكبين لذلك المنكر الذي نهوا عنه بقدر ما ارتكبه من منكر، ليحذروا أن يعهم الله بعذاب من عنده. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا، فجالسهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون». وكان متكئاً فجلس فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً» وقال عليه الصلاة والسلام: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» رواه البخاري.

* * *

□ أمانة الفطرة والهداية □

الحمد لله وعد أهل الوفاء جزيل النعم، وإحلالهم أعلى المنازل بين الأمم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمرنا بأداء الأمانة، وحذرننا الغدر والخيانة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليته وأمينه على وحيه. اللهم صلّ وبارك عليه وعلى أصحابه الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، وعلى كل من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً. ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهبنا لنا من أمرنا رشداً.

أما بعد: فيقول الله جل ثناؤه: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم بشهاداتهم قائمون، والذين هم على صلاتهم يحافظون، أولئك في جنات مكرمون﴾.

أيها الأخوة المؤمنون لقد ذكركم في الجمعة الماضية بموقف الحساب، ومحاسبة النفس قبل أن نقف بين يدي الله سبحانه وتعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه﴾ واليوم أذكر نفسي وأذكركم بموضوع خطير وأساسي في حياتنا من أخطر وأعظم ما سنسأل عنه إن لم يكن أساس جميع ما نسأل عنه. أعان الله وثبت وعفا وغفر ذلكم موضوع الأمانات. يقول سبحانه مذكراً بالمسألة عما إئتمن عليه الإنسان: ﴿وقفوههم إنهم مسئولون﴾ ويقول: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً﴾ ويقول: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ ويقول في الأمر بتعهدها والقيام بحقها: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ ويقول: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ ويقول محذراً من خيانتها وضياعها: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾ .. الآية.

والأمانات التي حملها الإنسان وأمر بأدائها ليثاب على قيامه بها، أو ليعاقب على خيانتها عامة وشاملة لجميع التكاليف الشرعية. قال ذلك القرطبي والواقدي

وغيرهما من المفسرين. وقال ابن كثير في قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مِنْ خَانَكَ» رواه الإمام أحمد وأهل السنة. وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله - عز وجل - على عباده من الصلاة والزكاة والصوم والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه، لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يؤتمنون به من غير اطلاع بينة، فأمر - عز وجل - بأدائها فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح «لَتَأْدُنَ الْحَقُوقُ إِلَىٰ أَهْلِهَا حَتَّىٰ يَقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلُحَاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ».

وإن من بين تلك الأمانات الأمانة العظمى أمانة الفطرة والهداية لدين الله والإيمان به سبحانه، الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، الأمانة التي يقتضي الوفاء بها أن تصطبغ فرائض الله وشعائره دينه عن قصد، وتوجه بها إلى الله جل شأنه ووفق منهاج رسوله ﷺ في نفس الإنسان وحسه وشعوره لتصبح تلك الفرائض والطاعات ترجمة حيّة لجمال الإسلام وحُسْنِهِ وطيبه بل ودعوة صادقة إليه بما يرى من محاسن الإسلام وفضائله في واقع تلك النفس وأمثالها من ذوات الحفاظ على الأمانات وأدائها على الوجه المطلوب ممن يرجى تحقق وعد الله في قوله جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

ومن بين تلك الأمانات أيضاً مما هو ذو خطر وشأن وأثر عظيم أمانة الولاية أيّاً كانت إمامة عظمى أو دونها. قال عليه الصلاة والسلام: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه إلا العدل» رواه أحمد، وروى مسلم: «ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة» وهذه الأمانة داخلية قطعاً في قول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ مع دخولها فيه عطف خاص على عام للتنويه على عظم شأن وخطر الخيانة

في الولاية لتعدي آثار ذلك وأضراره إلى الغير، وقد ورد في صحيح مسلم قول رسول الله ﷺ: «ألا ولا غدر أعظم غدرأ من أمير عامة» وورد في صحيح البخاري قوله عليه الصلاة والسلام: «كلكم راع ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته».

ومن بين تلکم الأمانات أيضاً مما هو ذو شأن وخطر أمانة ذوي الالتصاق والصلة الخاصة بالمؤمن كأمانة الجوار والقراة ونحوها مما تعم البلوى به وتدعو الحال له. فقد ورد التغليظ والتشديد في خيانة ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة. قال: فقال رسول الله ﷺ: «لأن يزي الرجل بعشر نساء أسير عليه أن يزي بامرأة جاره». وقال فيما رواه البخاري ومسلم: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه» وقال فيما رواه مسلم: «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم».

فاتقوا الله أيها الأخوة المؤمنون في أماناتكم عامة وفي أمانة الفطرة والهداية لدين الله، وأمانة الولاية، وأمانة ذوي الالتصاق بكم خاصة. اتقوا الله فيها، فالخيانة فيها خيانة لله ورسوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ يقول عليه الصلاة والسلام: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

* * *

□ توقي أسباب قسوة القلوب □

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم على محمد وآله وصحبه وعلى كل من استمع القول واتبع أحسنه. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ ويقول عن نبيه وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿ولا تخزني يوم يعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم﴾.

أما بعد: عباد الله اتقوا الله، وتذكروا أننا في زمن كثيراً ما تصد وتغفل وتلهو فيه القلوب عما ينفعها، وتبطلد المشاعر وتضعف الأحاسيس الإسلامية المطلوبة إلا فيمن شاء الله وقليل ما هم. ولا غرابة فهو زمان مليء بالوسائل العظمى التي تصد وتلهي القلوب عن ذكر الله بمعناه الواسع المطلوب بما فيه الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال واللسان نعم واللسان فقد ورد: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

وتحذيراً وإنذاراً للمسلم من فتن عصره وأخطار واقعه أمر بأن يسعى دوماً في توقيها والحذر منها، ولا سيما على قلبه الذي هو مناط تكليفه ومصدر حياته المطلوبة وموته المعنوي. يقول سبحانه وتعالى ذاماً وموبخاً من فرطوا في قلوبهم حتى بلغت من الانقفال والقسوة ما بلغت رغم ظهور الآيات أمامها وتتالي العظات عليها: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون، ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ ويقول: ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ ويقول: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾.

ويبين لنا سبحانه وتعالى سبب هذا الانقفال والقسوة التي ضربت بأطنابها

على قلوبهم بقوله جل ثناؤه: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ وقوله: ﴿وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ وقوله: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ بين هذا سبحانه وتعالى إظهاراً لآثار عدله وحكمته، وإنذاراً لنا من الوقوع فيما وقعوا فيه، بل وأمرأً لنا لناخذ بقلوبنا إلى ما تصح وتطيب وتزكو به كما صحت وتصح وطابت وتتطيب وتزكو قلوب من أثنى الله عليهم بقوله جل ثناؤه: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾ وقوله: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد﴾.

أيها الأخوة المؤمنون: من هذه النصوص وأمثالها يعلم ويتذكر المؤمن أن صفقته الوحيدة في هذه الدنيا التي إن ربحها ربح كل شيء وإن خسرها خسر كل شيء هي قلبه. قال عليه الصلاة والسلام: «إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» رواه البخاري ومسلم.

أيها الأخوة المؤمنون: إنه لن يتحقق للقلوب الحياة والحماية المطلوبتان ما لم تتعاهد بكتاب الله الذي تزداد به القلوب إيماناً وعظة ويقظة يقول سبحانه: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ ويقول: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ ويقول: ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً﴾ وبتوالي الطاعات: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ وبمجالسة أهل الفضل والتقى والصلاح الذين إذا رؤوا ذكر الله ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا...﴾ الآية. وتتجنبها والبعد بها كل البعد

عن ارتكاب المنكرات واجتراح السيئات وسبق قول الله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ وما تضمنه الحديث السابق المبين أن لارتكاب المنهيات والوقوع في المشتبهات أثراً عظيماً في فساد وأمراض وقسوة القلوب عياداً بك اللهم يارب .. وبتعاهدنا بالقرآن وبتوالي الطاعات، وبمجالسة الأخيار، وبتجنيبها المنكرات، مع الرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً تصبح القلوب صحيحة سليمة خالية من كل شبهة تعارض خبر الله، أو شهوة تميل إلى ما حرمه بل ومحصنة لا تضرها فتنة ما دامت السماوات والأرض وإلا .. أصبحت والعياذ بالله قلوب شياطين، لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً إلا ما أشربت من هواها. يقول عليه الصلاة والسلام منذراً ومحذراً من عواقب ما يمرض القلوب أو يميتها ومرغباً في عمل ما به حياتها وصيانتها: «تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين قلب أسود مريداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض» رواه مسلم.

فاتقوا الله عباد الله واعملوا على إحياء قلوبكم وصيانتها بلزوم طاعة الله وخشية مراقبته وادعوا الله كثيراً مخلصين بثبات القلوب وإنارتها. اللهم نور قلوبنا وقبورنا وطريقنا إليك يا ذا الجلال والإكرام.

* * *

□ توقي أسباب الفتن □

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة حتى أتاه اليقين من ربه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾.

أيها الأخوة المؤمنون: إن المسلم في هذه الحياة الصاخبة ابتلاء وامتحاناً يعايش فتناً مدلهمة وضغوطاً قائمة بضغوط نفس وضغوط هوى وضغوط منصب وضغوط أهل ومال وعشيرة وضغوط فتن كبرى ومغريات عظمى كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا لا حول ولا قوة إلا الله.

إني بليت بأربع ما سلطوا إلا لعظم بليتي وعنائني
إبليس والدنيا والنفس والهوى كيف الخلاص وكلهن أعدائي

وإنه لا مخرج للمؤمن من هذه الفتن ولا مناص له منها إلا بالتحصن والتوقي منها وذلك سهل ويسير على من يسره الله عليه، على من شرح الله صدره للإسلام على من يطمع ليلحق بركب الله، ويحشر مع أولياء الله، وينعم مع رسل الله وما أجملها من غاية وما أكرمه من مطلب، وذلكم بالاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بكتاب الله الذي يقول سبحانه فيه: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ ويقول: ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾ ويقول: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم﴾ ويقول: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين

ولا تفرقوا فيه ﴿١﴾ ويقول ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي رواية لمسلم «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ويقول فيما رواه الإمام مسلم - رحمه الله - : «إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي رسول الله وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» ويقول فيما رواه البخاري - رحمه الله - : «ثلاثة يبغضهم الله: ملحد في الحرم ومنتغ في الإسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرئ مسلم ليرقه بغير حق».

فاتقوا الله أيها المؤمنون أيها الشباب أيها الراغبون في أن تكونوا في مأمن أمين وحصن حصين من فتن عصركم ومغرياته، وأن تلحقوا بركب الأنبياء إن عشمتم عشمتم سعداء، وإن متم متم شهداء. اتقوا الله بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله بالانضمام قلباً وقلباً، روحاً وعملاً إلى من تروونه ملتزماً لهما ترى أعماله وأقواله ومعاملاته صورة ناطقة حية داعية إليهما.

ولن يتحقق لكم ذلك فرادى أو جماعات، ولن تلتقوا على كلمة الله ومنهاجه وصراطه الذي قال فيه سبحانه: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ إلا إذا سلكتم في تحصيلكم وبحثكم واستدلالكم والتزامكم مسلك أهل السنة والجماعة مسلك أهل الحديث، فما - وإيم الله تفرقت الأمم، وأصبحت دويلات وأممًا في سياستها وقيادتها، وأممًا في مذاهبها، وأممًا في طرقها وأساليبها بعد أن كانت أمة واحدة يسعى بدمتهم أديانهم، ويجبر عليهم أقصاهم، إلا لما أصبح لكل منها دولة وطريقة ومنهاج، تفرقت بهم السبل، ومالت بهم الأهواء، وتلاعبت بهم الشياطين إلا من شاء الله وقليل ما هم.

فلنعد إلى الله وإلى دينه الحق الذي أنزله، وما اختلفنا فيه من شيء نحكم فيه قول الله سبحانه: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

وبهذا تحصنوا وتلحقوا بالفرقة الناجية التي قال فيها عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورون لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

قال ابن المبارك وعلي بن المدني وأحمد بن سنان والبخاري - رحمهم الله -:
إنهم أهل الحديث (أي الطائفة المنصورة)، وقال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل
- رحمهما الله -: إذا لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم.

وبغير هذا التحصن وهذا التوقي يصبح من فقدهما من حاكم أو محكوم أو فرد
أو جماعة أو عامي أو طالب علم معرضاً لفتن وضغوط ومغريات عصره، والمعصوم
من عصمه الله.

فنسأل الله أن يشرح صدورنا للإسلام، وأن يثبتنا بقوله الثابت في الحياة الدنيا
وفي الآخرة وأن يجعل آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

في الخطبة الثانية:

حديث العرياض بن سارية ...

حديث ستفترق أمتي

حديث بدأ الإسلام غريباً

حديث إن من ورائكم أيام الصبر

* * *

□ التوسط والتطرف □

أما بعد فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً...﴾ الآية... أيها الأخوة المؤمنون: إن الله جلت قدرته وتعالى أسماؤه أكرمنا - أمة محمد - بأن جعلنا خير أمة أخرجت للناس شهداء على الناس، أَكْرَمَنَا بأن جعلنا أمة وسطاً أي: عدلاً خياراً لا إفراط فيها ولا تفريط ولا غلو ولا جفاء ولا جحود ولا جمود ولا جهل ولا انحراف ولا ضلال.

أكرمنا سبحانه بأن جعلنا وسطاً بين الأمم السابقة، وأنبيائها وسطاً بين نحل هذه الأمة أعني أمة الدعوة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة» وفي رواية قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فالأمة الوسط الممدوحة الناجية هي الأمة المستقيمة على شرع الله، السالكة الصراط المستقيم، الذي أمرنا أن نسأله أن يهدينا له في كل ركعة من ركعات صلواتنا ... ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

وهذا الصراط المستقيم هو دين الإسلام المحض، وهو ما عليه الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، الفرقة الوسط، الخيار الملتزمة لدين الله، المتوسطة في جميع أمورها في باب الإيمان بالأنبياء، فلم تغل فيهم كما غلت النصراني في نبيها وعلمائها باتخاذهم أرباباً من دون الله، ولم تجف كما جفت اليهود الذين يقتلون النبيين والذين يأمرون بالقسط من الناس، وإنما آمنوا بهم وعزروهم واتبعوهم فيما أمروا أن يتبعوهم فيه، المتوسطة في باب صفات الله وأسمائه بين أهل التعطيل الذين يلحدون في صفات الله وأسمائه، ويعطلون حقائق ما وصف الله سبحانه به نفسه وما وصفه به رسوله حتى شبهوه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالخلوقات تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً فهم - أي الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة وسط بين هؤلاء يصفون الله سبحانه ويسمونهم بما وصف

وسمى به نفسه وبما وصفه وسماه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل على حد قوله سبحانه: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وقوله: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ وقوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾.

المتوسطة في باب الوعد والوعيد بين الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم بها من الإسلام كالخوارج والمعتزلة وبين المرجئة، ومنهم كثير من متمسلة اليوم الذين يقولون: إن الإيمان مجرد التصديق. فيجعلون إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء ومثل إيمان أبي بكر وعمر وغيرهما من السابقين من المهاجرين والأنصار، فهم - أي الفرقة الناجية - يعتقدون أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية» ويرجون للمحسنين من أمة محمد ويخافون على المسيئين.

المتوسطة في باب القدر فهم يعتقدون أن الله علم كل شيء وكتب كل شيء وقدره. وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن للعبد قدرة وإرادة ومشية لكنها تابعة لقدرة الله وإرادته ومشيته يقول الله سبحانه: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ ويقول الرسول: «وقل اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الغلاة فيهم والجفاة في حقهم، فلا يغفلون فيهم كما غلت الروافض في أهل البيت، ولا يجفون كما جفت الروافض كذلك في حق أصحاب رسول الله، بل يحبون الكل ويوالونهم ويترضون عليهم ويكفون عما شجر بينهم ويصلون على آل في صلواتهم وغيرها «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد». وفي باب التحليل والتحريم والتحاكم فيحرمون بطواعية ما حرمه الله ورسوله ويحلون ما أحله الله ورسوله، ولا يجوزون لكبارهم وحكامهم أن يحلوا ما حرم الله أو يحرموا ما أحله الله أو أن يحكموا بغير ما أنزل الله كما تفعله النصارى ومن شابههم في ذلك. قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله...﴾ الآية. عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية قال: فقلت: يا رسول الله! لسننا نعبدهم. قال: «أليس يحلون ما حرم الله فتحلون، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه» قال: قلت: بلى. قال: «فتلك عبادتهم».

ويشهد لهذا الحديث الآية السابقة، وقوله سبحانه في سورة الأنعام في سياق تحريم وتحليل: ﴿وإن أظعنتموهم إنكم لمشركون﴾ وفي باب العبادات فلا يتجاوزون بذلك الحد الذي شرعه رسول الله ﷺ ولا يجفون فيما شرعه، فيعملون جانباً ويهملون جانباً، فأمّهم أمرٌ اتباع لا ابتداء، أمر اقتداء لا غلو فيه ولا جفاء. في مجال الاقتصاد جيباً وإنفاقاً فلا إسراف ولا تقتير ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾.

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم يروى أن عبد الملك بن مروان - رحمه الله - لما زوج عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - ابنته فاطمة قال له: ما نفقتك؟ قال رضي الله عنه: الحسنه بين السيتين. ومما سلف ونحوه أيها الأخوة - يعلم أن الخير كل الخير في التزام طريقة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، الطريقة الوسط المحفوظة المصونة من الأخطار، فكلما كان الأمر أو الإنسان وسطاً كان محمياً محصناً من الأخطار، وكلما كان متطرفاً خارجاً عن التوسط غير ملتزم لما يجعله وسطاً حقاً كان مهدداً معرضاً لتخطفه شياطين الإنس والجن دعاة الزيغ والضلال، وصدق رسول الله ﷺ في قوله: «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» رواه أبو داود.

فاتقوا الله عباد الله وحصنوا نفوسكم بلزوم هذه الطريقة المثلى الوسط والمتمثلة صفاتهم فيما سلف من قوله عليه الصلاة والسلام: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» وقوله: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله» وفي رواية ... «لا تزال هذه الأمة». قال الإمام أحمد - رحمه الله - : إذا لم يكونوا أهل الحديث فمن هم؟!.

* * *

□ تفاوت آثار الأعمال بتفاوت الأحوال □

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إله الأولين والآخرين. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون إن الله - سبحانه وتعالى - خلقنا لعبادته ووعدنا على تحقيقها عز الدنيا ونعيم الآخرة. وعدنا وأخبرنا - نحن المؤمنين - أن قيامنا وتوهُلنا للإمامة في الدنيا وللمنازل العالية في الآخرة يتفاوت بتفاوت مقاصدنا وأحوالنا، وأحوال وأحجام الأعمال التي تصدر منا. وأنه كلما كان العمل ذا نفع متعدد وشمول واستمرار كان جزاؤه أكبر وأكثر وأعظم من أي جزء عمل آخر أقل منه نفعاً وشمولاً واستمراراً. وأنه كلما كان العمل شاقاً مضنياً كبيراً ثقیلاً على غير الخاشعين كان جزاؤه كذلك أكبر وأكثر وأعظم من أي جزء عمل آخر أقل منه كلفة ومشقة، وذلك مقتضى الحكمة والعدل الرباني. فليس من ينفق في المساعب إذا بخل الناس، ويصوم الهواجر إذا أفطر الناس، ويغض النواظر إذا أطلقها الناس، ويقول كلمة الحق إذا سكت عنها الناس. ليس من يعمل ذلك مع وجود البديل من المال أو الظهير والنصير من القوم كمن يعمله حين فقد البديل وقلة النصير، وإن كان في كل خير لا لا، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى﴾.

وإن المتبع لنصوص الشريعة الغراء قرآناً وسنة يجد أنها رَغِبَتْ أهلها في الأعمال الصالحة، ودعتهم إليها بوجه عام ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾. وبوجه خاص عند الأزمات والشدائد، شدائد زمان بجره وقره، أو مكان يضيق صدور أهله، أو مال على حين حبه، أو سلطان على حين تسلط منه لا حول ولا قوة إلا بالله مبينة بأن الأعمال الصالحة كما تفضل باعتبار الزمان أو المكان أو حال من تصدر منه فإنه يعظم أجرها ويتضاعف

ثوابها ويبقى ذكرها ونفعها إذا عملت في شدائد بأساء أو ضراء، ومعلوم أنه كلما عظم الثمن عظم المثمن، فالشهيد مثلاً قدم حياته الدنيوية فعوض بحياة أخروية أفضل وأكرم وأنعم وأدوم يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياء عند ربهم يرزقون﴾ ويقول: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ ويقول: ﴿فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» متفق عليه. ويقول لما سئل أي الجهاد أفضل قال: «كلمة حق عند سلطان جائر». رواه أحمد.

ويقول: «ثلاثة يحبهم الله» ذكر اثنين منهم ثم قال: «والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر من ضراء وسراء» قال المنذري: رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن. وقال: «إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيها كالقبض على الجمر للعامل فيها مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله». قالوا: يا رسول الله منا أو منهم؟ قال: «بل منكم». رواه أحمد وأبو داود وغيرهما. وقال صلى الله عليه وسلم: «فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس». وقال: «سبق درهم مائة ألف درهم». فقال رجل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به». رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه واللفظ له.

أيها الأخوة المؤمنون الذين حبب الله إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان اتقوا الله أولاً بالثبات على ما أكرمكم به مهما كانت الأحوال أو قست الظروف، فكلما اشتد الأمر عظم الأجر. واتقوا الله ثانياً بمواصلة العمل الصالح ومضاعفة الجهد ولا سيما عندما تشتد الأمور أي أمور، وتضيق المسالك أي مسالك، ويتفش باطل ما أي باطل تضاعف عند الله أجوركم وتعلوا قيمكم ومنازلكم، ونعم المضاعف سبحانه ونعم المقيم ونعم المنزل. ربنا هب لنا من لدنك رحمة، ربنا ابن لنا عندك بيتاً في الجنة، ربنا أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين. وسبحانك اللهم وبحمدك ونستغفرك ونتوب إليك.

أيها الأخوة المؤمنون إن الشريعة الغراء كما جاءت متضمنة بيان مضاعفة أجور الأعمال الصالحة باعتبار أزمانها أو أمكنتها أو أحوالها أو أحوال من تصدر منهم فقد تضمنت أن الأعمال السيئة يعظم إثمها ويشدد خطرها وأثرها باعتبار أزمنتها أو أمكنتها أو أحوالها أو أحوال من تصدر منهم يقول سبحانه وتعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله﴾ الآية. ويقول: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ ويقول رسوله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم وهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنع من ابن السبيل. ورجل بايع رجلاً بسلمة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك. ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفى وإن لم يعطه لم يف» متفق عليه. ويقول: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولا ينظر إليهم وهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر» رواه مسلم. يقول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: إن ذلك لعظيم. ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزني بحليلة جارك» متفق عليه. وقال عليه الصلاة والسلام: «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم. ما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من حسناته ما يشاء حتى يرضى» ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «فما ظنكم» رواه مسلم.

فاتقوا الله عباد الله واحذروا الآثام ما كبر منها وما صغر وما بطن وما ظهر. ليتق الله الآباء والعلماء والقادة والوجهاء، ليتقوا الله، فإن سوء أحدهم أشد وأنكى وأضر على الناس من أي سوء آخر يصدر ممن دونهم.

هدانا الله وإياهم صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم.

* * *

□ تسلية لمن يعيشون من المسلمين بين أوساط جاهلية □

الحمد لله رب العالمين. ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إله الأولين والآخرين. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيقول سبحانه وتعالى: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾. أيها الأخوة المؤمنون: اتقوا الله وتذكروا أن الشباب الواعي الملتزم لما من الله به عليه من علم وتقبل لدين الله برضى وطواعية ليعتبر ويتعظ بمن حوله وبمن سبقه في مثل طريقه. وإن فيما سبقنا في تاريخ شباب الإسلام الطويل للفتات ودروساً وعبراً وعظات. لفتات وأصداء تداعب النفس البشرية. تداعب نفس المؤمن محاولة معانقتها وجرها للتلقي بأرواح وآثار أعمال من سبقها في الخير وسلك مثل طريقها. وإن مما جاء في تاريخ الإسلام ونزل به القرآن تسلية وتبصرة لمن ابتلوا من شباب المسلمين بالعيش بين نفوس أو مجتمعات ذات شح وهلع وطمع تركز على الدنيا دون الآخرة أو بين نفوس أو طواغيت ظاهرة أو مقنعة تنزل الموقى منزلة الله في طلب المنافع أو دفع المضار أو تشبه الله سبحانه وتعالى بخلقه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. أو تنطلق في حكمها أو في عبادتها أو سلوكها أو معاملتها من غير شرع الله، إن مما جاء تسلية وتبصرة ما قصه الله تعالى علينا عن عدد من شباب الإسلام الذين وجدوا أو نشأوا بين أحضان جاهليات جهلاء وضلالات عمياء ومحاولات لفتنتهم وردهم عن دينهم فخلصوا منها بعقيدتهم الصافية وتوحيدهم الخالص الذي لم تشبهه شائبة كما يخلص اللين السائغ للشاربين من بين فرث ودم، فسبحان من وفق من شاء من عباده لذلك.

وفي مقدمة أولئككم رسل الله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ ومن تلكم الأمثلة الرائعة والنماذج الحية التي تشهد لهذا من غير الأنبياء قصة أصحاب الكهف - قصة صاحب يس - قصة مؤمن آل فرعون - قصة امرأة فرعون. قصص تذكروا من

يعيشون على أي من بقاع الأرض في أوساط جاهلية ما - كفر أو فسق - ليحتذوا حذوهم ويقتدوا بمواقف أهلها حفاظاً على عقيدتهم وتطلعتهم إلى ما وصل إليه أهل تلك القصص من الفردوس الأعلى والنعيم الأبدي في الآخرة. فهي قصص تركز على العناية بعقيدة التوحيد الخالص في الدرجة الأولى، وتدعو لها وتواجه بها حتى في أقسى الظروف وأمام العتاة والطفاة جهاداً في سبيل الله وابتغاء لمرضاته سبحانه. قال عليه الصلاة والسلام: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» حديث صحيح.

يقول تعالى في مجموعة شباب التقوا على توحيد الله والإيمان به، رغم ما يحيط بهم من فتن شهوات وشبهات ورياسات، فهم من أبناء عليّة القوم من أبناء ملوك الروم وساداتها: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً﴾ ويقول سبحانه عن صاحب يس حبيب المذكور في سورة يس الذي لما رأى قومه كذبوا المرسلين انبرى من بين قومه قائلاً: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون، وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون، أأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا يتقذون، إني إذا لفني ضلال مبين، إني آمنت بربكم فاسمعون قیل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون، بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ ويقول تعالى في مؤمن آل فرعون في سورة المؤمن: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾ ويقول في سورة التحريم عن امرأة فرعون التي تعيش تحت من يقول: يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾.

ومما جاء في السنة قصة أبي جندل بن سهيل بن عمرو - رضي الله عنهما - فقد أسلم، وحاول والده سهيل أن يرده، واشترط على رسول الله ﷺ في صلح الحديبية أن من جاءكم منا تردونه إلينا. وبعد أن تم الصلح وأخذ في كتابته جرى بأبي جندل بن سهيل يرسف في القيود، فلما رآه أبوه سهيل قام إليه وضرب وجهه وأخذ بتلايبه وقال: يا محمد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: «صدقت». فجعل يتره ويجره بتلايبه أي يرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر

المسلمين أورد إلى المشركين يفتنونني في ديني. فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً»، وجعل الله لأبي جندل وأمثاله فرجاً ومخرجاً. وتدور الأيام ويصبح الأب الذي يضرب الابن على وجهه ليرده عن دينه يطلب الأمان يوم فتح مكة فيطلبه له ابنه أبو جندل ويؤمن. وورد أن سعد بن مالك بن سنان - رضي الله عنه - قال: نزل في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ الآية. قال: كنت رجلاً باراً بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لتدع دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي، فيقال يا قاتل أمه، فقلت: لا تفعلني يا أماه، إني لا أدع ديني هذا لشيء، فمكثت يوماً وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت لها: يا أمه تعلمين والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي، فأكلت. وأمثال أولئك كثير ممن ابتلوا لردهم عن دينهم كبلال وصهيب وعمار وآله الذين يمر عليهم صلى الله عليه وسلم يعذبون فيقول: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة». فما وهنوا وما نكصوا، بل ظلت عقيدتهم منتصرة وسيرتهم وذكراهم عظة وعبرة.

فيا شباب الإسلام لا تستضيقوا من أي مضايقة تواجهكم في هذه الحياة من أهل أو عشير أو والد أو ولد أو زوج أو حاكم أو محكوم فلکم فيمن سلف خير قدوة فاقننوا بالقوم صابرين محتسبين ناهجين نهج من يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، تدخلوا مدخلهم وتلحقوا بهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً.

* * *

□ جوانب من قيمة المؤمن □

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه، ومذل من خالف أمره وعصاه. أحمده سبحانه لا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله وأمينه على وحيه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين. وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى كل من دعا بدعوته واقتفى أثره إلى يوم الدين. ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

عباد الله: لقد خلق الله الإنسان، وعلمه البيان، وأفاض عليه تعالى من آلائه وأنعامه ما يجعله يعقلها ويشكرها بأرفع المقامات وأعلى المنازل ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ أنعم عليه بهذا الدين اليسر الكريم القويم العظيم الذي يجعل من قام به من أي جنس أو لون أو في أي زمان أو مكان بمصاف الأمانة ومنازل الانبياء ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا﴾ ويجعل من قام به ذا قيمة ومكانة وتقدير واعتبار واحترام لا في عالم الدنيا فحسب ولكن في عالم الدنيا والآخرة .. لا في عالم الجنس البشري فحسب، ولكن في عالم المغيبات في عالم الجن والأماك بل وفي عالم الجمادات، لا في ميزان الخلق فقط ولكن فيما هو أكبر من ذلكم في ميزان ومعيار الله التي يقوم عليها هو سبحانه وتعالى بنفسه علام الغيوب ومخبآت القلوب عالم الغيب والشهادة لا إله إلا هو بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

يقول سبحانه وتعالى مبيناً جانباً من جوانب قيمة ومكانة ومنزلة المسلم، المسلم الذي شكر نعم الله حق شكرها، وحملها حق حملها، المسلم الذي يرى الإسلام صورة حية ممثلة في أعماله وأقواله ومعاملته ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً، تحيتهم يوم

يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً ﴿ ويقول: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات﴾. ويقول عن إبليس لعنه الله: ﴿رب بما أغويتني لأزين لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين﴾ ويقول: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾.

يا شباب الإسلام، يا أبنائي وإخواني وفلذات أكباد آبائكم من المسلمين، الذين حمدوا الله أن أخرج من أصلابهم من يحمل كتاب الله ويعبده ويدعو لعبادة الله حق عبادته ويتطلعون اليوم وغداً وبعد غد إلى آثار صحوتكم الإسلامية الميمونة وإلى آثار تقبلكم للإيمان بطواعية وإلى آثار رضاكم بذلك رضي مزجه بلحم أحدكم ودمه فأصبح إيمانه سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾. احذروا أن تتطلعوا أو تمدوا أعينكم إلى شيء ينقصكم مما متع به أحد من أهل هذه الحياة الدنيا ﴿وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يقول المولى جل شأنه ونعم المولى ونعم النصير: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنتهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾. ويقول: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم. لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين﴾ فقيمة المؤمن وآماله وروحه وتطلعاته أجل وأكبر وأعظم من أن تتطلع إلى الأرض دون السماء أو أن تتطلع إلى ما وصف بالفناء دون ما وصف بالبقاء. قيمة المؤمن أجل وأكبر وأعظم من أن ترتبط بجوانب مادية وقيم فانية. قيمة المؤمن الحقيقية ليست عند من يمنحون ما يسمى بالأوسمة والدروع التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولكنها عند من عنده الدنيا الواسعة والأخرى الممدودة الباقية، فاعتمدوا على الله وارتبطوا به وتعاملوا معه وتوكلوا عليه واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴿يا أيها الناس

قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، قل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴿٢٧٧﴾.

* * *

□ معاداة أولياء الله □

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: «إن آل فلان ليسوا لي بأولياء إن وليي الله وصالح المؤمنين». صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أحبوا في الله وأبغضوا في الله ووالوا في الله وعادوا فيه، وكان هواهم تبعاً لما جاء به رسوله - رضي الله عنهم - وحشرنا في زميرهم أجمعين. أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية، ويقول: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم﴾ الآية.

أيها الأخوة: إن الله سبحانه وتعالى اصطفى واجتبي من بني الإنسان أناساً لحمل رسالته وتبليغ دينه من أنبياء وأتباع أنبياء على الحق، ملأ قلوبهم بمحبته سبحانه وأنطق ألسنتهم بتوحيده، وأجرى أعمالهم بتطبيق دينه ودعوة الناس إليه، وأخبر بقرآن تكلم به حقيقة، وسنة أوحى بها إلى نبيه بمحبته لأولئك المصطفين المحبتين وتوليه وكلاءته ونصرته لهم.

وجرت سنته التي لا تتبدل ولا تتغير بذلك سواء منها ما جرى وفق المؤلف من السنن أو ما جرى منها بخلاف ذلك من خوارق العادات مما يجريه الله سبحانه وتعالى لبعض عباده من معجزات بالنسبة للأنبياء أو كرامات بالنسبة للأولياء مما هو حق واقع في الماضي، ويقع في المستقبل لمن شاء من أوليائه.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ ويقول: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ ويقول: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾، ويقول: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ ويقول: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾. والقرآن والسنة مليانان بذكر ما أجراه الله لعباده من أنبياء وأولياء خلال تاريخ الدعوة الإسلامية من معجزات وكرامات وفي تفاصيل قصص أولي العزم المذكورين في قول الله سبحانه: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى

وعيسى ابن مريم ﴿ وقصة مريم، وقصة أصحاب الكهف، وقصص كثير من صحابة رسول الله ﷺ وما أجراه الله لهم أو لغيرهم من صالحى هذه الأمة من كرامات وخوارق للعادات ما تقرُّ به عين المؤمن وتطمئن إليه نفسه وتتطلع إليه آماله.

عباد الله: إن الله سبحانه وتعالى الذي وعد عباده ووعد الحق ﴿ إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ وقال وقوله الصدق: ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ إنه سبحانه أندر وحذر من إيذاء أو مضارة أو معاداة أو ظلم أولياء الله بأي نوع من أنواع الإيذاء أو المضارة أو المعاداة أو الظلم أو نحو ذلك، فأخبره بتولي أولئككم مؤذن بمحاربتة سبحانه لمن آذاهم أو ضارهم، وأنى لقوة في الأرض أو في السماء أو فيهما «افتراضاً» وأنى لقلب لديه مسكة من عقل أو به قطرة من دم أن ينصب نفسه لمواجهة مثل هذا الوعيد، وأنى للنفس الضعيفة المسكينة المغلوبة على أمرها التي خلق من يحملها من نطفة مذرة وآخره يعود جيفة قدرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة أنى له ذلك!

ومعلوم مسبقاً أن من حاربه الله مخذول مهما اتخذ نفقاً في الأرض أو سلباً في السماء ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ سبحانه الله ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾.

عباد الله: إن من نعم الله الكبرى على الأمة الإسلامية - ونعمه سبحانه لا تعد ولا تحصى - أن بدأ كثير من شبابها ذكوراً وأنثاً يتجهون للإسلام الذي أنزله الله، فما تكاد تمد عينيك في أفراد جمعية من بعض جمعيات العالم الإسلامي أو تنظر في مصلين في مسجد من مساجد المسلمين ولا سيما في الحرمين الشريفين في مناسبة حج أو عمرة أو عطلة مدارس ونحوها إلا وترى شباباً ترى كثيراً من تعاليم ومحاسن وفضائل الإسلام في وجوههم، فالكثير منهم صدورهم أوعية لكتاب الله، وعبادتهم ترجمة عملية لسنة رسول الله ﷺ، ولقاءاتهم معمورة بما يزيد في إيمانهم ويرسخ يقينهم، يحبون ما أحب الله، ويغضون ما أبغض الله، ويرضون ما رضيه الله، ويسخطون مما يسخط الله مما يشعر في الجملة بتأهيلهم لولاية الله لهم.

□ نواقض الإسلام □

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعده ضل الضالون، سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي الله بقوله: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك. فنقول: اللهم ندعوك بدعوتك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك. ونصلي ونسلم عليه وعلى آله وأصحابه ما صلي وسلم عليه إلى يوم الدين.

أما بعد أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في من أكرمهم بدخول الجنة: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون. قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين، فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم، إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾.

أيها الأخوة المؤمنون: معلوم لدى كل مسلم أن أعلى وأعز وأكرم ما لدى المسلم دينه الذي أنعم الله عليه به، وهياؤه وأهله به ليحل في الدنيا القلوب ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ وليرتفع ويعلو به على مؤن ومتاعب ومشاق الحياة ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ ويلحق وينضم به في الآخرة إلى مواكب المنعم عليهم ممن عبدوا ربهم حتى أتاهم اليقين ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾.

وإن قيمة الإغلاء والإعزاز والإكرام وتذوق الاستلذاذ والتنعم بالدين والرضى به أن يخاف عليه خوفاً يحمل على صيانته، وحفظه مما يناقض أصله كلياً أو يشوهه ويخدشه، فلقد كان السلف رضوان الله عليهم كذلك. قال حذيفة ابن اليمان - رضي الله عنه -: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني الحدث. متفق عليه. وقال البخاري - رحمه الله -: باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر. وقال ابن أبي مليكة:

أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه. وروى أبو الفرج بن الجوزي في كتابه - مناقب الإمام أحمد - بسنده إلى عبد الله بن الإمام أحمد قال: لما حضرت أبي الوفاة جلست عنده فجعل يغرق ثم يفيق ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا: لا يعد، لا بعد، ثلاث مرات، فعل هذا مرة وثانية، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبت أي شيء هذا قد لهجت به في هذا الوقت تغرق حتى نقول قد قضيت، ثم تعود فتقول: لا بعد لا بعد. فقال لي: يا بني ما تدري؟ فقلت: لا. فقال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاض على أنامله يقول لي: يا أحمد قُتني. وأنا أقول له: لا بعد حتى أموت.

وإن هناك أموراً عظيمة يخشى ويخاف منها على الإيمان لأنها تناقض أصل الإيمان ويخرج واحد منها فاعله من دائرته خروجاً نهائياً يستوجب به الهوان والذل والصغار بل والحزبي والفضيحة والعار والنار. نبه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في رسالته المطبوعة في مجموعة التوحيد ص ٢٧١ على عشرة منها، وذكر أنها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً، فعلى المسلم أن يحذرهما ويخاف منها على نفسه. قال - رحمه الله -: اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر.

والثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً.

الثالث: من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر.

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله

تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفروا﴾.
 الثامن: مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.
 التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.
 العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾.
 ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره^(٥).
 فاتقوا الله أيها المسلمون واحفظوا وصونوا دينكم حفظاً وصيانة تجعله ملء سمعكم وبصركم ومحرك أحاسيسكم ومشاعركم وقاعدة منطلقاتكم في كل شيء اعتقادي أو قولي أو فعلي حتى تلقوا ربكم القائل جل من قائل: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾.

* * *

(*) مع عدم إغفال موقف الجاهل والمتأول من ذلك كما بينه أهل العلم. والله أعلم. المصحح

دار الحرمين.

وعلى هذا كل ما يأتي من مثل ذلك.

□ الكفر بالطاغوت والطاغوت □

الحمد لله رب العالمين .. أحمده وأشكره وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. القائل: ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنزل عليه: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾. اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد ..

أيها الأخوة: لقد بدأت ظاهرة خطيرة بين كثير من المسلمين ولا سيما من يسمون - اصطلاحاً - بالمفكرين ظاهرة تهدد المعتقد السليم والوضع القويم للمسلمين، سببها كثرة احتكاك المسلمين بمن ليسوا على دينهم، وتعاملهم معهم تعاملًا لا ينطلق في معظمه من تعليمات الإسلام بل وكثرة عرض وسائل الإعلام لأحوال أولئك القوم على واقعها دون تمحيص لما ينفع من ذلك أو يضر ألا وهي استمراء الباطل الذي أدى بكثير من الناس المنتسبين للإسلام إلى عدم الكفر بما عبد من دون الله، وقدماً قيل: إذا كثرت الإماسات قلَّ الإحساس. الأمر العظيم الذي لا إيمان ولا أمان لمن لم يأت به، فلقد جاءت الشريعة الغراء مبيّنة بأنه لا توحيد مقتضياً بفضل الله للنجاة من دخول النار أصلاً أو من الخلود فيها، ولا أمان في الحياة على النفس والعرض والمال، ولا مكان بين المسلمين الخُلص أو تصدر أو تقدير أو احترام لمن لم يحقق مقتضى لا إله إلا الله المتضمن الكفر بما عبد من دون الله. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ألم ترى إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾ ويقول: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ ويقول: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله».

ومعنى الكفر بالطاغوت والكفر بما عبد من دون الله البراءة منه واعتقاد بطلانه. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: فأما صفة الكفر بالطاغوت

فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديتهم. وقال في بيان الطاغوت الذي أمرنا بالبراءة منه، واعتقاد بطلانه في كتابه ثلاثة الأصول: قال ابن القيم رحمه الله: معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، والطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عبده وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله. وقال في بيان نواقض الإسلام: الثالث: من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو يصحح مذهبهم فقد كفر - مجموعة التوحيد ص ٢٧١.

أيها الأخوة المؤمنون: بنظرة هادفة للخير خالية من الأهواء في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ وما فسرت به أثراً ونظراً من أنهم يحلون لهم الحرام فيحلونه، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه. وقوله في سورة الأنعام: ﴿وإن أطعمتموهم إنكم لمشركون﴾ أي إن أطعمتموهم فيما يحرمونه من الحلال ويحلونه من الحرام إنكم لمشركون. وقوله في سورة الكهف: ﴿أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ وقرأ ابن عامر أحد القراء السبعة «ولا تشرك» بالجزم أي لا تشرك أيها الإنسان في حكمه أحداً. وقوله: ﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾ وقوله: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ وقوله: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون...﴾ الآيات. وغير ذلك أمثال ما سبق من قول الله: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾ وقوله: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم..﴾ الآية. يتبين للناظر أن رفع أحكام شرعية من أحكام الإسلام معروف حكمها من دين الإسلام بالضرورة وإحلال قوانين وضعية من صنع البشر مخالفة لها بدلاً منها والحكم بها بين الناس وحملهم على التحاكم إليها. أن ذلك شرك بالله في حكمه والمتبع بطواعية لمن فعل ذلك مشرك شرك طاعة، وإن هذين الشركين قرينا شرك العبادة والدعاء، موجب كل واحد منهما للخلود في النار لمن مات عليه إذ لا فرق بين قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾. وقوله فيمن: ﴿اتخذوا أجبارهم

ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴿١﴾ وقوله في مجال التحريم والتحليل: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾. وقوله عن الشيطان في خطبته التي سيخطب بها فيمن مات على طاعته: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون﴾ أي أطعتموني واستجبتم لي فيه. فشركهم به شرك طاعة واستجابة لا شرك ركوع له وسجود.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله -: والإسان متى حلل الحرام المجمع عليه وحرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء «مجموع الفتاوى جـ ٣/٢٦٧» وقال: ومن أوجب تقليد إمام معين استتيب، فإن تاب وإلا قتل «الاختيارات ص ٣٣٣»، وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - في مطلع رسالته - تحكيم القوانين: إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العاملين والرد إليه عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل: ﴿فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ إنخ الرسالة.

وجاء في تعليق على كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون...﴾ الآية عن ذكر السياق الذي ألفه جنكزخان التتري دستوراً للنتار الذين عاثوا به في الأرض فساداً، ومثل هذا وشر منه من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال ويقدمه على ما علم وتبين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله ولا ينفعه أي اسم تسمى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها. وقد أقر هذا التعليق سماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز ختم الله لنا وله بالصالحات.

فيا إخوة الإسلام وهواه طوبى وحسن المقام في جنة عدن تدخلونها بسلام.
اتقوا الله وحافظوا على ما من الله به عليكم من معتقد سليم ووضع قويم باجتنب
ما يناقضه أو يلوته بل وحمایته والدعوة إليه تسلموا من طائلة الوعيد في قوله سبحانه:
﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾؟ وتصبحوا خير خلف
لخير سلف، صدقوا ما عاهدوا الله عليه. قال سبحانه وتعالى: ﴿ومن آبائهم وذرياتهم
وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. ذلك هدى الله يهدي به من
يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾.

وأستغفر الله لي ولكم، إنه تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

* * *

□ أثر الإيمان بالغيب في النفوس □

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادة أرجو بها النجاة يوم يعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: «إذا تشهد أحدكم فليستعد بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال» متفق عليه. وفي لفظ لمسلم «إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير» صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون لقد أنزل الله القرآن الكريم شفاءً وهداية ورحمة وحجة وعظة وذكرى. ولقد أنزل الله تعالى فيه في أول ثاني سورة في المصحف الشريف آية صدرت بها صفات المؤمنين الخُلص الذين وعدوا الظفر بالمقصود والفوز بالموعود ليتذكر المؤمنون مدلولها كثيراً وليذكروا بها من يخشى هي قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ومقتضى الإيمان بالغيب التصديق الكامل بكل ما أخبر الله به وما أخبر به رسوله ﷺ على وجه لا يرد عليه تأويل يخرج عن مدلوله ومقتضاه ولا تشكك أو تزعزع أو تردد، تصديق متلو بالأقوال والأعمال الصادقة المخلصة المظهرة لآثاره في واقع حياة المؤمن. فالإيمان بالمغيبات الصادق ينبثق منه الخشية الحقة لله. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾.

وفي مقدمة ذلك الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والقدر خيره وشره والبعث بعد الموت والحساب والجزاء والثواب والجنة والنار.

وإنه ليجدر بالمؤمن الذي وفقه الله للإيمان بذلك أن يتعاهد نفسه بين الفينة والأخرى بتذكر الآخرة بتذكر أهوال ومشاهد يوم القيامة ليعالج به غفلة قلب أو نقصان استعداد ابتداء بتذكر الاحتضار ومكابدة سكرات الموت والانتقال من

الدنيا إلى الآخرة. قال تعالى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾. وقال: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ ثم ما بعد الموت من تلکم الحفرة التي يفترش أحدنا فيها التراب ويلتحفه، والتي أمرنا بأن نستعيد بالله من عذابها في كل صلاة بعد التشهد وقبل السلام حتى لا يغيب ذلك الهول عن أذهاننا، والتي هي أول منازل الآخرة، فإن نجا فيها الإنسان فما بعدها أيسر. فإن تنج منها تنج من ذي عظمة وإلا فإنسي لا أخالك ناجيا

روى البخاري ومسلم - رحمهما الله - في صحيحهما عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».

أيها الأخوة: تذكروا أن تلکم الحفر التي يقضي فيها الموتي حياتهم البرزخية هي مقدمات نعيم أو مقدمات جحيم، ينتهي دورها عندما يأذن الله بالحشر ويتحقق تأويل قوله جل شأنه: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾. ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير﴾ ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة، ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ روى البخاري ومسلم - رحمهما الله - عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس حفاة عراة غرلاً» فقلت: الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض، قال: «الأمر أشد من أن يهيمهم ذلك». ويعظمهم الهول ويشتد الخطب والموج على أرض قد بدلت وغيرت لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً ﴿يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً﴾، وينادي مناد ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ وتتطاير الصحف ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾، وتدنو الشمس من الناس ويلجمهم العرق ويشتد الظمأ فيردون على حوض نبينا الذي ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل أعطيه تكريماً وتشريفاً له. يقول الله جل شأنه: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾، فيرد عنه أناس بظمئهم. إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك، ويوضع الميزان الذي قال الله فيه: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها

وكفى بنا حاسبين ﴿ وينصب الصراط على متن جهنم فيمر الناس عليه تجري بهم أعمالهم فناج مسلم ومخدوش مكردس، ويوقف الناس على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض. روى الإمام مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

وينقسم الناس بعد قسمين: قسماً وفود على الله تحيتهم يوم يلقونه سلام، وقسماً يدعون إلى نار جهنم دعاً هذه النار التي كنتم توعدون. قال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون، وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾.

فاتقوا الله أيها المؤمنون .. وتذكروا تلکم المواقف تذكر متعظ مستعد مستزيد من الخير مبتعد عن الشر. تذكروها بحق وصدق يخفف الله عليكم شدائدنا وأهوالنا، فإنها لمواقف عسيرة على الكافرين، يسيرة على المؤمنين. قال تعالى في حق الكافرين: ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ وقال في حق المؤمنين: ﴿إننا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطيراً، فواقهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً﴾.

* * *

□ أخذ الأرض زينتها ثم عود ما عليها هشيماً تذروه الرياح □

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين. أما بعد:

فيقول الله جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾.

أيها الأخوة المؤمنون: لقد أنعم الله علينا بنعم كبرى وأنواع من الخيرات العظمى، ومن بين تلكم النعم توالي فضله وكرمه بتتابع الأمطار وتزین الأرض بأنواع النباتات المختلفة وتجدها وازدهارها بما يبهج النفوس ويسر الناظرين، وإن المسلم الواعي للأحداث المتذكر المتعظ بما يذكر ويوعظ به قولياً أو عملياً ليقف مع كل حادثة تجدد نعمة أو إزالة نقمة موقف التأمل المتعظ الحذر لا موقف من ينسى ذنوبه وتقصيره ويفسر النعم بأنها أثر من آثار الطاعة لله والاستجابة له فحسب فقد لا يكون الأمر كذلك، فإن الله سبحانه وتعالى يتلى بالخير كما يتلى بالشر. يقول سبحانه: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ ويقول: ﴿وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً، لنفتنهم فيه، ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً﴾ ويقول: ﴿أحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ بل المسلم يقف مع هذه الأمور لينظر في آلاء الله وآياته وسننه الكونية نظر واعتبار من أثنى الله عليهم سبحانه بقوله: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما

أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴿١﴾
ويقول: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب﴾.

وإنني بهذه المناسبة أذكركم بأن تكثروا تذكروا ما أوجبه الله علينا من الإيمان
بالبعث وما وراءه من حساب وثواب وعقاب حتى لا نلهوا أو نتأدى في الحياة
تمادياً يلهينا عن ذلك أو ينقص استعدادنا له، فالله سبحانه وتعالى أمرنا بذلك وندبنا
إليه وأقام عليه من البراهين السمعية والعقلية ما يجعل ذوي الفطر السليمة تتجاوب
معها تقبلاً وإيماناً وعملاً.

تذكروا وأنتم تستروحون عبير هذه الزهور وتنظرون إلى هذه الرياض الخضرة
التي أخذت زيتها وأبنت من كل زوج بهيج أنها غداً عندما تحرقها الشمس وتصبح
هشيماً تذوره الرياح أنها - واقعياً - دليل ونذير يواجه شيوخكم وشبابكم، وكأنه
يقول: انظروا إلى وجوهكم الناضرة اليوم كمنظار هذه النباتات المختلفة وإلى
أرواحكم المتفتحة بتطلعاتها وآمالها الطويلة كتفتح براعم وزهور هذه النباتات إنها
ستبدل وتنتهي وتعود إلى أمها الأولى ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة
أخرى﴾. يقول سبحانه وتعالى مبيناً قصر عمر الدنيا العام وقصر عمر الإنسان فيها
الخاص: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض
مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم
قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك
نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ ويقول: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه
من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على
كل شيء مقتدرًا. المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثواباً وخير أملاً﴾.

فاتقوا الله عباد الله وتذكروا واتعظوا بما تذكرون وتوعظون به، يقول سبحانه
وتعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحیی به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً
وأناسی كثيراً ولقد صرفناه بينهم لیدذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾.

□ أثر المعاصي في الأفراد والمجتمعات □

الحمد لله الذي حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، نحمده ونشكره ونثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون: لقد أنزل الله القرآن الكريم على أشرف رسول وأكرم إنسان هدى ونوراً وبينات من الهدى والفرقان. من اتخذته إماماً وقائداً سعد في دنياه وفاز في آخره. ومن أعرض عنه ضل في دنياه وشقي في آخره. قال تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾.

ولقد وعظمتنا مواعظ هذا القرآن وأندرتنا نذره. وعظمتنا وأندرتنا عظات ونذر من يعرض الأمور وكأنها وقعت وشوهدت رأي العين. أندرتنا بأسلوب يلامس مشاعر وعقول ذوي النفوس الواعية الحريصة على مصالح دنياها وآخرها، بل ويقرع الآذان ويخاطب النفوس بواقع من واقع حال جنسها سلفاً، فلقد تضمنت إخباراته الصادقة - وكله صدق وحق - أن ما أصيبت به أية أمة أو فرد من تبديل نعمة بنقمة أو عافية ببلاء أو أمن بخوف أو عز بذل أو سرور بحزن أو غنى بفقر أو غير ذلك إلا بجراء عصيانها لله وكفرانها لنعمة. قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ وقال: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

ولا جرم أيها الأخوة - فلطالما وكثر ما تسبب كفران النعم وعصيان ذي الفضل والكرم في إخراج ذي النعمة من نعمته وذو العزة والعلواء من عزته وعلوئته. روى الإمام أحمد رحمه الله قال: حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو حدثني عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي فقلت: يا أبا الدرداء

ما يبيئك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى. ولا جرم مرة ثانية فما الذي سبب إخراج الأبوين عليهما الصلاة والسلام من الجنة دار اللذة والنعيم إلى هذه الدنيا دار الآلام والأحزان إلا جرم أكلة واحدة. وسبب إخراج إبليس من ملكوت السماء وصيره طريداً لعيناً مصدراً لكل بلاء في الإنسانية وشقاء إلا جرم الامتناع من الإتيان بسجدة واحدة. وسبب إغراق أهل الأرض حتى علا الماء رؤوس الجبال، وسلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم كأنهم أعجاز نخل خاوية، وأرسل على ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم، وقلب قرى قوم لوط بهم فجعل عاليها سافلها وأتبعهم بحجارة من سجيل، وأغرق فرعون وقومه، وحسف بقارون الأرض. ما الذي هد عروشاً في ماضي هذه الأمة وحاضرها طالما حميت، وأذل أعناقاً طالما ارتفعت، وأخرس ألسناً طالما نطقت، وأصم آذاناً طالما استمعت، وفرق أسراً ومزق جمعاً طالما اجتمعت. ما الذي وما الذي إلا شؤم الكفران وتتابع العصيان ومجانبة تعاليم ونذر ومواعظ هذا القرآن. قال تعالى منذراً للناس حال من وقع بسبب عصيانه: ﴿فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

فاتقوا الله عباد الله واحذروا معاصي الله فإن لها حامياً غيراً يراقب السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. احذروا المعاصي فإن ضررها على الأفراد والمجتمعات لأشد وأنكى من ضرر السموم على الأجسام إنها لتخلق في نفوس أهلها التباغض والعداء وتنزل في قلوبهم وحشة وقلقاً لا يجتمع معهما أنس أو راحة، وظلمة وجهلاً لا يجتمع معهما نور أو علم روعي. قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إن للحسنة ضياءً في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الناس، وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القبر والقلب ووهناً في البدن ونقصاناً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق. يؤثر عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال:

شكوت إلى وكيع سوء حظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال: اعلم بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي

ويؤثر عن عبد الله بن المبارك - رحمه الله - أنه قال:
رأيت الذنوب تमित القلوب وقد يورث الذل إدمانها
فترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

ومما سلف من آيات وآثار وحكم يدرك العاقل ومريد النجاة وسعادة نفسه
في العاجل والآجل يدرك ذو الصدارة والقيادة والوجاهة والولاية أن للمعاصي خطراً
كبيراً على قلب الإنسان وعلمه وأمنه ومكانته في نفوس البشر وأنها من أقوى الأسباب
في نفرة الناس من صاحبها بل وانتزاع حبه من نفوسهم وهوانه عليهم ﴿ومن يهن الله
فما له من مكرم﴾ ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ وسبحانك اللهم
وبحمدك نستغفرك اللهم ونتوب إليك.

في الخطبة الثانية الكلام على الصغائر:

- ١- حديث «إياكم ومحقرات الذنوب».
- حديث: «إن العبد إذا أذنب ذنباً نكتت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زادت زادت. فذلك قول الله سبحانه: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾».
- ٢- تعظيم ومضاعفة الذنب باعتبار من يصدر منه وباعتبار زمانه ومكانه وحاله.

* * *

□ أثر الخوف من الله وخطورة صرف شيء منه لغيره □

الحمد لله لا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مؤمن من خافه ومعطي من رجاه. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكرم الخائفين وأفضل الراجين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك. أما بعد ..

أيها الأخوة لقد جاءت نصوص الشريعة الغراء قرآناً وسنة أمرة بالخوف من الله وناهية عن صرف خوفه الواجب إلى غيره مبينة وموضحة أن خوفه سبحانه محض عبادة وطاعة لله، وأن صرف هذا الخوف إلى غيره محض معصية كبرى قد تؤدي بصاحبها إلى الإشرak بالله المندرج تحت قوله تعالى: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحيطن عملك ولنكونن من الخاسرين﴾.

يقول سبحانه آمراً بالخوف منه وناهياً عن صرف الخوف الواجب له إلى غيره: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ ويقول: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ ومما هو معلوم أيها الأخوة .. أن الخوف من الله من أجل وأفضل مقامات الدين بل وأجمع وأشمل لأنواع العبادة من غيره، ولا غرو فلقد ذكره الله عن سادات المقربين من الملائكة والأنبياء والصالحين. قال تعالى عن ملائكته: ﴿... والملائكة وهم لا يستكبرون، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ وقال: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ وقال عن أنبيائه: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ وقال عن آل زكريا: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾ وقال في عموم الصالحين: ﴿... وذكراً للمتقين، الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون﴾ وقال: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ وقال: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾.

وإن الله سبحانه الذي أمر بخوفه ونهى عن خوف غيره فيما لا يخاف فيه إلا منه وأثنى على من تحلوا بهذا الخوف وتقربوا به إليه ووعدهم سبحانه وهو صادق الوعد ومحقق الوعد بقوله جل شأنه: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، ذواتا أفنان...﴾ الآيات. وقوله: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾.

وهذا الخوف الذي وعد الله أهله ما سمعتموه وغيره مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، هو خوف وعيد الله الذي يحول بين المرء وبين محارم الله، بينه وبين المنهيات، بينه وبين الوقوع تحت طائلة أي وعيد تضمنته نصوص الوعيد قرآناً أو سنة ولم يصل بصاحبه إلى اليأس والقنوط من روح الله. قال تعالى: ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيدي﴾ خوف مقترن اقتراناً تاماً بالرجاء، فلا خوف نافع بدون رجاء، وأي خوف خلا من الرجاء فهو يأس وقنوط. قال تعالى: ﴿ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ وقال: ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾.

أيها الأخوة: من المعلوم أن هذا الخوف إذا قر في قلب مؤمن بالله مصدق بوعدته ووعيده تصديق من يتصور الوعد وكأنه تحقق لأهله، ويتصور الوعيد وكأنه أحاط وأودى بأهله إن ذلك سيعمل عمله ويظهر أثره في الأعمال القولية والفعلية. فما وايم الله عظمت واجتنبت الضرورات الخمس: الدماء والأنساب والأعراض والأموال والعقول وغيرها من المنهيات من مسلم إلا وقد قر في قلبه وقام به خوف ما يترتب على الوقوع فيها من وعيد الله. فكلما قوي إيمان العبد ويقينه قوي أثر ذلك في عمله. ولذا نجد العلماء بالله هم أسرع الناس إلى هذا الأمر وألزمهم له وأحوجهم إليه. قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «إني لأعلمكم بالله وأشدكم خشية». وقديماً قال السلف: من كان بالله أعرف كان منه أخوف.

فاتقوا الله عباد الله وخافوا الله خوفاً بجانبه رجاء أمل وحسن ظن بالله. يقول عليه الصلاة والسلام: «يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي

ما شاء» متفق عليه. اتقوا الله بالمحافظة على هذا الأمر، والحذر كل الحذر من صرفه إلى غيره كمن يخاف خوف السر يخاف من وثن أو طاغوت أو صاحب قبر ونحو ذلك مما هو شرك بالله مناف لأصل التوحيد، أو يخاف خوفاً يمنع من القيام بواجب كالجهاد في سبيل الله وكالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك مما هو محرم، وقال فيه بعض السلف: إنه من أنواع الشرك المنافية لكمال التوحيد.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يقول للعبد: ما منعك إذ رأيت المنكر ألا تغير؟ فيقول: ربي، خشية الناس، فيقول: إياي كنت أحق أن تخشى». رواه أحمد.

يقول الله سبحانه وتعالى منذراً ومحذراً من يدعي الخوف ولم يلتزمه: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون، أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين، أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ ويقول مبشراً من خافه: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً، إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً﴾.

* * *

□. ضرر الحرص وطول الأمل □

أيها الأخوة المؤمنون: هناكم خصلتان ذميتان خطيرتان على من لم يحذرهما تلاحقان الإنسان ملاحقة شديدة حتى في الأحوال التي تشيب فيها منه اللمة وتضعف الهمة ويذني فيها من انتهاء العمر وزيارة القبر، خافهما صلى الله عليه وسلم على أمته وحذرهما منهما بأسلوب الإخبار المتضمن للإنذار ألا وهما الحرص وطول الأمل. الحرص على المال والحرص على العمر والحرص على الشرف .. الحرص المفقر لأهله مهما ملكوا من أمر أو جمعوا من حطام، والأمل المتعب لهم والسارح بهم في خيالات يكون الأجل إليهم فيها أقرب من تحقق الأمل. يقول صلى الله عليه وسلم: «يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان: الحرص على المال والحرص على العمر» رواه مسلم. ويقول: «يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان: الحرص والأمل» رواه أحمد. ويقول: «ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه». رواه أحمد والنسائي والترمذي وابن حبان.

ومدار هذه الإخبارات بجانب ما تقرره من صدق صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه مخاطبة ذوي القلوب الواعية والنفوس والآمال المتطلعة إلى ما عند الله أن يبذلوا جهودهم في تحرير عقولهم وسل نفوسهم من هذه الأدوية الفتاكة، داء الحرص على المال والشرف الذي يطوق الرقاب ويسترق الأبواب، وقديماً قيل: «أذل الحرص أعناق الرجال» وداء طول الأمل السراب المبلقع الذي طالما قطع الطريق على أهله وحال بينهم وبين ما يشتهون.

ومثل هذا الأسلوب الراقى في بلاغته وعظته ومخاطبته للقلوب قوله صلى الله عليه وسلم: «لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتوهم». قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» أخرجاه واللفظ لمسلم.

وما ورد في معناه مما يتضمن الإخبار والإنذار، الإخبار بوقوع هذه الأشياء والإنذار من الوقوع فيها عندما يتداعى إليها ضعفاء الأبصار والبصائر تداعي الفراش

على النار.

وبتأمل نصوص الشريعة الغراء نجد أنها نهت عن التركيز على الحرص على الدنيا وما فيها من وجاهة أو رئاسة أو تطلع لكثرة مال أو طول عمر، وذكرت ما ينبغي للمسلم أن يحرص عليه ويهتم به ويستكثر منه ويبادر إليه. خذوا مثلاً قول الله سبحانه وتعالى: ﴿زِينِ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ. ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ. قُلْ أُؤْتِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش». طوئي لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقية كان في الساقية، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع» رواه البخاري.

كما نهت عن طول الأمل ولا سيما المتضمن لتأخير الأعمال الصالحة وضياع الحقوق الواجبة بذكر وتصور حال من وقعوا في هذا الأمر فندموا حين لا ينفع الندم. قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لَمِنَ السَّخِرِينَ. أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كُرَّةٌ فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ...﴾ وقال: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا..﴾ وجاء عنه صلى الله عليه وسلم في بيان حال من سبقه ويسبقه الأجل قبل الوصول للأمل ما رواه البخاري وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأً مربعاً وخط خطأً في الوسط خارجاً منه ، وخط خطوطاً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط فقال : « هذا الإنسان وهذا أجله محيط به

أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطوط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا». وفي رواية: وخط آخر بعيداً عنه وقال: «هذا الأمل فينا هو كذلك إذ جاءه الأقرب».

وإن ما تعالج به هذه الأمور في النفوس ويعين على التخلص منها أن يتذكر الإنسان دوماً قول الله سبحانه: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾، وقوله: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ وقوله ﷺ: «أكثرُوا ذكرَ هاذم اللذات: الموت» رواه الترمذي والنسائي وصححه ابن حبان، وقوله: «ما حق امرىء مسلم يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» وأن يكون لهذا التذكر أثر يتحقق به ما أمرنا الله ورسوله به من المبادرة بالأعمال الصالحة والمسارة والمسابقة بها والتنافس فيها لقوله: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ وقوله: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ وقوله ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا» رواه مسلم. وقوله: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك . وصحتك قبل سقمك . وغناك قبل فقرك . وفراغك قبل شغلك . وحياتك قبل موتك» رواه الحاكم. وقال: صحيح على شرطهما. وقوله لابن عمر: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك.

وأن يكون المرء على حال يجب أن يلقي الله عليها فيما لو وافته المنية في لحظة تلك. قال ابن عمر رضي الله عنه: ما مضت عليّ ليلتان بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما حق امرىء مسلم يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» ألا ووصيتي مكتوبة عندي.

ولما تولى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهما وخطب خطبة الخلافة ذهب يتبواً مقيلاً فاتاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر قال: ادن مني أي بنّي فدنا منه فالتزمه وقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبني من يعينني على ديني، فخرج ولم يقل وأمر منادياً له أن ينادي ألا من كانت

له مظلمة فليرفعها^(١).

فيا أخوة الإسلام ويا شباب الإسلام انهجوا نهج من تلقوا الكتاب والسنة
بقلوب واعية وعزائم صادقة وآمال وأعمال تؤهل أهلها بفضل الله أن يكونوا ممن
قال الله فيهم: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون﴾.

* * *

(١) أبو بكر الآجری فی کتابه فضائل عمر بن عبدالعزیز.

□ أثر القدوة السيئة □

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونثني عليه الخير كله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقائد الغر المحجلين. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه أئمة الهدى ومصايح الدجى. ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماماً.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

أيها الأخوة المؤمنون: لقد اصطفى الله واجتنبى أمة محمد ﷺ وهياها للإمامة في الدين والشهادة على الناس يوم وضع الموازين. هياها لذلك بما أكرمها به من شمول وتعدي واستمرار كثير من أعمالها الخيرية حتى بعد الوفاة. وإن الذي اصطفاها وأكرمها بهذا الأمر قد نهاها وحذرنا من مقابله. حذرنا ونهاها من تعاطي ما يجعلها قائدة وهادية إلى الشر في أي أمر أو مشاركة فيه بأي مشاركة. يقول سبحانه وتعالى في إمام الشر وتلاميذه: ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ وقال: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ ويقول سبحانه وتعالى فيما يؤول إليه أمر الأتباع في الشر والمتبعين فيه: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب..﴾ الآية، ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي..﴾.

ويزداد أمر التبرؤ سوءاً بانقلابه حسرة ولعنة من التابعين في الشر والمعاونين فيه للمتبعين فيه حين لا ينفع متبوعاً في الشر أو تابعاً فيه نافع ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً﴾.

وكما جاءت نصوص القرآن محذرة من الائتام في الشر والتسبب فيما يكون الإنسان به متبوعاً في الشر وداعياً وهادياً إليه فقد جاءت نصوص السنة الصريحة الصحيحة بذلك، يقول عليه الصلاة والسلام: «ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل» رواه البخاري ومسلم. ويقول: «ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». ويقول: «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار لأنه أول من سبب السوائب وغير دين إبراهيم» رواه البخاري ومسلم. ويقول في كتابه لهرقل عظيم الروم: «أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين» رواه البخاري ومسلم. ويقول لما قال له حذيفة: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها».

فيا أمة الإسلام .. يا شباب الإسلام يا من وجدتم لتكونوا قادة في الخير وهداة إليه تتقدمون الناس وتتصدرونهم به في الدنيا وتشهدون به عليهم يوم يقوم الأشهاد. اتقوا الله وخافوه في نفوسكم في أمتكم في متبوعيكم فيما يؤول إليه الأمر في الحيا والممات. اتقوا الله فيما ألبستم إياه من لباس التقوى وحليتم به من حلية الدعوة إلى الحق والإمامة فيه لا ترخصوه فترخصوا، لا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير فتضلُّوا وتضلُّوا، لا تشتروا العاجل بالآجل. كونوا دعاة خير وهدى، أعواناً على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

ليثق الله أولئك الذين ولوا أمر الإعلام بتجنبيه ما يفسد السلوك ويلوث الأخلاق ويشكك في حكم الضرورات الخمس فضلاً عن غيرها من أحكام الإسلام. بل ويضعف التوحيد الذي خلق له الثقلان في النفوس، ومعلوم أن ما ضعف بعد قوة قل أن يقوى، بل قل أن يبقى. ليثق الله أولئك الذين يحاولون إخراج المرأة من حيز الاحتشام والعتاف المتلائم مع وضعها الطبيعي وتكوينها البشري وما جاء به الإسلام في حقها. ليثق الله أولئك المحاولون استحلال الربا المجمع على كفر مستحله وعصيان فاعله دون استحلاله عصياناً كبيراً مؤذناً صاحبها بالذل والصغار والعار والنار. ليثق الله أولئك المنظمون لأمر ما أن يخرجوا بشيء منه عن شرع الله الذي تعبد الناس بتطبيقه والتزامه. ليثق الله من يسمون - اصطلاحياً - «سياسيين أو سريين» فيما يأتون وما يذرون يجعل تبعيتهم لله ولحملة شرعه لا لمن هم مظنة التبرؤ منهم يوم

لا ينفع التبرؤ. ليتق الله أولئكم وأمثالهم ممن هم على ثغرة من ثغر الإسلام فإنهم بانحرافهم عن الحق وتعاونهم في الإثم ووفاتهم دون وضع لما حملوا وإصلاح لما أفسدوا سيلقون الله أتباعاً وشركاء ونظراء لأئمة الشر والضلال الذين أئذرتهم الناس تعالى من حالهم بقوله جل ثناؤه ﴿وليحملن أثقالهن وأثقالاً مع أثقالهن وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ وقوله: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾.

رحمك اللهم يارب .. نستغفرك اللهم وتوب إليك. ونسألك بأسمائك الحسنى أن تجعلنا ممن قلت فيهم وقولك الحق: ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾.

* * *

□ خطورة الاعوجاج في العلماء □ عليهم وعلى الأمة

الحمد لله الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم .. أحمده سبحانه وأشكره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل له به طريقاً إلى الجنة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنزل عليه ﴿وقل رب زدني علماً﴾. استعاذ بالله من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع ومن دعاء لا يستجاب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين ورثوا علمه وخلفوه في تبليغ دينه وتوجيه أمته وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون، إن الله جلت قدرته وتعالى أسماؤه أمرنا بتعلم العلم والرجوع لأهله عند الحاجة، والأمر أمر إيجاب فيما لا يسع المسلم جهله. قال سبحانه: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، وقال: ﴿.. فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ومدح حملته وأثنى عليهم بما يحمل القلوب الواعية والعقول المفكرة بسلوك منهاج العلماء وتأهيل نفوسها تأهيلاً يكسبها شرف العلماء ويجلها مكانتهم يقول سبحانه وتعالى: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب﴾. ويقول: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ ويقول: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.. ويقول: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ وغير ذلك من الآيات المشيدة بشرفهم وعلو مكانتهم وبيان أثرهم في الأمة. ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾.

ولا غرو أيها الأخوة، فالعلماء أعرف الناس بالله وبشرعه، ومن كان بالله

أعرف كان منه أخوف ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾.

فيا من أكرمكم الله بالعلم الذي يشرف ويعز من يحمله حق حمله وجعلكم به واجهة لدينه وهداة إليه وقادة وسادة في الأمة التي قال فيها سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أذكركم ونفسي بأن هذا المطلب الرفيع والشرف العظيم الذي أنتم أعلم الناس بما يترتب على إكرامه وإعزازة وصيانتة من خير وما يترتب على مخالفتة من شر. وانه أعطي ليكون هادياً لصاحبه ليعبد الله به على بصيرة وهدى من الله لا ليحمله فكراً وكلاماً وجدلاً، لا أثر له في واقع الحياة كمثّل الحمار يحمل أسفاراً.

أذكر وأنذر من خطورة الاعوجاج في العلماء عليهم وعلى الأمة، أذكرهم وأنذرهم بما أنذرننا الله منه في قوله جل شأنه: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاي فَاتَّقُونَ. وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَضُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وقوله: ﴿الَّذِينَ يَلْفُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُفِيَ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

فاتقوا الله علماء المسلمين شيئاً وشباناً وصدقوه، فبتقواكم وصدقكم لمن يعلم ما يقوم بقلوبكم ونصحكم لكتابه ولسنة نبيه ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم وابتعادكم عن التأول لصالحكم أو لصالح غيركم أميراً وأموراً غنياً أو فقيراً تسعدوا وتسعد الأمة وتقاد وتساد بشرع الله الذي يمثله العلماء الذين اختارهم الله لحمله وبيانه وأمر بطاعتهم في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

وإلا أعاذكم الله. فالويل كل الويل والذل كل الذل والهوان كل الهوان لمن انحرف عن شرع الله ولمن اشترى آيات الله ثمناً قليلاً. يقول سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبَهُ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً

فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴿﴾ ويقول: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب. إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون. متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم».

نسألك اللهم أن تتقبل دعاءنا الجاري على ألسنتنا في كل صلاة ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ ونستغفرك ونتوب إليك.

* * *

□ خطورة التسرع في القول بالتحليل والتحريم □ والتسنن والابتداع

الحمد لله واسع الفضل والإحسان. الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صفوة العلماء وخيرة المرسلين والأنبياء صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وورثته في حمل رسالته وتبليغ دعوته وسلم تسليماً كثيراً فاطر السماوات والأرض أنت ولينا في الدنيا والآخرة توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم. إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾.

أما بعد: أيها الأخوة: لقد ذكرتكم في الجمعة الماضية بعظم فضل ومكانة العلماء وأثرهم في الأمة ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ وبخطورة الاعوجاج في العلماء عليهم وعلى الأمة ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾. ذكرتكم بذلك مشيراً إلى ما هو معروف أنهم واجهة شرع الله ومحل قدوة المسلمين وطاعتهم في تطبيق ما أنزل الله. ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ واستشهاده سبحانه بهم على أجل مشهود عليه وهو توحيده الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه دليل على أنهم أرفع طبقات الأمة وأعدلها بعد الرسل.

ولا غرو فالعلماء بفتاواهم إن كانوا مفتين وبقضايهم إن كانوا قضاة وبأوامرهم ونواهيهم إن كانوا ولاة مفترض فيهم أنهم منطلقون من شرع الله مبينون له بما يأتون وما يذرون، أخذوه من مصادره من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مما يفرض عليه أن يكونوا على المستوى المطلوب في الصدق وتحري الحق حتى لا يؤخذ عنهم شرع الله على خلاف ما أنزل الله، أعادنا الله جميعاً أن نكون مطايا

فساد أو نوافذ ضلال. قال عليه الصلاة والسلام: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». رواه مسلم عن أبي هريرة.

وكما أنه مطلوب فيمن يفتي أو يقضي أو يأمر بما هو من شرع الله أن يكون على المستوى المطلوب في الصدق وقول الحق حتى لا يقع تحت طائلة القول على الله وعلى رسوله ﷺ بغير علم، الأمر الذي أندر منه بقول الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقول رسوله: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». فإنه مطلوب منه إذا فعل ذلك أي تحرى وتثبت واقتنع بما هو من شرع الله ألا يكتفم إذا سئل عنه أو دعت الحال لبيانه فيقع تحت طائلة إثم كتمان العلم الذي جاء فيه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ وقوله ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه أجمه الله بلجام من نار» وألا يكون في صدره حرج من إظهاره والصدع به عند الحاجة. يقول سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويقول: ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾.

إذا اتضح الصواب فلا تدعه	فإنك كلما ذقت الصوابا
وجدت له عن اللهوات برداً	كبرد الماء حين صفا وطابا
وليس بحاكم من لم يبالي	أخطأ في الحكومة أم أصابا

وإنه لمن الظواهر الخطرة أن صحوتنا الإسلامية المباركة وتفتح أفكارنا إسلامياً وتوجه كثير من شباب هذه الصحوة إلى العلم الشرعي الذي هو مطلب ذوي النفوس والهمم العالية أنه يواكبه شيء من التسرع في الفتوى وإعطاء الآراء ذات التحليل والتحرير والتسنن والابتداع بدون ما تتطلبه من تروي.

ولقد أسلفت أن العلماء شيئاً وشباناً بأقوالهم وأفعالهم يبينون شرع الله وعلى لغة ابن القيم - رحمه الله - في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين. يوقعون عن الله.

وإنه ليجدر بمن هذا مقامه أن يكون على حال تتلاءم مع ما يمثله حسن السيرة
نقي السريرة متشابه السر والعلن في مدخله ومخرجه وسائر أحواله عدلاً ثباتاً ورعاً
صادقاً مراقباً الله كأنه يراه - رحماك ربنا نعوذ بك اللهم ربنا أن نكون على خلاف
ما يراد منا ويظن بنا من خير.

فيا إخواني في الله .. ويا شباب المسلمين ويا من أكرمتم بهذا المقام الرفيع
خذوه بحقه تحلوا عليين وتنزلوا منازل النبيين ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
أوتوا العلم درجات ..﴾ ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ ولكم
في سلفكم صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا يتدافعون الفتيا ما لم ير أحدهم
تعينها عليه فعند ذلك يبذل جهده في معرفة الحق فيها، لكم في هؤلاء وأتباعهم
بإحسان خير أسوة ولا يضير أحدنا إذا سئل عما لا يعلم أو عما لم يستقر له فيه
رأي بدليله أن يقول: الله أعلم، أو أن يرجع نفسه أو السائل إلى من هو أعلم منه
﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾.

* * *

□ عبدة لأولي الألباب □

«قصة يوسف»

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونثني عليه الخير كله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون: أوصيكم ونفسي بتقوى الله. عباد الله ان خير ما يوعظ ويذكر به كتاب الله الكريم الذي وعظ وذكر به عباده ﴿يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾. وإن أشد مواعظ هذا القرآن وقعاً وأعظمها أثراً في نفوس من اجتباهم الله واختارهم لحمل دعوته من شيب أو شباب ذكور أو إناث قصص أنبياء الله ورسله وأتباعهم بإحسان عليهم جميعاً وعلى نبينا الصلاة والسلام، قصص تخاطب شباب الدعوة إلى الله شباب الصحوة الإسلامية في كل زمان ومكان وتسليهم وترجيهم وتفتح أمامهم مجالات الآمال الواسعة المتفائلة تفاؤل المؤمن بالله حقاً ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ..﴾ ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾.

ومن تلكم القصص قصة نبي الله يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام التي قال تعالى فيها خصوصاً وغيرها عموماً ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ قصة ذلكم الشاب الواعي لدينه الذي نofs وحسد منذ نعومة أظفاره وريعان شبابه ممن يفترض فيهم ولايته ونصرته.

وظلم ذوي القربى أشد مرارة على المرء من وقع الحسام المهند

نوفس وحسد وتؤمر عليه من إخوته ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين. اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين. قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف

وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين ﴿ ويلقونه في البئر ويعافيه الله من الموت بها ويطمئنه مولاه بظهوره عليهم ﴿ وأوحينا إليه لتبأنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴿ ويعرض بعد لاسترقاق رقبته يباع ويشترى نبي ابن نبي، بل ولما قد يكون أشد فتنة من ذلك وهو العيش داخل القصور المبووءة قصور الملوك والمترفين ﴿ وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه ﴿ .

ويتلى بعد ليوقع في عفافه وسلوكه فيعافيه الله من ذلك .. ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت: هيت لك قال: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴿ وقال عنه ربه ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين .. ﴿ ويهدد بعد بالسجن إن لم يفعل ما طلبته منه امرأة العزيز ذات المنصب والجمال فيأبى عليه عفافه وطهره ﴿ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ﴿ ورغم ظهور نزاهته وصدقه بأبى الفجور والطغيان كما هي عادته في كل زمان ومكان إلا أن يتأدى في غيه ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ﴿ وذلكم تغطية للكذب وما ادعي به عليه، ولذا لما طلب للخروج من السجن بعد أن فسر لهم رؤيا الملك رفض حتى تعلن براءته ﴿ وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم. قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه. قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء. قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴿ .

ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه أثناء محنته مهتماً كل الاهتمام بالدعوة إلى الله بترسيخ التوحيد الخالص في النفوس الذي هو وظيفته ووظيفة آبائه من قبل ﴿ واتبعت ملة آباي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴿ . ﴿ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿ .

وبعد هذه المحن الكبرى المتعددة محنة التآمر عليه بالقتل، محنة إلقائه في البئر،

محنة تعرضه للاسترقاق، محنة ابتلائه في عفافه، محنة لبثه في السجن بضع سنين يظهر الله علناً شأنه وأمره. ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين. ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.

وفي ظل هذا العز والتمكين يأتي إليه أولئككم الذين تأمروا عليه من قبل وهم في حالة ضعف مادي ومعنوي يواجهونه بما قصه الله تعالى علينا بقوله سبحانه: ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين. قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون. قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين. قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين. قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾.

وفي هذا الموقف الرهيب موقف عز يوسف وذل إخوته لم ينس نعم الله عليه واستشعار بداية نهاية المطاف، مطاف الدنيا المحدودة ﴿وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم. رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾.

فيا أخوة الإسلام ودعاة الإسلام وشباب الإسلام .. يا من اجتبيتم واصطفيتم لحمل رسالة الإسلام يا من تُضايقون في التزامكم أو دعوتكم من والد أو ولد أو وال أو غير ذلكم .. إن لكم في ثنايا التاريخ أسلاًفاً من رسل الله وأتباعهم بإحسان أعطوا قلوبهم لخالقها، فكانت العقبي لهم خلصوها لله فخلصت أعمالهم له زانوها بربطها بخالقها فزانت في الواقع والذكر والمثوبة والجزاء، فاقندوا بالقوم تلحقوا بهم. يقول سبحانه في آخر قصة نوح عليه السلام في سورة هود: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ ويقول في ختام قصة يوسف: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب. ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾.

□ نهاية طاغية □

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون. وبعده ضل الضالون. سبحانه لا يسأل عما يفعل والثقلان يسألون، أحمده سبحانه وأشكره وأستغفره وأستهديه وأتوب إليه وأتني عليه الخير كله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته وتمسك بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الأخوة المؤمنون اتقوا الله واثقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله. عباد الله. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ويقول: ﴿وَذَكَرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ ويقول: ﴿سَيَذَكَّرُ مِنْ يَخْشَى﴾.

وإني أذكركم وأعظكم بشيء مما قصه الله تبارك وتعالى علينا في كتابه الكريم قصة لا للتسلية والمتاع ولكن للادكار والانتفاع.. قصة ليعظ به سبحانه ويذكر ويحذر به وينذر بل ويرغب ويبشّر، قصة ليثبت به المصلحين ليزدادوا به إيماناً وعبرة وتفاؤلاً. يقول جل وعلا: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرِّسْلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ ويقول: ﴿تَلَوْا عَلَيْهِمْ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

إن طاغية من شرار طواغيت الإنس من ملوك مصر يقال له: فرعون، طغى في الأرض وبغى. طغى في الأرض بتجاوزه الحدود التي وضعها له خالقه طغى بإنكاره الله سبحانه وتعالى ظاهراً. ودعواه ربوبية وألوهية شعبه ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي...﴾ الآيات. وبغى على بني إسرائيل الذي هم أفضل عالمي زمانهم يسومهم سوء العذاب ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وكان- عليه لعائن الله- في غاية من الحذر، فلقد أخبرته بطارقة أقباطه بأن الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما مر في مهاجره بمصر وأراد فرعونها في وقته أن يتسلط على زوجه سارة فنجأها الله منه وصابها، أخبر إبراهيم أنه سيولد

من ذريته غلام تكون نهاية فراعنة مصر على يديه. وأصل القصة في الصحيح أخذ فرعون اللعين في تقتيل من يولد ذكراً، وبعد فترة قال له أقباطه: الغلمان يقتلون والشيوخ سيموتون والنساء لا طاقة لهن بأعمال الرجال، وكان بنو إسرائيل الذين أوقع بهم فرعون هذا الأمر مسخرين في خدمة الأقباط، فأخذ يقتل ولدان سنة ويبقي على ولدان سنة، وابتلاء وامتحاناً وبياناً بأنه لا يرد حذر من قدر يولد موسى في السنة التي يقتل فيها الغلمان، وتتولاه عناية الله سبحانه وتعالى القائل: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ فيفتح له تعالى قلب زوجة فرعون قبل أن تفتح له أبواب الحصون والقصور ويترى ذلكم الرضيع الخوف منه في حجر فرعون ويترعزع ويخرج من ذلك الجو العكر بعد بلوغه الأشد بمحنة ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملائمة يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾ ويؤدي بعد ما قد سمي بسنوات الخدمة راعي غنم مقابل مهر زوجته، وبعد بلوغه الأشد واكتمال تربيته وتهيته لحمل الرسالة أوحى الله إليه واستجاب له دعوته في الوحي إلى أخيه هارون ليشد به عضده ﴿فأثريا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين. أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ فقابلهما اللعين بإنكار الرب سبحانه وتعالى ﴿قال فرعون وما رب العالمين قال﴾ أي موسى ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾. وتستمر المناظرة ويقم موسى عليه الصلاة والسلام الأدلة والبراهين الساطعة المؤيدة بالمعجزات الباهرة التي عقلها وقبلها سحرة فرعون ﴿فألقي السحرة ساجدين. قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ ويتوعددهم فرعون ويهددهم بقوله: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين﴾ فتجاوبه تلك النفوس التي تحولت في آن واحد للحظة قصيرة من كفر بالله بواح إلى إيمان به صادق معلن متحد أشد طواغيت الأرض ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض. إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾. ويتواصل البلاغ من موسى وأخيه وتستمر محاربة فرعون وملاحقته لهما ولمن آمن بهما إلى أن انتهت المعركة بما قصه الله علينا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون﴾ إلى قوله ﴿فأتبعوهم مشرقين .. فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون. قال كلا إن معي ربي سيهدين . فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان

كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين .
ثم أغرقنا الآخرين . إن في ذلك لآية .. ﴿ وينهى الله بذلك دور أولئك المكذبين
ويعلي شأن المؤمنين ويتحقق تأويل وعد الله سبحانه ﴾ ونريد أن نمن على الذين
استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ونري
فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴿ .

فاتقوا الله يا أولى الأبصار .. يا أولى النهي يا أولى الأبواب .. اتقوا الله يا
شباب الإسلام ودعائه .. يا من شرح الله صدوركم للإسلام وشرفكم بالانضمام
في جنود دعوته برضاكم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، لا تستوحشوا مما
حولكم فأنيسكم الله . ولا تستطيلوا الطريق أمامكم فهو طريق مهاجر إلى الله ولا
تستعظموا بلاء مهما عظم، فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً .

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث
لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ .

* * *

□ نجاة داعية □

أما بعد: أيها الأخوة في الله. أيها الشباب المتطلعون للخير والباحثون عن شخصيات تتوسمون خطاها وتقتدون بها في ظل اقتدائكم بمحمد ﷺ. أذكركم امتداداً لما ذكرت به في الجمعيتين السابقتين بقصة نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون وقومه، وقصة نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام وما انتهت إليه القصتان من إغراق فرعون وقومه ونجاة موسى وقومه، وظهور يوسف على خصومه والتمكين له في الأرض، وما سبق التذكير ويلحقه في كل لحظة من لحظات حياتنا من ذكريات نبينا محمد ﷺ وما كان من أمره وخاصة تأمر قومه عليه ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك ..﴾ الآية وانتهاء معركته معهم بقول الله: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾. أذكركم اليوم في إطار عموم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ أذكركم بقصة خليل الله ومجتباه أبي الأنبياء رسول الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي قال الله فيه لرسوله محمد ﷺ: ﴿قل إنني هدائي ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾. وقال: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ وقال: ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ..﴾ هذا النبي العظيم الذي فطره الله على التوحيد الخالص والعبادة الحقة لله وحده لا شريك له وأكرمه بحمل ذلك ودعوة قومه إليه، فقام بما كلف به خير قيام ووفاه خير توفية قال تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ وقال: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي واجه أباه وقومه بالتوحيد تلکم المواجهة والمناظرة الواضحة التي لا تهاون فيها ولا لف ولا دوران عند عرضها بل ولا ضعف ولا خور ولا استكانة، المواجهة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى مفصلة في سورة الأنعام وسورة الأنبياء وسورة الشعراء وسورة الصفات التي قبولت من تلکم العقول المتحجرة، بل والأهواء والمصالح العفنة التي لا تزال تعمل عملها في كل زمان ومكان بالمعاندة والمكابرة ابتلاء وامتحاناً لرسول الله وأتباعهم بإحسان، ولم يقف بها الأمر عند المعاندة والمكابرة بل تجاوزت الحدود المتعارف عليها إنسانياً.

وأججت النار لإحراق إبراهيم وقيدت خليل الله ووضعت في منجنيق ورمته فيها ظناً أنها ستكون القاضية، وخليل الله يهتف بقوله: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، فماذا كان ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ وينجو من هذه المؤامرات ويهاجر إلى ربه تاركاً أهله وبلده وقد آمن له لوط، ويعترضه عدة بلايا وامتحانات في مهاجره، يخرج الله منها مخرج صدق، وأعظمها ابتلاء الله له بذبح ولده بعد أن بلغ معه السعي أي أخذ في نفعه والتعاون معه. ليكمل الله على يده ما أراده سبحانه وتعالى من بناء قبلة المسلمين، وجعل خليله إبراهيم قدوة وإماماً يقتدى ويؤتم به وتتبع ملته. ملته التي تركز على أمر مهم في حياة الموحدين ودعاة الإسلام وهو البراءة من كل جبت وطاغوت. البراءة من كل ما عبّد من دون الله، والكفر بالجبت والطاغوت من الكفر بما عبد من دون الله. قال تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءوا منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ وقال: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾.

فاتقوا الله أيها الأخوة المؤمنون وتذكروا واتعظوا وخذوا من هذه الأمور ومن هذه الأمثلة والنماذج قدوة تلحقكم بهم في الائتمام بكم وتبعوا بها لمثل ما وعدوا به من جزاء لدى من يقول: ﴿والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾.

وسبحانك اللهم وبحمدك .. ونستغفرك ونتوب إليك.

* * *

□ تزكية النفوس □

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت والمجازي لها بما عملت أحمدته وأشكره وأثني عليه الخير كله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنزل عليه ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد وسلم تسليماً كثيراً.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

أما بعد: أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله وبما أوصانا الله به في قوله جل شأنه: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ وبما أوصى إبراهيم بنبيه ويعقوب ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

أيها الإخوة المؤمنون الذين أكرمهم الله بالإيمان وأهلَّكم به سبحانه لخيري الدنيا والآخرة أذكركم أذكركم ذا العقل السوي والقلب التقى من الملتزمين المتطلعين إلى تحقيق تأويل وعد الله فيهم في قوله جل شأنه: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ وقوله: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ بأن يسعى جاداً في طلب تحقيق ذلك في نفسه التي هي أغلى وأعز شيء لديه نفسه التي كثيراً ما يبدل في طلب راحتها وأمنها وصحتها واستقرارها باطنياً وظاهراً جل أو كل إمكانياته فيما لو استدعى الأمر ذلك، ولن يتحقق لها هذا الأمر إلا بتزكيته التزكية المطلوبة في كتاب الله لا المنفية المذمومة فيه التزكية التي هي إحدى مهام الرسالة الكبرى يقول تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾ وأقسم عليها تعالى وتقدس وهو سبحانه عظيم عليم لا يقسم إلا على أمر ذي بال وشأن، أقسم عليها بأقسام متتالية أحد

عشر قسماً مؤكدة بمؤكد من المؤكدات البلاغية يقول سبحانه: ﴿والشمس وضحاها. والقمر إذا تلاها. والنهار إذا جلاها. والليل إذا يغشاها. والسما وما بناها. والأرض وما طحاها. ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها﴾.

وتركية النفوس المطلوبة التي يحصل بها الفلاح والظفر والفوز بالمطلوب، يكون بتصحيح معتقدها وتحقيقها وتصفيتها لما خلقت له من توحيد الله سبحانه وتعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي يوحدون.

وحماية ذلك باطنياً وظاهراً من أن يتطرق إليه ما يناقض أصله من ارتكاب مكفرات أو كماله المطلوب من ارتكاب معاصي ومحدثات تحقيقاً لمقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وإلزامها مع ذلك بشرع الله جملة وتفصيلاً في نطاق قوله ﷺ: «ما نهيكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» تحقيقاً لمقتضى شهادة أن محمداً رسول الله. قال ابن كثير رحمه الله في قوله سبحانه: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

هذا أيها الأخوة ما تطيب وتطهر وتزكو به النفوس وتحيا به الحياة الطيبة التي تطعم بها حلاوة الإيمان ولذة الطاعات واستلذاذها، والأنس بها، ولا عجب. أيها الأخوة فالنفوس إذا طعمت حلاوة الإيمان وأشربت حبه من قلوبها نعمت وأنست والتذت بما هي فيه من طاعة وأنت بالعجب العجيب من معطيات طيبة وآثار حسنة لجهود طاعتها ... وتاريخ أسلافنا حافل بما يشهد بهذا، فلکم سمعنا وقرأنا عن عالم أنسه ومتعته ولذته في رؤية قطوف ثمرات علمه، ومجاهد يعطي الأعداء نحره ابتغاء نصر دين الله أو لحوق روحه بأرواح من يستبشرون به من الشهداء ممن قال الله فيهم: ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ بل وعابد مستغرق في أنسه بربه ومناجاته إياه آناء الليل وآناء النهار.

الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار . يقول بعضهم ممن تذوق هذا الأمر : إنه ليمر على القلب ساعة إن كان أهل الجنة في

مثل هذه الحال أي من نعيم القلب أنهم في عيش طيب. ونقل ابن القيم، عن شيخه ابن تيمية - رحمهما الله - قال لما ورد عليه أمر سجنه بقلعة دمشق: ما يصنع بي أعدائي، جنتي وبستاني في صدري، حسي خلوة ونفسي سياحة وقتلي شهادة.

ومصدق تحقق هذه المعاني الطيبة في النفوس، نفوس علماء صادقين ومجاهدين مخلصين وعباد متبعين ودعاة وجنود لله متفانين في قول رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان .. أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ... ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله ... ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار» رواه البخاري. وقوله «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً» رواه مسلم.

فاتقوا الله عباد الله واعملوا على تحقق هذه المعاني في نفوسكم بلزوم طاعة الله واجتناب معاصيه. وتذكروا أن الضد بالضد فكما أن الطاعات ترفع النفوس وتطهرها وتزكيا توهلها للفوز والظفر بالمطلوب، فإن المعاصي تدنس النفوس وتحملها وتدسها بل وتقلقها وتوحشها وتفقد ما تحتاجه في حياتها من أمن نفس وراحة بال وهناء قلوب واستقرارها بل وتعرضها لشديد الحساب وأليم العقاب يقول سبحانه وتعالى: ﴿قد أفلح من زكاه. وقد خاف من دساها﴾ ويقول: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ ويقول: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾ ويقول: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾.

* * *

□ الإحسان وأثره في الدعوة إلى الله □

الحمد لله رب العالمين. الحمد لله ولي المؤمنين وناصر المتقين والمحسنين. أحمده سبحانه وأشكره وأثني عليه الخير كله. وأسأله بأسمائه الحسنى أن يوفقنا للقيام في عبادته مقام الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأن يجعلنا محسنين إلى عباده مسلمين وجوهنا إليه ومن ذريتنا أمة مسلمة له متحققاً فيها تأويل قوله سبحانه: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله أكرم المحسنين وأجل وأكمل خلق الله أجمعين صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وعلى كل مسلم محسن إلى أمته وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون: اتقوا الله واعلموا وتذكروا أن دين الإسلام الذي أكرمنا الله به وأتم به نعمته علينا ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ إنه دين إحسان وإكرام وتكاتف وترابط وتعاون على البر والتقوى بل وتجاوز وتسامح ما لم تنتهك حرمت الله. دين أمر فيه من أنزله خاتمة لما جاءت به أنبيأؤه من قبل بالإحسان في غير ما آية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. يقول سبحانه: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ ويقول: ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ ويقول: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام: ﴿إن الله كتب الإحسان على كل شيء...﴾ الحديث رواه مسلم. ويقول: ﴿في كل كبد رطبة أجر﴾ رواه مسلم.

ورغب تعالى في ذلك وأبان آثاره وجزاءه، وعظم مردوده على أهله في الآجل والعاجل لتسارع النفوس الخيرة إليه وتتأسق في طلب ما وعد الله أهله في الآخرة من درجات عالية ولذة دائمة ونعيم سرمدي. وما وعدهم به في الدنيا من أنه سيكلؤهم ويحفظهم وينصرهم على من ناوأهم أو خالفهم. قال تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ وقال: ﴿إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم

كانوا قبل ذلك محسنين... ﴿ الآية. وقال: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ وقال: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين. ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ وقال: ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.

والإحسان الذي أمر الله به جماعه ترك المنهيات خوف عقاب الله وفعل ما يستطيع من المأمورات رجاء ثواب الله، خوف ورجاء من يقوم في عبادته مقام الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك - ومن الإحسان الذي أمر الله به إحسان المسلم إلى نفسه بتزكية النفس بطاعة الله وتصفية وتنقية عقيدتها من شوائب الشرك والبدع والمحدثات بل وحفظها وحمايتها مما قد يعرضها لسخط الله وأليم عقابه في الأخرى ولما يسبق ذلك من ذل وهوان في الدنيا قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكاه. وقد خاب من دساها﴾ وقال: ﴿ومن بين الله فما له من مكرم﴾ وخير ما تكرم النفس به بجانب تركيتها بطاعة الله وتصفية وتنقية عقيدتها من شوائب الشرك والبدع محاولة إغنائها عن الناس، ومن الإحسان الذي أمر الله به الإحسان إلى عباد الله كافة ولا سيما ذوي الضعف والفاقة والمسكنة والحاجة واليتم من المسلمين وفي مقدمة ذلك الإحسان إلى الوالدين وذوي القرى. قال جل شأنه: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ وقال: ﴿وآت ذا القرى حقه والمسكين...﴾ الآية. ومن الإحسان الإحسان إلى كل ذي كبد رطبة من حيوان وطيور وحشرات ونحو ذلك، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقيتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «بيننا كلب يطيف بركبه قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت خفها فاستقت له به فسقته إياه فغفر لها به».

وأعظم وأشمل أنواع الإحسان المطلوبة شرعاً بل وأعظمها أثراً وأكثرها نفعاً إحسان الولاة والرؤساء والآباء ونحوهم إلى من ولاهم الله عليهم بسياساتهم بكتاب الله

وسنة رسوله فبذلك مع البعد عن كل ما فيه حرج وعنت وإيغار للصدور يتحقق
الخير والترابط والثناء والتحاب والولاء وقديماً قيل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإحسان إنساناً

فاتقوا الله عباد الله وأحسنوا يحسن إليكم .. أحسنوا في نفوسكم وفي أمتكم
وفي من تحت أيديكم وفيما ائتمنتم فيه إحساناً متوجهاً به إلى الله سبحانه ومتبعاً
فيه رسول الله ﷺ راتبعداً فيه وبه عما يشويب أو يبطله من المن والأذى أو السمعة
والرياء يتحقق لكم وعد صادق الوعد في قوله سبحانه: ﴿ولمن خاف مقام ربه
جنتان﴾.

* * *

□ أثر الإنفاق ابتغاء وجه الله □

الحمد لله واسع الفضل والجود والكرم والإحسان. البر الرحيم اللطيف الغفور المنان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ... وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكرم الناس محتداً وأرفعهم قدراً وأندهم يداً وأوسعهم براً صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يعدون ما أنفقوه خيراً وأبقى مما ادخروه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد ... أيها الأخوة المؤمنون .. لقد جاءت نصوص القرآن والسنة آمرة بالإنفاق في سبيل الله، سبيله الخاصة والعامة آمرة بذلك مرغبة فيه. مبينة آثار الإنفاق والتصدق ابتغاء وجه الله بما يدعو النفوس الخيرة ذات الإيمان القوي بوعده الله والتصديق الجازم بجزائه تتسارع إلى ذلك وتتسابق وتتنافس. فيه تأولاً لقول الله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يقول الله سبحانه وتعالى الذي بيده الخفض والرفع والإعطاء والمن: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾ ويقول: ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ. وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظلمون﴾ ويقول رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها». متفق عليه ... ويقول: «ما نقص مال من صدقة ...» الحديث رواه مسلم. ويقول: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً. ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً» ... متفق عليه. ويقول: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب. فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» متفق عليه. ويقول: «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز. ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعدها إلا أدخله الله الجنة» رواه البخاري.

فاتقوا الله أيها المؤمنون . وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها

السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين.

اتقوا الله يا أهل الأموال بالمسارعة والمسابقة بالإنفاق ابتغاء وجه الله قبل أن
تزول عنكم الأموال وتزولوا أنتم عنها فإنما هي عوان وأمانات عندكم استودعتم إياها
واستخلفتم فيها ابتلاء وامتحاناً لينظر كيف تعملون.

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع
وما المرء إلا كالشهاب وضوؤه يحول رماداً بعد إذ هو ساطع

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾. ويقول
رسول الله ﷺ: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله» قالوا: يا رسول الله ما منا
أحد إلا ماله أحب إليه قال: «فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر» رواه البخاري .
ويقول: «يقول العبد: مالي مالي وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس
فأبلى، أو أعطي فافقتي، ما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس» رواه مسلم.

وليُعلم أيها الأخوة وليتذكَّر أنه كلما اشتدت الحال للصدقة أو تعلقت بما ينفق
حاجة المتصدق أكثر من غيره فآثر الإنفاق أن أجره يعظم وجزاءه يضاعف. قال
سبحانه: ﴿فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فك رقبة أو إطعام في يوم ذي
مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة﴾.

وقال: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾، وسئل رسول الله ﷺ أي
الصدقة أفضل قال: «جهد المقل. وابدأ بمن تعول» رواه أبو داود وابن خزيمة في
صحيحه. وروي البخاري ومسلم - رحمهما الله - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً قال:
«أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر. وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا
بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان». ويعلم أيضاً ويتذكر
أن الصدقة كلما كانت سراً كانت أكثر وأعظم أجراً ما لم تدع مصلحة لاعلانها
كقصد الاقتداء به فيها إذا كان محل قدوة.

يقول عليه الصلاة والسلام: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»
منها رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. ويقول جل ثناؤه:

﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي. وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر
عنكم من سيئاتكم. والله بما تعملون خبير﴾.

وسبحانك اللهم وبحمدك .. نستغفرك اللهم ونتوب إليك.

* * *

□ توقي خطر الشح والبخل □

الحمد لله واسع الفضل والإحسان. ذي الجود والكرم والامتنان. أحمده سبحانه لا أحصي ثناء عليه. وأستغفره وأستهديه وأتوب إليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ألم يجدك يتيماً فأوى. ووجدك ضالاً فهدى. ووجدك عائلاً فأغنى. فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر. وأما بنعمة ربك فحدث﴾. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كان من دعائه: اللهم إني أعوذ بك من البخل والكبسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة اخيا والمات. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون. إن دين الإسلام الذي أكرمنا الله به ونحمده ونشكره أن جعلنا من أهله، وأسأله أن يزيدنا فيه رغبة ومحبة قد نهى عن سفاسف الأمور وسواقط الأخلاق ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ وهناك خصلة ذميمة وخلة شنيعة، طهر الله منها أنبياءه ووقى شر تأصلها في النفوس أوليائه. وجاءت الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث النبوية الصحيحة بذمها والتحذير منها وبيان مدى أثرها الشنيع وخطرها الفظيع على الأفراد والمجتمعات ألا وهي شح النفوس وبخلها وهلعها وطمعها وتركيزها في جل تحركاتها على الجمع دون الإنفاق، والأخذ دون العطاء، والخروج بالأموال عما أعطيت له من جعلها وسيلة يتقي الله فيها ويتقرب إليه بها براً وإحساناً وإنفاقاً في سبيله وجبراً ومواساة لعباده إلى جعلها هدفاً وغاية ووسيلة لمحاربة الله ومحاربة دينه بها جيباً من غير حل وإنفاقاً في معصية وتعاملاً بما حرم، لا حول ولا قوة إلا بالله. يقول تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا لهم جهنم يصلوها مذموماً مدحوراً..﴾ الآية. ويقول: ﴿ولا تحسبن الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة..﴾ الآية. ويقول: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ ويقول: ﴿وممنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كان يكذبون﴾ ويقول رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم

القيامة، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالغ» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون. فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بحيل». قال المنذري في الترغيب: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين أحدهما جيد.

فاتقوا الله أيها الأخوة - وابتعدوا عن هذه الأخلاق والنزعات الدنيئة التي تدني من الرذائل وتبعد عن الفضائل، محبة إلى الشيطان مبغضة من الرحمن ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾ اتقوا الله بمجانبتها والبعد عنها بالتحلي بالجود والكرم وبذل ما تدعو حاجة الإسلام والمسلمين إليه مالا أو جهداً، نفساً أو نفيساً.

اتقوا الله وتحلوا بهذه الأخلاق التي هي من أسمى وأرفع وجل الأخلاق التي تعلق بروح المسلم ومقامه ومنزلته في دنياه وأخراه. اتقوا الله بالتحلي بها فهي أخلاق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلقد كان خيرتهم وصفوتهم وخاتمهم محمد ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، فلقد كان يؤتي بالذهب والفضة والنعم فيوزعها في يومه، ولقد كان لعمله هذا الأثر العظيم في دخول الناس في الإسلام، فقد روى الإمام مسلم رحمه الله عن أنس رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه. ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها، ولقد خرج أبو بكر رضي الله عنه من جميع ماله لله، وخرج عمر من نصف ماله ولما نزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قال أبو طلحة رضي الله عنه: ... إن أحب أموالي إليّ بيرحاء وإني قد جعلتها لله، فضعها يا رسول الله كيف شئت فقال ﷺ: «بخ بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح». وجاءت غير

من الشام بتجارة لعثمان رضي الله عنه في حين حاجة، فطفق التجار يستامونها فكلما دفعوا إليه شيئاً قال: أعطيت أكثر من ذلك يشير إلى قول الله سبحانه: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ وجعلها لله - رضي الله عنه - قال ابن القيم رحمه الله: جهز عثمان في غزوة تبوك ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأكتابها وعدتها وألف دينار عيناً.

أيها الأخوة: انظروا ماذا توعد وهدد به البخلاء ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ وماذا وعد به الأتقياء الأسخياء من رفعة وعلو منزلة ومضاعفة أجر، وأسلكوا أقوم الطريقين وأنجى السيلين، فأيامكم معدودة وآجالكم محدودة وأنتم اليوم أحوج ما تكونون إلى ما يترتب على السخاء من خلف وأجر في الدنيا والآخرة.

* * *

□ النكاح وآثاره على الأفراد والجماعات □ في المحيا والممات

الحمد لله الذي خلقنا من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق فسوى وقدر فهدى. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله وصفوته من خلقه. اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، واحشرنا اللهم معهم بمنك وكرمك يارب العالمين.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون .. أيها الشباب الذين ارتضيتم ما رضيه الله لكم القائل ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ تذكروا أن من مطالب هذا الدين وآياته ومحاسنة- وكله محاسن- مشروعية التزوج وفعله استجابة لأمر الله وطلباً لما أودع الله فيه من الأسرار والحكم الظاهرة والباطنة مما تشوق له نفوس ذوي القلوب الواعية والهمم والمطالب العالية، مصالح وحكم ونعم لا تحصى ذات أثر عظيم على المسلم في الدنيا والآخرة، ظاهر منها: ترابط الأسر وتعاونها وتساكن النفوس وتراحمها، وتلاقيها تلاقي مودة ورحمة، بل وتكثير النسل وبقاء الذكر واستمرار الأجر. يقول سبحانه: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ ويقول: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يفتكرون﴾ ويقول عن عباده المؤمنين ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾ ويقول ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» رواه مسلم. ويقول: «تزوجوا الولود الودود - فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة». قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في بلوغ المرام: رواه أحمد وصححه ابن حبان وله شاهد عند أبي داود والنسائي وابن حبان أيضاً من حديث معقل بن يسار. ويقول: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد يدعو له» رواه مسلم. وكان سنة رسل الله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً

وذرية ﴿﴾ وقال ﷺ للثلاثة الذين قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أنتم القوم الذي قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» رواه البخاري ومسلم، وقال ابن عباس رضي الله عنه: «تزوجوا، فإن خيار هذه الأمة أكثرهم نساء» رواه البخاري..

وإن الله العالم بأسرار هذا التشريع وعظم مردوده على المتزوجين في الحيا وبعد الممات أمر عباده به. والأصل في الأوامر الإيجاب - قال سبحانه: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع..﴾ الآية وقال: ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «يا معشر الشباب من استطاع منك الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» رواه البخاري. ولثلا يتقاعس عنه بحجة النقص في المال وعد سبحانه المتزوجين بقوله جل شأنه: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ والأيامى جمع أيم يقال: رجل أيم، أي: لا زوجة له. وامرأة أيم، أي: لا زوج لها. وقال رسوله ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف» رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي.

ولقد حث رسول الله ﷺ على التيسير والتسهيل في أمر الزواج وإبعاد ما قد يكون عائقاً دونه بمثل ما أثر عنه من قول: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» ومدلول صدر هذا الحديث ملتبس مع قول الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وقوله: «التمس ولو خائفاً من حديد» وقوله: «زوجتكها بما معك من القرآن» وقوله لفاطمة بنت قيس القرشية لما خطبها كل من معاوية بن أبي سفيان، وأبو الجهم القرشيان، وأسامة بن زيد، مولى ابن مولى، وشاورت رسول الله ﷺ فيهم قال: «أنكحي أسامة». وأعتق صفية مولاته وتزوجها، وزوجه الله تعالى مطلقة مولاه زيد بعده من فوق سبع سموات، قال تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً﴾.

فيا أمة الإسلام .. يا شباب وشابات وأيامي المسلمين .. اقبلوا مكرمة الله وفضله بالإقبال على النكاح بصدق وعزيمة وتغاض وتجاوز عن بعض ما في نفوسكم من مواصفات لما يناسبكم، فإن الرجال والنساء لا يخلو أي منهم من نقص لكن الذي يظفر به ويعول ويحرص عليه ذو الدين من الرجال وذوات الدين من النساء. قال عليه الصلاة والسلام: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك» رواه البخاري ومسلم.

وقال: «لا يفرك مؤمن مؤمنة - يغيض - إن كره منها خلقاً رضي آخر». وقال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾. فاتقوا الله يا أيامي المسلمين في نفوسكم في أعز شيء لديكم دينكم المغزوم بمرض الشهوة، فإن المجتمع أمامكم داخل البيوت وخارجها يعج بأنواع الفتن العظمى التي أعظمها بعد فتنة الشبهة فتنة الشهوة. قال تعالى: ﴿ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ .. وقال عليه الصلاة والسلام: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» متفق عليه.

اتقوا الله يا ولاة أمور المسلمين ويا ولاة أمور الفتيان والفتيات والايامى، اتقوا الله فيهم بالدفع بهم إلى ما يحصن الفروج ويصون العفاف ويقي الفتن بالدفع بهم إلى الزواج. والتعاون معهم فيه حسب الإمكان، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، ثبتنا الله جميعاً عند السؤال، وأخرجنا منه مخرج صدق، وأدخلنا مدخل الصدق الذي وعد به في قوله وقوله الحق ووعدته الصدق: ﴿إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾.

وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

□ مسؤولية الوالدين تجاه الأولاد □

الحمد لله الذي خلقنا في أحسن تقويم. وربانا على موائد برّه وخيره العميم .. أحمده وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وكل من استمع القول واتبع أحسنه.

أما بعد: فيقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. روى ابن جرير وابن المنذر أن ابن عباس رضي الله عنه قال في معنى الآية: اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ومروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار. وروي أن علياً رضي الله عنه قال في معناها: «علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبواهم».

أيها الأخوة المؤمنون: إن من شب على شيء شاب عليه غالباً فمن نشأ أولاده على الأخلاق والمثل الكريمة في الصغر سر وانتفع بهم في الكبر، وإن نعمة الأولاد نعمة كبرى ومنّتها من الله منة عظيمة، أنعم الله بها وامتّن بها على من أعطاهم إياها ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا..﴾ الآية ﴿وجعلنا له مالا ممدوداً. وبنين شهوداً﴾ وإن العاقل الذي أوتي هذه النعمة ليدرك أن استقرار هذه النعمة واستمرار أثرها على الإنسان في حياته ومماته بتوجيهها التوجيه الذي أمر الله به في قوله جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ وقوله سبحانه: ﴿وأندر عشيرتك الأقربين...﴾ الآية.

والبعد كل البعد عن التساهل والتفريط في شأنها فإنها بجانب كونها نعمة ابتلاء واختبار للوالدين، يقول تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ ويقول: ﴿واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾.

ولقد كان أسلافنا الصالحون الذين أنعم الله عليهم بهذه النعمة وأدركوا ما وراء شكرها والقيام بحققها من تتابع أجر وبقاء ذكر مهتمين كل الاهتمام بتوجيه أولادهم

وتنشئهم وتربيتهم على الإسلام الذي لا يضل ولا يشقى من تمسك به ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ .. ويقول عن امرأة عمران: ﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾ أي خالصاً مفرغاً لطاعتك ولخدمة مسجدك الأقصى ﴿فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾ ويقول عن عباده المضافين إليه إضافة تشريف وتكريم: ﴿يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾.

أيها الأخوة المؤمنون: إن أولادنا الذين هم فلذات أكبادنا وزرع نفوسنا وأنس وبهجة قلوبنا بجانب كون وجودهم نعمة إذا صلحوا ونقمة إذا طلحوا ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ إنهم أمانة ومسئولية قلدت بأعناق الوالدين وربطت بدمهم .. قلدت تقليد إيجاب وربطت ربط مساءلة ومناقشة وحساب يتبعه ثواب أو عقاب يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ..» فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته .. ويقول: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» رواه الشيخان عن أبي هريرة.

ولقد أعطى لنا من سلف ذكركم ومن شاركهم عبر حقب التاريخ أمثلة ونماذج رائعة في هذا المضمار تربية وتوجيه الأولاد توجيهاً يربطهم بالله، وبشرعه، يؤهلهم للحقوق بصالح آبائهم أو شفاعتهم في آبائهم ليلحقوا بهم في الجزاء ﴿والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ ... ومع الأسف إن كثيراً من الناس ممن أعطوا أولاداً أهملوا هذا الجانب الهام في حياتهم وحياة أولادهم إهمال المستبدل الأدنى بالذي هو خير. فمنهم من يمسي ويصبح وديناه همه وشغله الشاغل لا يكاد يلتفت إلى أولاده ولا من تحت يده ممن استرعاه إلا بقدر ما يلتفت به صاحب الحيوانات أو الطيور، يضع لها كلاً وماء ولم يدر المسكين أنه بعمله هذا كتارك لباب ذات اللباب النافع وجامع قشوره، وأثر من هذا وأقبح من يأخذ بهم في تربيته لهم إلى ما يخالف فطرة الله التي فطر الناس عليها بل ومقتضى

ما أمر به تعالى نحوهم ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ فيأخذ بهم مأخذ العصيان أو العلمنة أي لا دين والعباذ بالله سواء فعل ذلك هو مباشرة أو أسلم من لا حصانة لديه منهم في عقيدة أو سلوك إلى مربي أو مدرسة أو جامعة علم فيها هذا التوجيه. رحماك يا رب نسألك أن تجعلنا ممن قلت فيهم: ﴿قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾.

فيا أخوة الإسلام يا ذوي الآمال والمطالب العالية يا من تأملون أن تلحقكم دعوة ابن صالح في ظلمة ليل في خشوع نفس وضراعة قلب، دعوة تخرج في مثل هذا الموطن أو على صعيد طاهر في أمسية مباركة أو غير ذلك من أيام الله ولياليه الفاضلة، تخرج تشق عنان السماء وترفع أمامها الحجب فتكون لكم خير شفيع، ولن تكون كذلك إلا إذا كان صاحبها مربي على فطرة الله، على الإسلام، على المثل والأخلاق الكريمة، على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ... يقول عليه الصلاة والسلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية. أو علم ينتفع به. أو ولد صالح يدعو له».

اتقوا الله في فلذات أكبادكم في مصدر من مصادر تتابع أعمالكم وبقاء نسلكم وأثركم النافع الشافع .. اتقوا الله بالتركيز في تربيتهم على إلحاقهم بمجالس وحلقات وأنشطة العلم الروحي فأبوابه والحمد لله مفتحة والقرص مواتية فشبابه في أفنية المساجد وحلق الذكر وأسقفه الخيام في العطل وغيرها يتلقفون من يريد الانضمام إليهم تلقف الأخ لأخيه والمحب لحبيبه والداعية المخلص لدعوته. فاعملوا على معانقة أولادكم ومصاحبهم لهؤلاء، وأوصوهم دوماً بما أوصى به لقمان ابنه ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾.

* * *

□ تعلق القلوب طبعياً وشرعياً ببيت الله الحرام □

الحمد لله ...

أيها الأخوة المؤمنون .. لقد جاءت نصوص الشريعة الغراء قرآناً وسنة بدالاتها الواضحة ومقتضياتها وبياناتها الشافية الكافية والدالة على ارتباط وتعلق قلوب أفراد المسلمين ببيت الله الحرام ارتباطاً طبعياً وتعلقاً شرعياً .. قال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ وقال سبحانه: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه فيما رواه عنه ابن جرير وغيره: لا يقضون منه وطراً يأتونه ثم يرجعون إلى أهلهم ثم يعودون إليه، وأنشد القرطبي في هذا المعنى قول الشاعر:

جعل البيت مثاباً لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر
وأنشد غيره في الكعبة:

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها حين يعود إليها الطرف مشتاقا
وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم رحمه الله: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً وهو يأزر بين المسجدين» وفسر يأزر بمعنى ينضم ويتجمع، وفي معناه العام ما يفيد تعلق قلوب المسلمين بمشاعرهم.

وكما دلت النصوص على تعلق وارتباط قلوب المسلمين ببيت الله الحرام فقد رغبت في متابعة حجه وأبانت آثار ذلك على أهله في الدنيا والآخرة، أبانته بما يدفع النفوس المسلمة إلى المسارعة والمبادرة في طلب ذلك الفضل، بل ويهون عليها أنواع المتاعب والمشاق وأنواع الإعطاء والإنفاق. قال تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً﴾ وقال: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم﴾ وروى البخاري ومسلم - رحمهما الله - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال:

«إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا قال: «حج مبرور» وقال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «شدوا الرحال في الحج فإنه أحد الجهادين» رواه البخاري. وروى أحمد وغيره بإسناد صحيح أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ قال: «نعم عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة». وروى أحمد عن زيد أن رسول الله ﷺ قال: «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف» وروى الترمذي وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينقيان الغفر والذنوب كما ينقي الكبر خبث الحديد».

وبهذا وغيره أيها الأخوة يتذكر المؤمن المنصف أن عبادة الله الحج عبادة عظيمة تحلق فيها روح المؤمن وافدة على الله بين جناحين عظيمين قوين: بين العبادة البدنية التي يتجلى فيها بذل الجهد البدني ابتغاء مرضاة الله. «أضح لمن أحرمت له». رواه البيهقي بسند صحيح. نيل الأوطار ج ٣ ص ٨٦، والعبادة المالية التي يتجلى فيها بذل الجهد المالي إنفاقاً في سبيل الله. النفقة في الحجة كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف نعم، يتذكر المؤمن ويتنبه الغافل ويتعلم الجاهل أن ما بدأ يظهر على أفواه بعض المتعلمين أو المتعلمين الذين لم يدركوا حكم وأسرار الاستسلام الصادق في العبادات وأثر ذلك على أهله وعلى الأمة التي يعيشون في أوساطها أن القول بأفضلية القعود عن حج النافلة من أجل التخفيف مصادمة لفطر المسلمين وقلوبهم المتعلقة ببيت الله الحرام ومخالفة لنداء خليل الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ تشريعاً ثابتاً قائماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. قال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَفَوَّنَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً﴾. أي لا تحلوا لأنفسكم رد قاصدي البيت الحرام. وقال تعالى عتاباً على المشركين ومنذراً عباده المؤمنين أن يفعلوا مثل فعلهم أو يتسببوا في أي عمل يشبه عمل المشركين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْإِخْلَافِ بِظُلْمٍ نَذَقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ. وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلَّا تَشْرِكَ بِى شَيْئاً وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ

فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ﴿ فاتقوا الله عباد الله وجانبوا هذا القول واغتنموا
الفرص بمتابعة الحج الفرص التي قد لا تعوض غيرها، فهي فرص يجتمع للعامل فيها
شرف الزمان والمكان ونزول القرآن، وشرف حضور أكبر مجمع وأروع مشهد يتجلى
فيه الحق تعالى لعباده ويباهي بهم ملائكته. روى الإمام مسلم رحمه الله عن عائشة
رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه
عبداً من النار من يوم عرفة. وإنه ليدنو (يتجلى) ثم يباهي بهم الملائكة فيقول:
ماذا أراد هؤلاء».

* * *

□ ختام العام - محاسبة النفس □

الحمد لله الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً منيراً وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً. أحمده سبحانه وأشكره وأثني عليه الخير كله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا يظلم مثقال ذرة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه قال: «من كانت له عندي مظلمة فليقم عليّ فدية وليقتص مني قبل يوم القصاص». صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون، يقول الله جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتتظر نفس ما قدمت لغد﴾ ويقول: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة». ويقول خليفة خليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا. ويقول مالك بن دينار رحمه الله: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألسنت صاحبة كذا: ألسنت صاحبة كذا: ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائداً.

أيها المسلمون: اتقوا الله وخذوا مما تسمعونه وتشاهدونه آيات الله القرآنية وسننه الكونية، خذوا من ذلك ومن تجاربكم وتصرم الأيام والأعوام أمامكم عبراً فلکم في تغير الأزمان والأحوال من مدكر، كم وكم فيها مما يذكر بأن لكل - ما عدا الله سبحانه وتعالى - نهاية، وعلى وجه التمثيل هذه هي آخر جمعة في هذا العام الهجري، وبعد أيام قلائل سيطوي سجله ويختم عمله محتفظاً بما عمل فيه من خير أو شر، ولئن كان أهل الأموال أهل الدنيا الفانية يعملون تصفية وجرداً لحساباتهم في آخر كل عام مالي، لينظروا الطرق التي استفادوا منها فيكترون منها، والطرق التي خسروا فيها فيجتنبونها: فما أحرانا معشر المسلمين بذلك مع أنفسنا .. ما أحرى وأحق أن يقف الفرد المسلم مع نفسه بذلك في مثل هذه المناسبات مذكراً لها ومحاسباً لها عما أسلفته بحق وصدق، ورجب في الاستزادة من الخير والإقلاع عن الشر؛ ما أحرانا أيها الأخوة - أن يقف كل منا مع نفسه عند انتهاء عامها

أو شهرها أو يومها سائلاً لها ماذا أسلفت في ذلك، فإن يكن خيراً ازداد من الخير وحذر ما يبطل عمله كالاغترار به أو الإدلاء به على الله فلا شيء خير من الخير إلا ثواب الخير وعاقبة الخير، وإن يكن غير ذلك أقطع وأتاب واستغفر الله وتاب، فلا شيء أشر من الشر إلا جزاء الشر، وعاقبة الشر وإنما تحمى السيئة بالحسنة. قال تعالى: ﴿إِن الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «اتق الله حيث ما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها...» الحديث.

ما أحرانا معشر الأخوة بأن يقف كل منا مع نفسه سائلاً لها عن موقفها من فرائض الإسلام وشعائره وقضاياها وما يتطلبه من تضحيات كأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وبيان وإيضاح للحق وصدود على الحق عند تضارب الآراء أو اتباع الأهواء وما دورها في ذلك .. ويحك أيتها النفس ما دورك وما أشد غفلتك وغبوتك، وقد سمعت قول الله سبحانه: ﴿اقترِبْ لِلنَّاسِ حَسَابِهِمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ﴾ وقوله: ﴿واقترِبِ الْوَعْدَ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ وقوله: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾.

فاتقوا الله عباد الله وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. حاسبوها فأنتم اليوم أقدر على الحساب والعلاج منكم غداً، وما تدرون ما يأتي به الغد، حاسبوها فنعيم الختام لعامكم أو لشهركم أو ليومكم أو حتى لمجلسكم الحساب الدقيق والتوبة النصوح والعزم الصادق والعمل الصالح، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. قال بعض السلف: من حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه .. ومن لم يحاسب نفسه دامت خسارته وطالت في عرضات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته.

فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر ألا يغفل عن محاسبة نفسه. أيها الأخوة المؤمنون .. إنه لا أشد غفلة ولا حمقاً ولا تفريطاً ولا نكراناً للواقع ممن يعلم أنه يحصى عليه مثاقيل الذر، وسبواجه بما عمله من خير أو شر، ويظل في سباته نائماً وفي غفلته لاهياً غير مستعتب لنفسه ولا محاسب لها، لا أشد حمقاً ممن يصبح ويمسي وهو لا يدري ماذا له وماذا عليه خاصة من حقوق عباد الله التي

سيوقف لأخذها منه في أحلك وأضيق الظروف. لا أشد حمقاً مما يكاد ممسأه ومصعبه يكون سوءاً يتلوه سوء كذب وزور ودجل وفجور. فجور في السلوك الخلقى. فجور في التعامل المالى. فجور في التناول بالسوء على عباد الله سيما إن كانوا أولياء من أولياء الله الصالحين. فجور في القول. فجور في العمل. ومناذي الأعدار وإقامة الحجّة بناديه. قال تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون...﴾ وقال: ﴿أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً...﴾.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا ممن طال عمره وحسن عمله. اللهم اجعلنا ممن طاب محياه ومماته ... اللهم اجعلنا ممن حاسب نفسه وهياها بالعمل الصالح للفوز والفرح بلقائك .. يوم أن يوافقها ما كتبت عليها بقولك وقولك الحق: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ وسبحانك اللهم وبمحمدك ... نستغفرك وتوب إليك. وصلى الله على محمد وآله وأصحابه أجمعين.

* * *

□ عودة إلى الله □

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب. نحمده ونشكره ونسأله حسن الرجعى إليه وطيب المآب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وذرياته وأزواجه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. أيها الأخوة المؤمنون: إن الله سبحانه وتعالى أكرمنا بعقول نميز بها الطيب من الخبيث والنافع من الضار ... ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ وجعلها سبحانه مناط التكليف ومنشأ الانتفاع والسعادة والتضرر والشقاوة ولا حول ولا قوة إلا بالله. وإن الإنسان الواعي المفكر الحريرص على مصلحة نفسه ﴿لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ عندما تتوارد عليه نذر القرآن والسنة التي تحمل الوعيد الشديد والإخطار الأكيد لمخالفها ونذر سنن الله الكونية التي أنزلها وسلطها عبر تاريخ الدعوة الإسلامية بمن خالف أمره ولم يخش وعيده أمثال ﴿أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ ﴿قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون. أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين. أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ إنه أي الواعي المفكر لينظر بجدية وعمق بما أكرم به من عقل فيما يخلصه من مغبة هذا الوعيد. وأولى ما يخلص من ذلك ويتقي به منه عودة صادقة إلى الله سبحانه .. إلى الله الذي أمر بالعودة الصادقة إليه ورجب فيها وأبان أثرها ليسرع بها. أمر بها بأوامر تقتضي فورية الامتثال والمبادرة. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾ وقال: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ..﴾ وقال: ﴿استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنني أتوب في اليوم مائة مرة» رواه مسلم.

وكما أمر سبحانه بالعودة إليه بأوامر مطلقة فقد حث ورجب في ذلك. قال

سبحانه: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ وقال: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ وهذه الآية في الذنوب التي يتاب منها بإجماع أهل الملة.

ويقول رسوله ﷺ في حديث النزول المعروف المتفق على صحته: «إن الله يقول: هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه سؤاله. ويقول: إن الله يمد يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويمد يده بالنهار ليتوب مسيء الليل» رواه مسلم. ويقول: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم سقط عن بعيره وقد أضله في أرض فلاة» متفق عليه.

وكما أمر سبحانه وتعالى بالعودة إليه ورجب فيها فقد أبان فضائلها ومردودها وآثارها على أهلها. يقول سبحانه وتعالى في بيان شيء من ذلك مما يستوجب أن تفتح له الآذان وتها إلى القلوب وتتلاقى معه وبه الآمال المصدقة بالأعمال: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيماً. إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً...﴾ ويقول: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً. إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ وفي بيان هذا التبديل المذكور في الآية الكريمة وإنه تبديل حقيقي، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم رحمه الله: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها؛ رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة. فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا». فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه.. وعن أبي الطويل شطب المدوح أنه أتى النبي ﷺ فقال: رأيت من عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئاً وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها فهل لذلك من توبة؟ قال: «فهل أسلمت» قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. قال: «تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كلهن» قال: وعذراتي وفجراتي قال: «نعم».. فكبر ولا زال يكبر حتى توارى. رواه البيهقي والطبراني. قال المنذري

في الترغيب: إسناده جيد قوي.

هذه أيها الأخوة أوامر الله بالعودة الصادقة إليه بتوبة نصوح، وأمره بالتوبة التي لو لم تكن واجبة شرعاً لوجبت عقلاً لما يترتب عليها من خروج من طائلة الوعيد وكسب لوعد صادق الوعد.

فيا أخوتي في الله .. يا من يمسي ويصبح تحت طائلة وعيد يقرع القلوب ويخيف النفوس التي بها بقايا حياة وتفكر وتعقل أمثال ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ..﴾ ﴿والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ...﴾ الآية.

﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً...﴾ الآية. «لا يزيي الزاني حين يزيي وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» «إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة» أما لك من عقل تدرك به التخلص من مضائق المآزق ولفح المحارق .. أما لديك من خبرة ومعرفة تدير بها تجارتك وتربح بها بضاعتك ليعود تنتك عطراً وبعرك تبراً أما قرع سمعك ولا مس فؤادك واستجاش نفسك نداء الحق ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً، عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أما أن لك تلبية هذا النداء لتنقل نفسك الغالية لديك من مكامن المخاوف إلى مواطن الأمان، من طاعة الشيطان وما يتبعها من وهج ولفح النيران إلى طاعة الرحمن والفوز بالرضى والغفران إلى ظل ظليل وهواء عليل إلى طيب الحيا وطيب الممات .. ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ أما أن تقدم الثمن لتحظى بالثمن بعودة إلى الله بتوبة نصوح تقلع بها من فعلك السالف السيء وتندم عليه وتعزم ألا تعود فيه وتتحلل بها ما أمكنك من حقوق العباد سيما إن كانت مالية وتتبعها بأعمال صالحة وأحوال مرضية عسى

أن يتحقق فيك عسى وعسى من الله محقق ﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه
نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على
كل شيء قدير﴾.

* * *

□ نموذج من الخطبة الأخيرة للجمعة □

الحمد لله: حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحبّ ويرضاه، أحمدته تعالى وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة يوم نلقاه، يوم يبعث ما في القبور ويحصّل ما في الصدور، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها الناس، اتقوا الله حقّ ثقافته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون؛ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، واعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة. وعليكم بجماعة المسلمين فإن «يد الله مع جماعة المسلمين»^(١)، ومن شدّ عنهم شد في النار، وصلّوا على أكرم نبي وأعظم هادٍ فقد أمركم الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢). اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسولك والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم، بعفوك وكرمك وإحسانك يارب العالمين. اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين وأذلّ الشرك والمشركين ودمّر أعداء الدين وانصر عبادك الموحّدين. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات. وألّف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم، واهدهم سبيل السلام ...

اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين.

اللهم أرهم الحق حقاً وارزقهم أتباعه، والباطل باطلاً وارزقهم اجتنابه.

اللهم ارزقهم البطانة الصالحة التي تذكّرهم إذا نسوا وتعينهم على نوائب الحق؛

يا رب العالمين.

(١) انظر «صحيح الجامع الصغير» (٧٩٢١) وإرواء الغليل (٢٤٥٣).

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

اللهم أقم علم الجهاد، واقمع أهل الشرك والزيف والفساد، وانشر رحمتك على العباد.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم آمنا في أوطاننا واستعمل علينا وعلى سائر المسلمين في كل زمان ومكان من يخافك ويتقياك يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك وفجاءة نعمتك وجميع سخطك.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

﴿ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾^(١).

﴿ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾^(٢).

عباد الله: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون﴾^(٣).

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * *

(١) سورة آل عمران: الآية ٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٠.

□ التحديات الباطنة □

الحمد لله عالم السر والنجوى المطلع على الضمائر وكل ما يخفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سبحانه، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحببيه وخليله وأمينه على وحيه صلى الله عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى كل من اتبعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون: إن المسلم الحق الذي من الله عليه بالإسلام وشرح له صدره ليتطلع بآماله وأحاسيسه الجادة المخلصة إلى ما وعد الله به أهل هذا الدين الجادين المخلصين العاملين على هدى وبصيرة من الله إنه - أي المسلم - الذي هذه حاله ليعمل جاداً فيما يؤهله لما وعد الله به النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين من أهل: إياك نعبد وإياك نستعين، متخذاً من عمره القصير وحياته الفانية وسيلة وسلاماً يرتقي به إلى تلك المنازل العالية - جعلنا الله جميعاً من أهلها - ولن يكون كذلك حتى يوفقه الله لتوبة صادقة يتغلب بها على أشد وأنكى أعدائه شيطانه ونفسه وهواه، الأعداء الداخلية المعنوية الخفية التي تسايره وتجري معه مجرى الدم في العروق، لا حول ولا قوة إلا بالله، فالشيطان - أعاذنا الله منه - جعله الله ابتلاءً وامتحاناً لبني الإنسان ولن يتخلص منه ويتقي إلا بطاعة الله فيما أمر به نحوه ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ ﴿وَلَا يَصْدَنكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا...﴾.

ولقد كان - أعاذنا الله منه - دقيق الأساليب عظيم الفاعلية لمن لم يحذره فله مع ابن آدم عدة مداخل كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله ويبدأ بأهمها فأهمها (المدارج ٢٢٢) أولها: محاولة إيقاعه في الكفر بالله وبدينه وبلقائه وبصفات كماله، ونحو ذلك من ارتكاب ما يخرج به من ملة الإسلام، فإن أعان الله الإنسان عليه وحماه من إيقاعه في الكفر المخرج من الملة، أتاه من باب البدع التي هي وسائل الشرك وأبوابه، بمحاولة إيقاعه فيها إما: باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله

وأُنزل به كتبه، وإما: بالتعبد بما لم يشرعه الله، فإن أعانه الله عليه وخلص منه أتاه من باب الكبائر الموبقات المهلكات فإن خُص منه فيها ووقاه الله شره من إيقاعه فيها أو في شيء منها أتاه من باب الصغائر، فإن أنجاه الله منه بالاستمرار على التوبة واتباع السنة أتاه من باب المباحات ليغرقه فيها ويليه بها عن الإكثار من الطاعات، فإن أنجاه الله منها أتاه من باب المرجوحات والمفضولات ليشغله بها عما هو أفضل منها، فإن نجا منها بتوفيق لفقهِ في الدين وإدراك لمراتب الأعمال وتفاوتها سلط عليه الناس الذين قد أوقعهم في شيء من تلك الأمور بأذاه.

ويتلو هذا ويتفرع عنه وسوسة النفس الأمانة بالسوء إلا ما رحم ربي. النفس التي تتصارع مع المسلم في داخلته لجره إلى ما حرم الله أو لتركه لطاعة الله، ولن يكون المسلم منتصباً على نفسه متغلباً عليها حتى ينهها عن هواها فيخيلها من كل شهوة تميل إلى ما حرم الله أو شبهة تعارض خبر الله ويحولها إلى النفس الخيرة اللوامة التي أقسم بها تعالى في قوله: ﴿لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَلَا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ وفسرت بأنها التي تلوم صاحبها على التفريط في الخير وعدم استكثاره منه كما تلومه على فعل الشر واستمراره عليه فيفسد عليها منافذ شيطانها ولا سيما باب الهوى الذي يعمي عن رؤية الحق ويصم عن سماعه، ولن يكون المسلم متغلباً على شيطانه ونفسه وهواه وبالتالي دنياه الغرارة الفاتنة حتى يكون هواه تبعاً لشرع الله، فتكون جميع منطلقاته في عبادة أو معاملة أو حكم أو تحاكم أو أخذ أو إعطاء نابعة من شرع الله مرتبطة به ارتباط مخلص لله متبع لرسول الله راجياً ثواب الله خائفاً من عقابه. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ..﴾ الآية وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ..﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

ويسد هذه المداخل تحصن النفوس من شيطانها ونفسها وهواها، وتسلك مسالك الصالحين وتحل في الدنيا قلوب المؤمنين وفي الآخرة منازل الصديقين والشهداء والصالحين. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا...﴾ وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾.

هذه بعض مداخل الشيطان التي يدخل منها على أفراد بني الإنسان. أما مداخله

على المجموعة المترابطة المتآخية من المسلمين ففيها قوله ﷺ: «إن الشيطان قد يتس
أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش فيما بينهم» السلسلة ١٦٠٨.
فلتق الله أيها الأخوة ولنبدل جهدنا في سد منافذه ومداخله على أفراد أو
جماعة. قال سبحانه: ﴿قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس. من شر
الوسواس الخناس. الذي يوسوس في صدور الناس. من الجنة والناس﴾.

* * *

□ الاستهزاء □

الحمد لله ذي العزة والجلال الكبير المتعال، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فليس له من دونه من وال. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله.

أيها الأخوة في الله لقد ذكركم وأوصيتكم ونفسي مراراً وتكراراً بضرورة الالتزام بدين الله وحفظه وحياطته من أن يتطرق إليه ما يناقض أصله أو يخدشه وينقصه امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ وقوله: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ وقوله: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ ورجاء ثواب الله ووعد من لقي الله سبحانه متمسكاً بدينه في قوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ وقوله: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾.

وهناكم أمر خطير يناقض أصل الإيمان أو يخدشه وينقصه. يكثر وقوعه ممن لم تشرب قلوبهم حب الإيمان ألا وهو: الاستهزاء بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه أو بأهله، الأمر الخطير والبلاء المستطير الذي منيت به الدعوة الإسلامية مذ بدئها من كفره ومنافقين وعصاة مسلمين، ولا يزال يواكبها من وراث أولئكم في كل عصر ومصر سيما الفترات التي يكثر فيها من يلتزم السنة طلباً لرضى الله ولو قيل فيه ما قيل مما يستدعي ويتطلب تكرار القول وتحذير المسلمين من الوقوع فيه بل وطمانينة وإيناس من يسخر منه أو يستهزأ به من الملتزمين ألا يعبأ بشيء من ذلك.

يقول سبحانه: ﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ ويقول: ﴿الذين

يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴿١﴾ ويقول: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴿٢﴾ ويقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ﴿٣﴾.

وسخر وهزىء معناهما اللغوي واحد يقال: سخر منه، وسخر به، وهزىء منه وهزىء به، فمقتضى الآيات إنكار هذا الأمر جملة وتفصيلاً والتحذير منه ولا شك أن ما كان منه استهزاء بدين الرسول ﷺ أو بثوابه أو بعقابه إنه كفر بواح مخرج من ملة الإسلام بالإجماع جداً كان أو هزلاً. ومن ذلكم الاستهزاء بمشروعية اللحية أو مشروعية السواك أو مشروعية ما عرفت مشروعيته من دين الإسلام بالضرورة من عالم بذلك فهو كفر بواح داخل تحت طائلة قول الله: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب...﴾ الآية. روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله وأصحابه القراء - فقال عوف ابن مالك: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره فوجد القرآن قد سبقه أي نزلت الآية المذكورة ﴿٤﴾ ولئن سألتهم ﴿٥﴾ فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب وتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله وإن الحجارة لتنكب رجله وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله ﷺ: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون» ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

فاتقوا الله - معشر المسلمين - واحذروا هذا الداء الخطر على دينكم وتوادمكم وتراحمكم وما يطلب منكم من تآزر وتكاتف وكف عن الأذى وتعاون على البر والتقوى، فالمسلم الحق المسلم المثالي من سلم المسلمون من لسانه ويده. قال عبد الله ابن عمرو بن العاص: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» متفق عليه. وأملوا خيراً وأبشروا يا من وفقتم للالتزام وإظهار السنن وصبرتم محتسبين على ما يواجهمكم في سبيل التزامكم

بدينكم، أبشروا بالعقبى الحميدة في الدنيا وفي الآخرة، فلقد وعدكم صادق الوعد بقوله: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار﴾.

* * *

□ تسلية لمن ابتلوا في ذات الله □

الحمد لله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ والقائل: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنزل عليه ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن﴾ أي ومن اتبعني أسلم وجهه لله صلوات الله وسلامه على من امتثل ما نزل عليه طائعاً مختاراً موقناً بجدوى ذلك وعظم آثاره الخيرة في العاجل والآجل وعلى كل من اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن من تمام الإيمان بالقدر الذي هو أصل من أصول الإيمان الستة الواردة في حديث جبريل عليه السلام المتضمنة له الآيات الواردة بأصول الإيمان الإيقاني بأن الله سبحانه وتعالى لا يقضي إلا ما هو خير، ولا يأمر إلا بما هو خير، ظهرت حكمة ذلك المقضي أو ذلك المأمور به بعالم فمن دونه أو لم تظهر فأى شر في الدنيا عام أو خاص فإنما هو لارتباطه وواقعه بالخلقين لا بأصل إيجادهم وخلقهم، فهو أوجد وخلق لحكمة وما كان لحكمة فلا يكون إلا خيراً. قال عليه الصلاة والسلام في حديث الاستفتاح المعروف في مخاطبته ربه: «والشر ليس إليك» رواه مسلم وغيره، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ وقال: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ وقال ابن كثير رحمه الله في قول الله عن الجن: ﴿وأنا لا نسري﴾ أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ وهذا من أديهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل والخير أضافوه إلى الله عز وجل.

وخذوا مثلاً ونموذجاً لما بدأ مكروهاً من نفوس، ومستثقلاً على نفوس، ومستوحشاً من نفوس فكانت عاقبته خيراً نزل به قرآن يتلى إلى يوم القيامة قصة بدر قال تعالى: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون...﴾ الآيات. وقصة الإفك قال تعالى: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة

منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ﴿ وقصة الثلاثة كعب وصاحبيه رضي الله عنهم قال تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ إلى قوله ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾ وقصة الخضر مع موسى في سورة الكهف وغير ذلك مما يدعو المسلم تجاه أوامر الله أن ينقاد ويستسلم لها طائعا مختاراً دون أي تردد أو تساؤل، أدرك حكمة ذلك أو لم يدركها متحققاً فيه تجاهها قول الله: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن﴾ وقوله: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ و قوله: ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله﴾ انقياداً واستسلاماً يشبه انقياد واستسلام الخليل وابنه إسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، قال تعالى عنهما: ﴿قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ ويشبه انقياد أم موسى قال تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإن خفت عليه فالقيه في اليم﴾ وفعلاً ألقته في اليم - البحر - وكان ما كان من أمره المذكور في سورة الأعراف والشعراء وطه والقصص.

وما يدعو كذلك تجاه أقدار الله وأقضيته وما يجريه في عبادته مما يبدو لارتباطه بهم شراً وأذى وبلاء وفتنة أن يتصوره ويتوقعه خيراً بجانب مواجهته إن كان في نفسه بالصبر عليه والتسليم له أولاً صبر وتسليم المحتسبين الموعودين قول الله: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ ومجاهدة النفس بالرضى به ثانياً رجاء نتائجه وآثاره في عاجل أو آجل، فلكم بدت أمور أول ما تبدو وكأنها قاصمة الظهر يكاد المسلم يقول فيها: هذه مهلكتي، إهلاك جسم أو مال أو والعياذ بالله دين فلم يلبث إلا ويبدد فيها قول الله: ﴿فعمسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ واللييب والمفكر المستعرض لواقع الحياة ولا سيما واقع الدعوة الإسلامية قديماً وحديثاً في صحوتها الحاضرة المباركة وما تواجهه به من عراقيل، ويواجهه به أهلها في كثير من بلدان العالم من قتل ونفي وحبس وأذى، وما يزيدها ذلك إلا انتشاراً وتوسعاً، وما يزيد الكثير من أهلها إلا إيماناً وتسليماً والحمد لله.

فلا حزن - أيها الأخوة - ولا يأس ولا خوف ولا قنوط عندما تسمعون بعاصفة ما أو بمضايقة ما أو بأذى ما على فرد أو جماعة من الدعاة في أي بلد ما، فما

ذلك لصداق محتسب إلا نشر وتثبيت لإمامته في الدين وتخليد وإبقاء لذكوره في الآخرين بل وبشارة يرفع درجاته في عليين، وحسبكم في ذلك قصص أنبياء الله وصحابة رسول الله، وكثير من دعاة الإسلام أمثال الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، وأمثالهم كثير ممن لم يزددهم الابتلاء والأذى إلا الائتمام بهم في الدين وبقاء ذكركم في الآخرين وصدق الله العظيم: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ قال أحد الدعاة «وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام كما نصرها باستشهاده، وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة ويحفز الألواف إلى الأعمال الكبيرة بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه»^(١)، سلك الله بنا جميعاً سبيل المصلحين وحشرنا في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. آمين. آمين. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم. لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾.

في الخطبة الثانية:

قال عليه الصلاة والسلام: «عجبت للمؤمن إن الله تعالى لم يقض له قضاء إلا كان خيراً». الصحيحة ٣٩٨٥.

وقال: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له..» رواه مسلم.

وقال: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني ما علمت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الإخلاص في الرضى والغضب وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيماً لا ينفذ وقرة عين لا تنقطع وأسألك الرضى بالقضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين» صحيح الجامع ١٣٠١.

أعود فأذكر وألخص بأن المصائب التي تبدو في ظاهرها شراً كثيراً ما تكون

(١) الظلال ج ٢٤ ص ٨٠

على من ابتلي بها خيراً من حيث يعلم أو لا يعلم، فهي أولاً يكفر بها من ذنوب صاحبها قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «لا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة» رواه الدرامي. وفي المسند وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعاً «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله وفي ولده حتى يلقي الله وما عليه خطيئة» هذا جانب، وجانب آخر مهم وهو أنها كثيراً ما تدعو إلى التوبة والاستغفار والتذلل لله وصدق العود إليه، فلکم قرأنا وسمعنا وعلمنا بأخبار كثير ممن أصيبوا في نفس أو أهل أو مال أو ولد فكانت تلك المصيبة سبباً في هدايتهم وهي بلا شك خير سيما إن قبولت بالإيمان الإيقاني أنها من الله وصبر عليها وخير إلى خير إن رضي بها وشكر الله عليها بتصورها نعمة لما يترتب عليها.

* * *

□ الربا □

أيها الأخوة المؤمنون: إن المؤمن الذي أنعم الله عليه أن جعله من أهل القرآن ليعلم أنه لا تتم له هذه النعمة ولا يكمل له شكرها ما لم يعمق الإيمان بالقرآن في نفسه تعميقاً تظهر به آثاره عليه من تحليل حلاله وتحريم حرامه والوقوف عند حدوده وإلا ... فذلكم منه مجرد خداع ومماكرة لمن لا يخادع ولا يماكر.

ولقد جاء هذا القرآن الواجب التصديق والإيمان الإيقاني بمضموناته وإخباراته بالنهي عن أمر عظيم والتحذير والإنذار من خطر جسيم أمر عظيم ووعيد جسيم يلاحق تأويله المتعرض له في دنياه وأخراه يلاحقه في أدوار حياته الثلاثة - الدنيا والبرزخ والمعاد - يلاحقه بالألفاظ وعيدية شديدة تتجاوز في بعض نصوصها الألفاظ التي توعد بها أهل الكبائر. ذلكم ما تضمنه قوله سبحانه: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ...﴾ إلى قوله: ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ...﴾ الآية. وهذا من آخر ما نزل في الأحكام وآخر ما نزل في الربا. وقول رسوله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» - أي المهلكات - متفق عليه. وقوله: «لعن الله آكل الربا وموكله و كاتبه وشاهديه» وقال: «هم سواء ..» رواه مسلم. وقوله: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل في فيه بحجر فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: من هذا الذي رأيت في النهر؟ قال: آكل الربا ..» رواه البخاري.

وهذه النصوص القرآنية الكريمة وهذه الأحاديث النبوية الجليلة وما في معنى ذلكم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تبين بوضوح وجلالة شناعة وقباحة وفضاعة سوء أثر الربا على أهله في معاشهم ومعادهم. ولقد كان لقباحته وشناعته ومضارته لما يطلب من بين المسلمين من تقارض وتفريج كُرب قربة الله محرماً في جميع

الأديان السابقة، ومطلوب من علماء كل دين أبان اعتباره أن ينهوا عنه ويناصح القادرين على محاربه بمحاربه يقول سبحانه: ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾ ويقول: ﴿سمعون للكذب أكلون للسحت﴾ ويقول: ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبس ما كانوا يصنعون﴾ وهو في هذا الدين الشامل الكامل الصالح لكل زمان ومكان ولكل جنس ولون عربي أو أعجمي محرم تحريماً مغلظاً بالكتاب والسنة والإجماع على ما استقر عليه الأمر بعد عند الصحابة الكرام رضي الله عنهم في ربا الفضل الوارد في حديث عبادة وحديث أبي سعيد وغيرهما رضي الله عنهم.

وحسب أمة القرآن المنادة بقول الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ المنذرة بقوله سبحانه: ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ وقوله: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ المتعاملة والمتقاضية فيما بينها بقوله ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا» متفق عليه. حسبها أن تذكر جيداً أن من قال هذا في ذلك الموقف هو القائل فيه «كل ربا من ربا الجاهلية فهو موضوع بين قدمي هاتين وأول ربا أضعه ربا عمي العباس» رواه مسلم. وأن الآية التي يقاضى عليها من أخاف طريقاً أو عبث بأمن - جزى الله من يقاضيه عليها خيراً - وهي قوله سبحانه: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً...﴾ الآية. تشمل جاحد الربا وفاعله على بصيرة بدون جحود ففي آية المحاربة يحاربون وفي آية الربا فأذنوا بحرب كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مجموع الفتاوى المجلد ٢٨ ص ٤٦٧، ومعلوم ما في الربا من إفساد الصلوات والمكاسب والمطاعم والمشارب الذي قد يؤدي إلى عدم نفع الأعمال وقبول الدعاء وحصول التأييد والنصر المنشود على الأعداء وبهذا علل وجود أول آية نزلت فيه التي هي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة...﴾ بين عدد كثير من آيات الجهاد التي نزلت في غزوة أحد في سورة آل عمران إيماء إلى أن من أسباب قبول الأعمال وحصول النصر تطهير الأموال التي تنفق في العبادات التي من أفضلها الجهاد في سبيل الله، وتطهير الأبدان التي تصدر منها تلكم العبادات أن تتغذى بما

يمنع قبول ونفع الأعمال وأوردوا في هذا أحاديث منها قوله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرِّسَالُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فإني يستجاب لذلك». رواه مسلم وقوله: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول». رواه مسلم.

هذا أيها الأخوة حكم الربا الذي نهى الله عنه، حكم قائم ثابت ما دامت السماوات والأرض لا يتغير ولا يباح بارتكاب حاكم له أو محكوم، فرد أو جماعة، مؤسسة: بنك أو غيره، من اتقاه وحذره فله وعد صادق الوعد في قوله سبحانه: ﴿فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ومن ارتكبه فوراءه وعيده القاصم الظهر في قوله: ﴿وَمَن عَادَ - أَي فَعَلَ الرِّبَا - فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يقول سبحانه في ختام آيات الربا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ ويقول: ﴿هَنَالِكَ تَبْلُو كُل نَفْسٌ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وأستغفر الله لي ولكم.

في الخطبة الثانية:

أيها الأخوة في الله عوداً على ما بدأت به من ضرورة الإيمان بالقرآن إيماناً إيقانياً تظهر آثاره في تحليل حلاله وتحريم حرامه والوقوف عند حدوده، أعود لأذكر مرتكب الربا أي الذي قال: ﴿حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ...﴾ الآية وقال: ﴿حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ أَمْهَاتِكُمْ...﴾ الآية. هو الذي حرم الربا بقوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ فليتقوا الله وليحذروا ما هم فيه، ليحذروا أن يهون ويخف احترام المحرمات في نفوسهم فيضلوا في مناكلهم وتعاملهم وماكلهم ومشاربهم ضلالاً يجعلهم وقوداً للنار التي وجهوا بها وعنوا بالخطاب فيها في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

□ التوكل على الله □

الحمد لله له الحمد أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير. اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله وتذكروا أن الله سبحانه وتعالى خلقنا لعبادته وحده، العبادة الجامعة لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة والمعرفة بأنها طاعته على سنة رسوله، طاعته بفعل المأمورات واجتناب المحظورات، إخلاصاً لله وسيراً على منهاج رسول الله ﷺ.

وتحقيق هذه العبادة التي خلقنا لها ووعدنا عليها ما تضمنته نصوص الوعد من الله لعباده في الدنيا بالنصر وفي الآخرة بمضاعفة الأجر قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا يتأتى ولا يتم إلا بتحقيق توحيد الله سبحانه، توحيد علم ومعرفة ينبثق منه انجذاب الروح إلى الله وحده بآثار ذلكم العلم علماً وعملاً واعتقاداً، انجذاباً يتحقق به مسمى تحقيق التوحيد الذي هو تنقيته وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، ومن أنواع تلکم العبادة بل ومن أسسها وقواعدها التي تبنى عليها التوكل على الله وحده، قال ابن القيم رحمه الله بعد بيان التوكل: فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقوماته إلا على ساق التوكل، وأوضح ذلك هو وغيره من العلماء على أن فقدان التوكل ينافي أصل الإيمان، أي لا إيمان لمن فقدته يقول الله سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ قالوا: فجعل التوكل على الله شرط الإيمان - أي شرط وجوب لا شرط كمال - .

ولا عجب - أيها الأخوة - فأمر هذه العبادة - عبادة التوكل - أمر عظيم وشأنها بالنسبة للمعتقد السليم شأن عظيم، فالمعتقد السليم ينبثق منها ويقوم عليها والإيمان

الحق كذلك فكلما قوي التوكل في قلب الإنسان وداخلية الإنسان قوي الإيمان والقول والعمل ظاهراً، ووجدت آثاره، وكلما مات التوكل في القلب أو ضعف مات إيمان صاحبه أو ضعف عياداً بك اللهم يارب.

ومع الأسف - أيها الأخوة - إن هذا الأمر العظيم وهذه العبادة الأساسية والتي ما جاءت حتى في ألفاظها البلاغية ومواردها العربية إلا مقصورة على الله وحده القائل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ والقائل: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لم يعد محل اهتمام كثير من الناس - هداهم الله - فما تكاد تغشى مجلساً من مجالس القوم اليوم إلا وتسمع فيه ما يدل على نقصان التوكل في النفوس، وانصهارها مع الأسباب واعتمادها عليها قلباً وقالباً أكثر من الاعتماد على التوكل على الله الذي هو الأصل.

فقد غاب عنهم أن الله سبحانه هو مسبب الأسباب، هو مالك الأسباب، هو الأمر بالأسباب طمأنينة لعباده وطاعة منهم له بفعلها لا لتشرك معه في هذه العبادة. يذكر عن أبي سليمان الداراني أنه رأى رجلاً بمكة لا يتناول شيئاً إلا شربة من ماء زمزم فمضى عليه أيام، فقال أبو سليمان يوماً: أرايت لو غارت زمزم أي شيء كنت تشرب؟ فقام وقبل رأس أبي سليمان، وقال: جزاك الله خيراً حيث أرشدتني، فأني كنت أعبد زمزم منذ أيام ثم تركه ومضى.

فلا إفراط - أيها الأخوة - ولا تفريط ولا تطرف في أي جانب من جوانب التطرف، فالاعتماد على الأسباب وحدها تطرف فظيع مخرج من الملة الإسلامية، وترك فعل الأسباب المقدور عليها عند الحاجة لها ولا ضرر منها تطرف، والخير في الوسط بذل الأسباب والاعتماد على الله قال أعرابي لرسول الله ﷺ في ناقته: أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «أعقلها وتوكل» حديث حسنه عدد من العلماء ومنهم الشيخ الألباني - صحيح الجامع ١٠٦٨ -.

فاتقوا الله عباد الله وانهجوا في توكلكم واعتمادكم على الله نهج رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام الذين كانوا يواجهون الشدائد والخطوب والمضايقات والتهديدات بصدق الاعتماد وخالص التوكل، قال تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا

أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون ﴿ وقال عن نبيه هود عليه السلام: ﴿قال إني أشهد الله وأشهدوا أي بريء مما تشركون، من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ..﴾ وقال عن نبيه محمد ﷺ وأصحابه: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

اللهم ارزقنا صدق التوكل وخالص الاعتماد واجعل بواطننا خيراً من ظواهرنا.

في الخطبة الثانية:

التوكل على الله قسمان أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطلوبهم في نصر أو رزق أو شفاعة مما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك أكبر.

والثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك فهذا نوع شرك خفي. والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله في تيسير أمره ولا يقول توكلت عليك احتراماً للفظ الخاص بالله، وإنما يقول: وكلتك في فعل كذا من الأسباب التي يقوم بها مثله عادة.

* * *

□ مقتضى الأخوة الإيمانية □

الحمد لله القائل: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾.. والحمد لله القائل: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل لنبيه توجيهاً له ولأتباعه بإحسان ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الموصوف من ربه تبارك وتعالى بقوله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه واحشرونا اللهم في زميرهم وحقق فينا قولك: ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويمجزهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾. أما بعد: أذكر اليوم بما أمر الله سبحانه أن يتذكر بقوله سبحانه: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾.. والآية تعم الأوس والخزرج لما سبق بينهم في الجاهلية من إحن وضغائن وحروب دامت عشرات السنين وتعم غيرهم ممن انتفع بهذا الدين.

عباد الله لقد أنعم الله على هذه الأمة بالإسلام العظيم الذي انتقلت به من الظلام الدامس إلى النور الساطع، من الجهل الفاضح إلى العلم النافع، من التفرق والاختلاف إلى الاجتماع والاتلاف، من التباغض والتقاطع والتعادي إلى التجاب والتواصل والتولي، وأصبحت أمة متألفة قلوبها، متحدة أهدافها، مجتمعها كلمتها، منتظمة صفوفها، متحقق فيها ما وصفها به بارؤها العالم بأحوالها وما تنطوي عليها صدورها بقوله سبحانه: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ فلا وشيجة حسب ولا نسب ولا طين ولا لسان ولا لون يبنى عليها ولاء أو براء أو تعطى التبعية المطلقة سوى وشيجة الإيمان ورباطته التي ترابطت بها القلوب وتآلفت بها النفوس، هذه النعمة التي منحها تعالى عباده المؤمنين ووصفهم بها في غير ما آية من كتابه أمثال قوله سبحانه: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وقوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ ووصفهم بها كذلك رسوله ﷺ بقوله: «المسلم أخو المسلم» رواه ابن ماجه

وقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» - وشبك بين أصابعه - متفق عليه. وقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه. هذه النعمة إذا أخذت بحقها قوة ضاربة تغذى بها القلوب، وتهد بها الحصون، وتفرق بها الجموع بإذن ربها لكن آثارها لا تتحقق في الواقع إلا بتحقيق مقتضياتها في النفوس..

عباد الله إن مقتضى أخوة الإيمان وولايته التي وصفت بها هذه الأمة وأمرت بها وكان لأسلافها لما اتصفوا بها ما كان من ترابط وتآخ وتحاب وتعاون على البر والتقوى ألا تتغاش أي لا يغش بعضهم بعضاً، ولا يظلم بعضهم بعضاً، ولا يكذبه ولا يسخر به أو يلزمه ويغمره، ولا يحقره، ولا يخذله، ولا يفتابه، ولا ينقل حديثه أو حاله على وجه الإفساد، ولا يؤذيه، ولا يعنته أو يضايقه أو يضاره أو يشق عليه، فهذه الأمور وأمثالها مما نهى المسلم عن تعاطيه مع أخيه المسلم بجانب ما فيها من منافاة للولاية والأخوة الإيمانية أو إضعاف لها، فهي تضرب وحدة المسلمين وترابط المسلمين وتآخيم وتعاونهم على البر والتقوى وتواصيهم بالحق وتواصيهم بالصبر.

فالأخوة المطلوبة والولاية الحققة فيما بين المسلمين هي أن ينطلق المسلم في حبه لأخيه من محبة الله لأخيه، ويعامل المسلم أخاه المسلم بما يجب هو أن يعامل به من الغير في مال أو عرض أو دم أو غير ذلك من المعاملات المادية أو المعنوية قال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». رواه الشيخان عن أنس. وقال جرير بن عبد الله: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. رواه مسلم. فاتقوا الله عباد الله وكونوا كما يريد الله منكم إخواناً في الله، متحابين في الله، متآلفين في الله، مستمسكين بحبل الله، مهتدين في ذلك بهدي رسول الله تتحقق وحدتكم ويتحقق بها ما يطلب منكم وما أعددتكم للقيام به من حمل رسالة الله التي استخلفكم في الأرض لحملها وإلا... فارتقبوا ما أنذرتكم منه وحذرتكمه بقول الله سبحانه: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ وقوله: ﴿وإن تولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾.

□ أسباب حفظ الله ونصره لعبده □

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت والمجازي لها بما عملت، سبحانه لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لده أجرأ عظيماً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، له الحكمة البالغة في أمره وشرعه، والقدرة الباهرة في خلقه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الحافظين لحدود الله والقائمين بأمره وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ويقول: ﴿وَلِيَنصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك...» الحديث.

عباد الله لقد جرت سنة الله التي لا تتبدل، ووعده الحق الذي لا يتخلف جرياً ببيان أن الجزاء من جنس العمل فكما يدين الإنسان يدان، أي كما يجازي يجازى، فمن نصر الله نصره الله، ومن حفظ الله حفظه الله، ومن أوفى بعهده من الله القائل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ سنة قائمة ووعد حق وقول صدق لا يتخلف إلا بتخلف شرطه، لا يتخلف ما لم يتخلف ما رتب حصوله عليه. فليتذكر طالبوا النصر وذوو الحاجة الماسة للنصر، وكلنا في حاجة لذلك أفراداً أو جماعات فمن يتخلف عنه نصر الله في أي موقف فلا ناصر له ﴿إِن يَنصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذَلْكُمْ فَمنَ ذَا الَّذِي يَنصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ليتذكروا أن الله غني عنهم سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ وإنما المقصود بنصر الله وحفظ الله نصر دينه وحفظ حدوده، نصر دينه بمحاولة إقامة شرعه في جميع مرافق الحياة أيّاً كان عسكرياً أو إعلامياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو ثقافياً أو غير ذلك. وحفظه حفظ حدوده بالاحترام وعدم التجاوز لها، وحفظ نواحيه بالاجتناب، وحفظ أوامره بالامتثال حسبة لله وسيراً على منهاج رسول الله رجاء ثواب الله وخوف عقابه.

أما توقع نصر أو حفظ لا لأي من الناس في أي أمر بدون فعل الأسباب الحقيقية فلا أخال ذلك يحصل حسب السنن الكونية وما جرت به العادة وما أفهمته النصوص القرآنية والأحاديث النبوية اللهم إلا بكرامة لخير خفي من ذوي الطمرين الذين لا يؤبه لهم - رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره - أو بامتحان، فهذا لا دخل للظواهر والسنن فيه ولا أخاله يحصل لنا ما زلنا على حالنا التي نعيشها ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ رحماك اللهم يارب وتوفيقك لما يؤهلنا لنصرك.

وَالْوَعْدَ الْحَقَّ الَّذِي وَعَدَ بِهِ تَعَالَى مِنْ نَصْرِ دِينِهِ وَحِفْظِ حُدُودِهِ الَّذِي تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ النَّفُوسُ وَتَشْرَبُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ بَلْ وَتَبْدَلُ فِي طَلْبِهِ الْمَهْجَ وَرَبَّمَا الْأَرْوَاحَ عِنْدَ الْاِقْتِضَاءِ عَامٍ شَامِلٍ لِمَصَالِحِ النَّاصِرِينَ لِلَّهِ وَالْحَافِظِينَ لِحُدُودِهِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، فِي مَعَاشِهِمْ بِحِفْظِ أَبْدَانِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، بِحِفْظِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ..﴾ ﴿وَفِي آخِرَاهُمْ يُحْفَظُ أَعْلَى شَيْءٍ وَأَعَزُّ شَيْءٍ لَدِينِهِمْ دِينَهُمْ بِحِفْظِهِ لَهُمْ مَصُونًا مِنْ فِتَنِ الشَّهَوَاتِ وَالشَّبَهَاتِ حَتَّى يَلْقُوا اللَّهَ عَلَيْهِ طَيِّبِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وَحَسْبِهِمْ فِي الدَّارَيْنِ حِفْظًا وَكَلَاءَةً وَجِزَاءً مُقَابِلَ مَا قَدَمُوهُ مِنْ نَصْرِ دِينِ اللَّهِ وَحِفْظِ حُدُودِهِ، إِنْ اللَّهُ مَعَهُمْ بِالتَّأْيِيدِ وَالْكَلَاءِ وَالنَّصْرِ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ فَلَا غَالِبَ لَهُ ﴿إِنْ اللَّهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿إِنْ اللَّهُ يَدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا تَجِبُ مِرَاعَاتُهُ وَحِفْظُهُ مَا جَاءَ النَّصُّ بِالْأَمْرِ بِحِفْظِهِ لَفْظًا أَمْثَالَ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ وَقَوْلِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الاستحياء من الله حق الحياة: أن تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى» أخرجه أحمد والترمذي. وحفظ الرأس وما وعى يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات، وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب من الإصرار على ما حرم الله قال ابن رجب رحمه الله وقد جمع الله ذلك كله في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

فاتقوا الله عباد الله وامثلوا أمر الله وأمر رسوله بنصر دينه وحفظ حدوده
تنصروا وتحفظوا .. وإلا .. فبدل النصر الهزيمة، والحفظ الضياع كما هو مفهوم
النصوص، سنة جارية وإنذار قائم قال جل وعلا: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً
بما كانوا يكسبون﴾ وقال: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

* * *

□ سورة ق وملخص لها □

في الخطبة الأولى بعد المقدمة سورة (ق) بكاملها.
في الثانية:

هذه السورة التي سمعت سورة عظيمة المعاني والمباني ذات وقع كبير في النفوس واستحاشة وملامسة للمشاعر ومخاطبة لها من واقع حالها وآملها. ولذا كان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقرأ بها في الجامع العامة في الصلوات الجهرية كقراءته لها ولسورة اقتربت في صلاتي عيد الأضحى وعيد الفطر، وكثيراً ما يجعلها مادة وموضوعاً لخطبة الجمعة فقد ثبت في صحيح مسلم رحمه الله عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: ما أخذت ق، والقرآن المجيد إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس.

وهي في جملتها تركز على قضية كبرى قضية البعث والمعاد التي هي أصل من أصول الإيمان فلا إيمان لمن أنكرها أو تشكك أو تردد في الإيمان بها فهذه وأمثالها من سور وآي القرآن الكريم تخاطب أولئك القوم الذين أنكروا المعاد من: دهرين وطبعين وعلمانيين وغيرهم أو ترددوا في الإيمان به أو في شيء من أمره تخاطبهم وتخاطب أمثالهم في أي زمان أو مكان يقول سبحانه فيها محمراً ومهجنأ تعجبهم مما لا يتعجب منه ومجيباً لهم على شبهتهم التي لم تكن شبهة إلا لدى عمي القلوب صم الأذان ﴿ق والقرآن المجيد، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب، أءذا متا وكنا تراباً ذلك رجوع بعيد...﴾ إلى قوله سبحانه بعد أن ذكر خلق السماوات وأوصافها وخلق الأرض وأوصافها وإنزال المطر وإنبات النبات ﴿وكذلك الخروج﴾ «أي البعث».

وينذرهم ويحذرهم سبحانه من آثار قولهم الشنيع ومنهجهم الفظيع المخالف والمغالط للبدييات والمحسوسات التي يشاهدونها في آياته الكونية سيما المذكورة في الآيات القرآنية السابقة بقوله: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود، وعاد وفرعون وإخوان لوط، وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد﴾

أي شأنكم إن لم ترعوا شأن أولئكم الذين كذبوا فحق عليهم وعيدي بالعذاب والعقاب. وأكد لهم سبحانه ما سلف بقوله: ﴿أفعمينا بالخلق الأول﴾ وقوله في آية أخرى: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾.

وبعد إقامة الحجج القاطعة بالآيات القرآنية والسنن الكونية على رد شبهتهم التي لا يتعلق بها إلا عُمى القلوب صُم الآذان يذكرهم سبحانه بمراقبة الله ومتابعته لهم التي لا يخرج عنها طرفة عين أو دقة قلب أو أصغر من ذلك أو أكبر ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾.

وينقلهم بعد من صفحات الحياة ومشاهدتها للكون ومتابعة الله لها بمتابعته التي تمهل ولا تغفل ليذكرهم بما وراء ذلك من هول الاحتضار، الهول اليقيني الهول الذي لا محيد ولا مفر منه بل وبما يتلوه من هول البعث وهول الحساب وهول العقاب وما بعده من استقرار في جنة أو نار يقول سبحانه: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ إلى قوله: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد، هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ، من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب، ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود، لهم ما يشاؤون فيها ولدنيا مزيد﴾.

جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة أو علة فيها ماء فجعل يُدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات...» ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده. وجاء أنه لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أرسل إلى عائشة فلما دخلت عليه تمثلت بقول الشاعر:

لعمرك ما يغني الثراء عن الغنى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر رضي الله عنه هلا قلت: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾.

ذكر المؤرخون أن أحد الشعراء المعروف بشيء من الإقذاع في شعره وقف مع الناس على القبر في جنازة زوجته لدى مواراتها، فقال له أحد القوم معرضاً به:

ماذا أعددت لهذا؟ فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع وثمانين عاماً وأطرق قليلاً ثم قال:

لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى القبر مغلول القلادة أزرقاً
أخاف وراء القبر إن لم يعافني أشدني القبر التهاباً وأضيقتما
إذ جاءني يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

وختام السورة يعود على صدرها ومحورها الأساسي قضية المعاد وما أقسم به وذكر به عليها فقوله سبحانه: ﴿واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب، يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾ قبله في مطلع السورة جواب القسم المحذوف بعد قوله: ﴿ق والقرآن المجيد﴾ المقدر لتبعثن وقوله: ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ قبله ﴿والقرآن المجيد﴾ ونظير هذا في القرآن كثير ومنه قوله سبحانه في أول سورة العنكبوت: ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون﴾ وقوله سبحانه في ختامها: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا...﴾.

* * *

□ الظلم وآثاره □

الحمد لله الملك الجبار العظيم القهار شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنزل عليه ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ والقائل: «إن الله يجهل للظالم فإذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ رواه البخاري ومسلم. اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، ونسألك اللهم بأسمائك الحسنى أن تحشرنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين يا أحكم الحاكمين يا أعدل العادلين. آمين آمين آمين.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون...﴾ ويقول: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغيغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ ويقول: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام عن ربه تبارك وتعالى: إنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» رواه مسلم. ويقول عليه الصلاة والسلام: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» رواه مسلم. ويقول: «من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوقه الله إياه من سبع أرضين يوم القيامة» رواه الشيخان عن سعيد بن زيد.

عباد الله هذه تعاليم ربكم وسنة نبيكم، تعاليم جاءت لإصلاح المجتمع البشري وحمايته وحفظ مصالحه بوجه عام وبوجه خاص في الضرورات الخمس الأبشار والأعراض والأموال والأنساب والعقول، تأمركم أمراً مؤكداً ومغلطاً بمحاربة الظلم ومجانبةه بأن تجعلوا بينكم وبينه وقاية منيعة تحفظكم من الوقوع فيه، مخبرة لكم ومؤذنة بأن الظلم ظلمات يوم القيامة، ظلمات بعضها فوق بعض، ظلمات تغشى الظلمة في قلوبهم وفي قبورهم وفي حشرهم وفي عرصات القيامة في ذلكم اليوم الذي

يكون فيه العادلون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وأما الجاثرون الظالمون ففي ظلام دامس يتخبطون ﴿مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يردد إليهم طرفهم وأفتدتهم هواء﴾ ﴿يوم يقول المنافقون والنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فاتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتمم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور﴾.

ومن تأمل ما ورد في الظلم من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وجدها تحمل النهي المغلظ والإخطار النهائي بالترزعزع والتصدع، بل بالفناء والانقراض العاجل لدولة الظالم، ولا جرم فالظلم وخيم العاقبة شديد النكاية يمزق أهله كل ممزق ويبيدهم شر إبادة يخرب الديار ويقصم الأعمار يقول سبحانه: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾ ويقول: ﴿وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾ ويقول: ﴿وتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾.

وكيف لا يكون الظلم وأثر الظلم وعقاب الظلم كذلك وهو لا ينزل غالباً إلا بمن يستحقون الرحمة والعطف من الضعفاء والبؤساء والفقراء والأرامل والأيتام والمرضى والموتى، كيف لا وهو عدو الأمن والاستقرار عدو الطمأنينة والازدهار فالخذر الخذر عباد الله من الوقوع في الظلم ومن التعرض لدعوة مظلوم فإن ناصر المظلوم والمنتقم للمظلوم القاهر الذي لا يقهر الله جل جلاله الذي يفتح لدعوة المظلوم أبواب السماء ويرفعها فوق الغمام ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين يقول عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن داعياً إلى الله، وجائياً للزكاة وقاضياً بين الناس «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» رواه الشيخان.

وورد تاريخياً أن خالد البرمكي لما نكب وسجن هو وابنه قال الابن: يا أبت بعد العز أصبحنا في القيد والحبس قال: يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها وناهيككم دعوة سعد وسعيد بن زيد وأمثالهما وقديماً قيل:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقيل: الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب، دخل طاوس اليماني على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق يوم الأذان، قال هشام: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فصعق هشام فقال طاوس هذا ذل الصعقة فكيف المعاناة.

وحقيقة الظلم وضع الأشياء في غير مواضعها الشرعية بتفريط في الحق أو بتجاوز للحق فكل منهما ظلم، ومنه الشرك الذي هو أعظم ذنب عصي الله به قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وقال: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ومنه ما هو كبيرة من كبائر الذنوب متوعد فاعلوه بجهنم يصلونها وليبس القرار، ومنه ما هو ظلم للنفس كظلم الإنسان نفسه بتعريضها لشديد الحساب وأليم العقاب بارتكاب المنكرات واجتراح السيئات والتسبب في حرمانها من اللذة الأبدية والنعيم المقيم يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

ومنه ما هو ظلم لجمع الأمة كظلمها في أموالها أو أمنها أو تقاضيا أو في أي مجال من مجالاتها العامة بأي نوع من أنواع الظلم، ومنه ما هو ظلم لأفراد الناس كإغتصاب أموالهم أو اختصاصاتهم وكالتعدي على نفوسهم أو أعراضهم أو كراماتهم ونحو ذلك، فلقد حمى عليه الصلاة والسلام هذه بقوله: «إِنْ دَمَاءَكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا» رواه البخاري. وقوله: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رواه البخاري. وقوله: «أَوَّلُ مَا يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدَّمَاءِ». رواه البخاري.

فاتقوا الله عباد الله وتخلصوا من الظلم قبل أن يوقف أحدكم بين يدي أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضٍ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِينَارًا وَلَا دَرَاهِمًا إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ

حسانات أخذ من سيئات صاحبه وحمل عليه».

عباد الله تقدم فيما سمعتم بيان حقيقة الظلم وشيء من أنواع الظلم وشيء من أنواع النصوص الوعيدية الواردة بخلود أهله في النار أو بدخولهم النار كل حسب جرم ظلمه، وأكمل القول في الموضوع بالتذكير بأمر منها أنه جرت سنة الله التي لا تبدل ونطق كتابه المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسوله الصحيحة بأن الجزاء كثيراً ما يكون من جنس العمل فمن ظلم ظلم، ومن غدر غدر ومن كذب كذب ومن شتم شتم به ومن نم نم عليه مشاكلة لأعمالهم جزاء وفاقاً من حكم عدل لا يظلم مثقال ذرة يقول تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ ويقول سبحانه: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾ يقول الشاعر في هذا المعنى:

فما من يد إلا يد الله فوقها وما ظالم إلا سيلى بأظلم

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله من إمارة السفهاء». قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «أمرأء يكونون بعدي لا يبتدون بهدي ولا يستنون بستتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي، يا كعب بن عجرة الصيام جنة والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة قربان أو برهان، يا كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها» رواه أحمد واللفظ له والبخاري ورواهما محتج بهما في الصحيح. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ يقول عليه الصلاة والسلام: «لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك» رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ت جـ ٣ ص ٣١٠. يقول الله عن نبيه هارون أنه قال لأخيه: ﴿فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾. ويقول نبيه محمد ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء» رواه البخاري.

الخطبة الثانية:

أيها الأخوة في الله إن دين الإسلام الذي حرم الظلم تحريماً مغلظاً ومعللاً ببيان آثاره وأخطاره على الأفراد والمجتمعات أحل محله العدل الذي به ضمان وحماية الحقوق ورعاية المصالح وحمل المؤمنين بل أكرمهم وشرفهم بالقيام به وتحقيقه بين الناس وفق ما شرعه لهم لا وفق الأهواء والمصالح والأغراض الشخصية وطنية كما يقال أو إقليمية أو قبلية أو غير ذلكم حتى ولو كان تحقيق ذلك العدل لمصلحة كافر ذي ذمة على مسلم أو لمصلحة شقي على تقي أي فاجر على طابع، اسمعوا قول الله الميسر الواضح المحكم الذي لا يحتاج في مثل هذا الموقف إلى بيان إنما يرسل ويتلى عسى أن يلامس القلوب ويحرك المشاعر ويطلق الجوارح بالعمل على تحقيقه طاعة لله وابتغاء للثواب المترتب على تحقيقه يقول سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ ويقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ ويقول: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام﴾.

وكما أن تحقيق العدل بين الناس مهمة المؤمنين وواجب وعز وشرف المؤمنين فهو مطلب عظيم من مطالب ذوى الهمم العالية والنفوس الكبيرة، كبيرة الرغبة في عظم الأجر وبقاء الذكر، يروي المؤرخون أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما كان يتمثل كثيراً إذا اجتمع عليه الناس في مجلسه بما في العدل من الآيات التالية:

لا تشتري العاجل بالأجل	لباب يا أخت بني مالك
والعلم قد يلقي لدى السائل	إن تسألني بي فأسألني خابراً
عنا وما العالم كالجاهل	يمدحك من كان بنا عالماً
وأنصت السامع للقائل	أنا إذا مالت دواعي الهوى
نقضي بحكم فاصل عادل	واضطرع القوم بألبابهم
نلظ دون الحق بالباطل	لا نجعل الباطل حقاً ولا
فتحمل الدهر مع الخامل	نخاف أن تسفه أحلامنا

وكان عبد الملك بن مروان رحمه الله إذا جلس للقضاء أقام من ينشد هذه
الآيات ومثلها:

ملكنا فصار العدل منا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

* * *

□ أثر الجليس على المجالس □

أما بعد: فإن دين الإسلام الحنيف الذي ما ترك خيراً إلا وأمر به ولا شراً إلا وحذر منه نهاناً نهياً مبيّنة آثار وفوائد امثاله وفضائله وخسائر انتهاكه، نهاناً عن مجالس الردى والخنى، عن مجالسة الأشرار والفجار ذلكم السم النقيع والداء الفظيع الساري وبأوه إلى الجليس سريان الدم في العروق لا قوة إلا بالله ففي الحديث «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» رواه أبو داود والترمذي. ووقاية للأمة من ذلكم الداء جاءت نصوص الشريعة الغراء قرآناً وسنة محذرة من ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ ويقول: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ ويقول: ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ ويقول رسوله عليه الصلاة والسلام: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة». صحيح الجامع ٥٧٥٠. ويقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر» ابن كثير ج٢ ص ٥٦٧. يقول القرطبي قال ابن خويز منداد: من خاض في آيات الله تركت مجالسته مؤمناً كان أو كافراً. وقال ابن كثير: من لم يزل المنكر فليزل عنه.

فيا أمة الإسلام احذروا مجالس الردى، مجالس اللاهين السادرين التي تقسوا فيها القلوب وتحفوا فيها النفوس وينقص بها الإيمان، فإن الإنسان كثير ما يتأثر بمن يجالسه ويؤانسه وقديماً قيل:

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي فاتقوا الله عباد الله واحذروا مجالس الأشرار حذرکم من أنكى عدو، فروا منها فرارکم من الأسد، فروا منها إلى مجالس الإيمان ورياض الجنان إلى المجالس التي تلين فيها القلوب وتحيا فيها النفوس ويزداد بها الإيمان، مجالس الأقسام الذين

إذا رؤوا ذكر الله، مجالس العلماء والأتقياء التي دعيت لها ورغبتم فيها ووعدتم عليها خير الدارين وأعلى المنزلتين يقول سبحانه وتعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ ويقول عن نبي من الأنبياء أنه قال لولي من الأولياء: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾. ويقول عليه الصلاة والسلام: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سيارة فضلا يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء فيسألهم الله وهو أعلم من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك يسبحونك...» إلى قوله: «فيقول تعالى: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» رواه مسلم. وعن أبي واقد الحارث بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحي فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه» متفق عليه. هذه أيها الأخوة هي مجالس ومناهل الخير والفضل والعرفان، المجالس التي تستنزل فيها الرحمات وتستدفع فيها وبها البليات، تقرب القلوب فيها من ربها وتلين من قسوتها وتتنبه من غفلتها، فالله الله فيها، الله الله في طلبها، الله الله في إقامتها وعمرانها بما يزداد بها إيمان حاضريها ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾.

وحسبكم كراهة وبغضاً لمجالس الأشرار ونفرة وتحفظاً منها ومحبة وورعة في مجالس الأخيار وطلباً لها، قوله عليه الصلاة والسلام: «إنما مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما

أن تتباع منه وإما أن تجدد منه ربحاً طيبة، وناجح الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجدد منه ربحاً منتنة» متفق عليه. وما جاء في البخاري ومسلم عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أمية وأبو جهل فقال له: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعاد، فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب، وروى البخاري في صحيحه أن عيينة بن حصن قدم المدينة ونزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من نفر الذين يدينهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة على عمر فدخل عليه فقال: هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله قال لنبيه: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وإن هذا من الجاهلين والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان واقفاً عند كتاب الله عز وجل .. اهـ.

في الخطبة الثانية:

أيها الأخوة إن الحياة والمجالس والأوقات كالسيوف والسهام إن صانها الإنسان ربحها وجنى ثمارها يانعة بإذن ربها وإن ضيعها خسرها وباء بوزرها وربما بأوزار من جرهم فيها إلى اللهو واللغو والقييل والقال، فيا أخي المؤمن المتبغي فضل الله وجريان عملك الصالح عليك حياً وميتاً حاول إذا وجدت في مجلس أو مع صحبة أن تنقلهم بالحكمة والموعظة الحسنة مما هم فيه من مباح إلى مندوب أو من مكروه إلى مباح على الأقل وليعلم أن من المجالسة والمجالس السيئة المستقبحة الخطرة مجالسة الزنادقة والمبتدعة أو قراءة كتبهم لغير ناقض بصير، ومشاهدة المسلسلات والأفلام الهابطة، فليتق الله المؤمن وليتعد عما يضر ويطلب لنفسه من الجلساء ما ذكرهم الله بقوله: ﴿قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون...﴾ الآيات. وقوله: ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ وما وصف الشاعر من يرثيه بقوله:

سقى جدثاً وارى ابن أحمد وابل من العفو رجاس العشيات صيب

وأنزله الغفران والفوز والرضى
فقد كان في صدر المجالس بهجة
فطوراً تراه منذراً ومحذراً
وطوراً بآلاء الإله مذكراً
وطوراً بأخبار الرسول وصحبه
يطاف عليه بالرحيق ويشرب
به تحديق الأبصار والقلب يرهب
عواقب ما تجني الذنوب وتجلب
وطوراً إلى دار النعيم يرغب
وطوراً بآداب تلذ وتعذب

* * *

□ الخلق الحسن وأثره في الدعوة إلى الله □

الحمد لله الملك الخلاق، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فليس له من دونه من ولي ولا واق. أحمدته تعالى وأشكره وأثنى عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى كل من تخلق بأخلاقه واهتدى بهداه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون لقد جاء دين الإسلام الحنيف بأمثل الأخلاق وأتم السجايا وأكرمها جاء بها متمثلة في أخلاق وآداب وأفعال وأوامر وترك نواهي ذي الخلق الكامل والأدب الرفيع محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه وهذبه فأحسن تهذيبه وجعله بهذا الأدب الأمثل والخلق الكامل مثلاً يحتذى وإماماً يقتدى بقوله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ وقوله: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ والخلق الذي جاء به ووصف به في قول الله سبحانه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ جاء مفسراً فيما رواه الإمام مسلم رحمه الله قالت زوجه عائشة رضي الله عنها في تفسير قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قالت: كان خلقه القرآن، ومعنى ذلكم أنه متأدب بآداب القرآن ممثلاً لأوامره متجنب نواهيه، وقالت زوجه الأولى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها لما جاءها يرجف لما رأى جبريل أول مرة نزل عليه بالوحي ولم يكن يعهد ذلك من قبل يقول: «ذثروني» قالت: كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتقري الضيف وتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق، ولا غرابة أيها الأخوة أن يكون خير وصف وصف به خير رسول الخلق العظيم المفسر إجمالاً فيما سمعتم والذي كماله وجماله وجماعه في أن يرتسم المرء في جميع أمره تعاليم الشريعة الغراء فيمشي معها حيث مشيت ويقف حيث وقفت، فهذا الخلق أساس الاستقامة المطلوبة وقطب رحى دين الإسلام الذي تدور عليه فلا دين لمن لا خلق له بهذا المعنى ولا خلق لمن لا دين له.

فاتقوا الله أيها المؤمنون وتحلوا بأكرم الأخلاق فما أنتم إلا بدينكم ولا دين

إلا بالتحلي بالأخلاق الفاضلة وإشتمال الإسلاميات فما - وإيم الله - سادت الأمة الإسلامية سافناً وما رفعت لواء الإسلام عالياً خفاً ولا امتد لها سلطان ولا قبل لها دعوة بطواعية ورضى إلا بتمسكها بأخلاق نبيها وآداب دينها وما هُدَّ عرش وما أزيل من سلطان وما فرق من مجتمع وما تجرى على أمر ذي بال إلا بضياح تلکم الأخلاق الإسلامية من نفوس أهلها وانغماسهم في الشر والفساد وقدماً قيل:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال قبل ذلكم خير قائل وأصدق قائل عز شأنه: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾ يقول عليه الصلاة والسلام: «البر حسن الخلق» رواه مسلم. ويقول: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» السلسلة ٤٥. ويقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً» متفق عليه. ويقول: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن» رواه أحمد. فاتقوا الله وتخلقوا بأخلاق رسول الله أمثال ما سبق وما وصفه به ربه سبحانه في قوله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ وما وصف به أتباعه من أنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، وأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

نسألك اللهم أن تهدينا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وأن تصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، لييك وسعديك والخير بيدك والشر ليس إليك تباركت وتعاليت.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ذي العزة والجلال، الحمد لله الكبير المتعال، وأحمده تعالى وأشكره وأعوذ به من سيء الأقوال وفاحش الأعمال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وعلى كل من تخلق بخلقته واهتدى بهديه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون، واعلموا أن دين الإسلام اليسر الكريم كما دعا إلى أمثل السجايا وأكرم الأخلاق فقد نهى أشد النهي عن رديء الأخلاق وساقطها

وفاحشها وبذيعها، فالقرآن الذي هو خلق ذي الخلق الكامل صلوات الله وسلامه عليه كما دعا إلى الأخلاق الكريمة والشيم العالية فقد نهى أشد النهي عن الأخلاق الذميمة والصفات السافلة يقول سبحانه وتعالى: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ ونموذج تلکم الفواحش الذميمة والأخلاق السافلة مبين وموضح في كتاب الله عز وجل في مثل قوله: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم...﴾ الآيات وقوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ وقوله: ﴿ويل لكل همزة لمزة...﴾ السورة. وقوله: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين...﴾ السورة. وقوله: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين، هماغز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم، أن كان ذا مال وبنين﴾.

هذه أيها المسلمون نماذج للأخلاق السافلة والصفات الذميمة التي لا يجوز أن يرتكبها متأدب بآداب الدين ومتخلق بأخلاق سيد المرسلين، نعم لا يجوز أن يرتكبها من يطمع في شفاعة القرآن ومجادلة القرآن عنه في أخرج الظروف وأضيقتها في يوم القيامة الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. نعم والله لا يجوز أن يرتكبها من يطمع في ذلكم، من يطمع في النجاة من نار وقودها الناس والحجارة فهي مناهٍ وحرمان من حرمان الله وأسوأ الأخلاق وأحط الأخلاق وأشرها وأرذلها انتهاك حرمان الله وإضاعة حقوقه، فمن انتهاك حرمان الله فقد انتهاك حرمة خلقه حرمة قدره حرمة عرضه حرمة مركزه وحصانته، وقيمته في الوسط الذي يعيش فيه حرمة نفسه وعرضها لعذاب النار والذل قبل ذلكم في الدنيا والهوان والصغار، ومن يهن الله فماله من مكرم، فاتقوا الله عباد الله وتجنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتخلقوا بالأخلاق الفاضلة تحترموا في الدنيا وتحجرون في الآخرة الجزاء الأوفى الذي وعد به صادق الوعد من تخلقوا بالأخلاق الكريمة في قوله: ﴿وعباد الرحمن الذي يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ إلى قوله: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً، خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً﴾.

* * *

□ الكذب على العلماء من الكذب على الله وعلى رسوله □

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وعلى كل من تبعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، ربنا أدخلنا مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون هناكم خصلة نكراء وكبيرة عظمى ذات شر ومدعاة للشر، متوعد فاعلوها بالعار والنار وبئس القرار، متوعد فاعلوها بالطرده والإبعاد من مظان الرحمة ومواقعها حتى في أحلك ظروفهم وشدة حاجتهم إلى اللطف الذي وعد به تعالى خاصة عباده في قوله سبحانه: ﴿الله لطيف بعباده﴾ ألا وهو الكذب، قال تعالى في المبتلين: ﴿ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ وقال عن المتلاعنين: ﴿أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ وقال: ﴿قتل الخراسون﴾ أي الكاذبون وقال: ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» رواه الشيخان وقال: «آية المنافق ثلاثة وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب...» - الحديث - رواه مسلم. والكذب: الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، وأشر الكذب وأخطره وكله شر وخطر: الكذب على الله أو على رسوله قال تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ وقال: ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾ أي لا حد أظلم. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن كذباً عليّ ليس ككذب على غيري، من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه مسلم وغيره. وقال: «من حدث عني بحديث يعلم أنه كذب فهو أحد الكاذبين». ومن الكذب على الله أو على رسوله القول على الله أو على رسوله بلا علم كمن يقول: هذا الأمر حرام أو هذا الأمر حلال وهذا الأمر مشروع وهذا الأمر ممنوع وهذا الأمر سنة وهذا الأمر بدعة ولا دليل لديه على ذلك من الله ولا من رسوله قال سبحانه: ﴿ولا تقف ما ليس لك به

علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴿﴾ وقال: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ ومن الكذب على الله وعلى رسوله الكذب على العلماء بالنظر لأنهم المؤمنون على شرع الله المبينون لمراد الله من كلامه ولمراد رسوله كذلك كمن يقول عنهم أو عن أحدهم قال العالم الفلاني كذا أو أفنى العالم الفلاني بكذا ولا برهان لديه في ذلك سواء قال ذلك من أجل الحكم نفسه أو من أجل تنقص العالم به والكل شر ولا خير أشر.

ومن الكذب الأشد قبحاً والأعظم إثماً الكذب المتوصل به إلى ارتكاب محرم أو تخلص من واجب قال عليه الصلاة والسلام: «من اقتطع مال امرئ مسلم يمينه لقي الله وهو عليه غضبان» رواه مسلم. ومن الكذب الأشد قبحاً والأعظم إثماً الكذب ممن لم يضطر أو يجوع للكذب قال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان ومملك كذاب وعائل مستكبر» رواه مسلم.

ومن الكذب الأشد قبحاً والأعظم إثماً الكذب في الرؤيا بالنظر لأن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة قال عليه الصلاة والسلام: «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل» رواه البخاري. وقال: «أفرى الفرى أن يري الرجل عينيه ما لم تراه» رواه البخاري. ومن الكذب الأشد قبحاً والأعظم إثماً الكذب لإضحاك القوم. قال عليه الصلاة والسلام: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ثم ويل له». قال ابن حجر في البلوغ رواه الثلاثة وإسناده قوي. ومما يوقع في الكذب أن يحدث المسلم بكل ما يسمع. قال عليه الصلاة والسلام: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» رواه مسلم.

فاتقوا الله عباد الله واحذروا ما حذركم الله منه مما هو شر ومدعاة لأنواع الشر، احذروا أن تعرضوا أنفسكم بالكذب للعنة الله وغضبه وعقابه وتفوتوا عليها به ما تتمناه من رحمة الله ورضاه وثوابه وذلك بمجانبة الكذب المحرم بأنواعه والتزام الصدق بأنواعه، الصدق في الاعتقاد، الصدق في الأقوال الصدق في الأفعال تفوزوا، وتسعدوا بما وعد الله به أهل الصدق في مثل قوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا

اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴿١٠١﴾ وقوله: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون، لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين، ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون، أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه﴾.

في الخطبة الثانية:

يكثر بعض الناس الكذب الصريح بدون حاجة له وبدون تورية أو تأول عند الحاجة بدعوى الترخيص فيه لمصلحة ولا ترخيص فيه لما سمعتم من النصوص بغيرها إلا ما استثناه منها صلى الله عليه وسلم بقوله: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً» متفق عليه. وفي رواية مسلم والنسائي ولم أسمعها - تقوله راوية الحديث - يرخص في شيء مما يقول الناس أنه كذب إلا في ثلاث وجاءت الثلاث مفسرة بحديث الترمذي وغيره «لا يحل الكذب إلا في ثلاث تحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس» وفي الحرب قول محمد بن مسلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال: «من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله» ائذن لي أن أقول وقصة الحجاج بن علاط في استئذانه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول عنه ما شاء. فتح الباري ج ٦ ص ١٥٩.

* * *

□ خطورة تكفير أهل القبلة □

الحمد لله له العزة والجبروت وله الملك والملكوت وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كتب العزة لعباده المؤمنين ما اعتصموا بحبله المتين. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنزل عليه ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾. اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ - أيها الأخوة - إن ديننا الخفيف الذي أكرمنا الله به وأتممه وأكمله ورضيه لنا ديناً. ونحمد الله ونشكره أن جعلنا من أهله قد أوجب على بعضنا للبعض الآخر حقوقاً بالقيام بها تسعد الأمة ويتحقق فيها وبها ما أمرت به من تحاب وتآخ وتراحم وترايط وتعاون على البر والتقوى وتواصل بالحق وتواصل بالصبر وبالإخلاق به - أعاذها الله من ذلك - يظهر فيها ما يتمناه لها أعداؤها من تشاحن وتباغض وتعاد، الأمر الذي يهدد أقوى قوة تملكها بعد إيمانها وحدثها العظمى التي لو وجدت لدخلت المغلق قبل المفتوح ولغزت القلوب قبل الأجسام، ولذا جاء الأمر من العالم بأسرار وآثار ذلك بالمحافظة عليها والابتعاد عما يضادها أو يضعفها يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ويقول: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثَةً، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثَةً يَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَأَنْ تَنَاصَحُوا مِنْ وِلَاةِ اللَّهِ أَمْرَكُمْ وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلٌ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ» رواه مسلم. ويقول لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما لما بعثهما إلى اليمن: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا» رواه مسلم.

وإن مما يجمع كلمة المسلمين الجادين الصادقين في أخذ الإسلام بجملته عقيدة وعبادة وسلوكاً وتعاملاً وحكماً وتحاكماً على كلمة سواء أن يعتصموا

بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ اعتصاماً يعلمه الله من قلوبهم، وأن يتعدوا كل البعد عن الاختلاف الذي قد يتعذر معه الائتلاف وهو ما يصدر عن جهل بما يختلف فيه أو غرور بنفس أو بعلم أو عن طلب لشرف أو لمنصب أو لجاه أو لمال ونحو ذلك. أما الاختلاف في أسلوب حرب أو أسلوب دعوة أو أسلوب أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو في فرع من فروع الشريعة كأن يقول عالم: هذا الأمر سنة ويقول آخر: أدلة التسنن به ضعيفة، فهو بدعة أو يقول: هذا الأمر واجب، ويقول الآخر: أدلة الوجوب ضعيفة فهو سنة أو يقول: الحديث الفلاني صحيح لتعدد طرقه أو لشواهدة فيؤخذ منه حكم كذا، ويقول الآخر: هذا الحكم أمر تعدي قوی لا يحمله مثل هذا الحديث الذي لو كان في فضائل الأعمال لكان محل نظر فكيف بتأسيس حكم عليه ونحو ذلك من الاختلافات التي جرت بها السنن بين المسلمين قديماً وحديثاً منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا، وانظروا إلى تفاسير السلف لبعض آيات الأحكام وإلى شروحات بعض أحاديث الأحكام وما يوجد بينهم من التفاوت وربما التضاد في أقوالهم رحمهم الله، وما كان ولا يكون لها أثر في نفوس المختلفين بل ربما دعا ذلك أحدهم إذا كان الاختلاف في أمر عام أو مع من له وزنه العلمي والقيادي في الأمة أن يأخذ بالمفضول ويترك الفاضل درءاً لظهور الاختلاف عليه كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم الذين حجوا مع عثمان فأتم الصلاة الرباعية بمنى مجتهداً في ذلك رضي الله عنه والسنة قصرها، وأتموا معه ومنهم وابن عمر وابن مسعود الذي قيل له عتبت على عثمان - أي في الإتمام - ثم صليت معه فقال: «الخلاف شر» رواه أحمد وأبو داود ورواه البيهقي بلفظ إني لأكره الخلاف

وأن يحذروا كل الحذر ما ينمي فيهم جذور التقاطع والشحناء ويلهب بينهم نار العداوة والبغضاء فيحل بهم وعيد الله في قوله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ﴾ - أي قوتكم وأسباب نصركم - وقديماً قيل:

تأبى الرياح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحادا

فيا أمة الإسلام وشباب الإسلام ويا محبي وحدة المسلمين وتلاقيهم على الخير: إن من الأخطار التي تهدد وحدتكم وترابطكم وتلاقيكم على كلمة سواء مهما تباعدت بينكم الأوطان أو تفاوتت الأسنان حرص بعضكم واهتمام بعضكم ومتابعة بعضكم لهفوات وغلطات العلماء سيما ذوي القدم في الإسلام وذوي المواجهة للباطل أحياء كانوا أو أمواتاً ممن أفنوا أعمارهم في ذلك أو ممن ضحوا

بمصلحتهم في الحاضر من أجل ذلك، وجعلها مادة وسلاماً لرميهم بالفسق وربما بالكفر - عياداً بالله - وإنني أذكر المشتغلين بهذا طلباً للبراء العيب بأن إطلاق الأحكام على الناس من أهل الإسلام أحياء أو أمواتاً أمر قضائي يتطلب استماع حجج وأقوال من سيحكم عليهم وتلصق بهم تهمة فسق أو كفر، وأن أمام من يتكلم أو يحكم تهديد المتكلم نفسه بأن ما وصف به أخاه سيعود عليه إن لم يكن الموصوف كذلك فهو إذاً حكم على نفسه. روى البخاري ومسلم رحمهم الله عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه» أي رجع عليه قوله. وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أكفر رجل رجلاً إلا باء أحدهما بها إن كان كافراً وإلا كفر بتكفيره» رواه ابن حبان في صحيحه. وإذا كان هذا في عموم المسلمين فما بالكم إذا رمي به عالم من علمائهم أو داعية من دعائهم أو مجاهد أو خير من مجاهديهم وأخيارهم سبحانه هذا بهتان عظيم. قال عليه الصلاة والسلام: «إن الشيطان يتس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم» رواه أحمد.

نسألك اللهم أن تجعلنا ممن قلت فيهم: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾.

* * *

□ النيمة - التجسس □

الحمد لله العليم بما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء. أحمده سبحانه وأستغفره وأعوذ به من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وإذا مروا باللغو مروا كراماً وعلى أتباعه الذين حفظوا ألسنتهم من أن تجر إلى المسلمين سوءاً وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فلقد أنزل الله القرآن الكريم هداية ورحمة وبياناً وحجة وذكرًا وموعظة، أنزله ليعرف الناس به ربهم وليعبدوه به تعالى العبادة الحقّة التي خلقوا لها والتي أرسل بها رسله وأنزل بها كتبه. أنزله ليؤخذ كلاً لا بعضاً ليؤخذ معتقداً وسلوكاً وعبادة ومعاملة وحكماً وتحاكماً بل وخلقاً وآداباً. ولقد أنزل الله تعالى في هذا القرآن سورة عظيمة المعنى، كبيرة القدر، تضمنت حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة المترابطة المتشادة فيما بينها ﴿ألا له الخلق والأمر...﴾ تلكم سورة الحجرات المسماة بسورة الآداب والتي رغم قصرها النسبي نودي المؤمنون فيها بخمسة نداءات، نودوا فيها بأسمى وأطيب الأوصاف وأجها إلى مسامعهم وأقواها لمسأ لمشاعرهم واستجاشة لقلوبهم، نداءات تستحق أن تصاخ لها الآذان وأن تقبلها القلوب وأن تتحرك بمقتضاها الجوارح حسبة لله سبحانه وسيراً على منهاج رسوله ﷺ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله...﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي...﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم...﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا...﴾ .

ولنأخذ في هذه العجالة التذكير بثلاثة موضوعات أو ثلاثة آداب. آداب عظمى تلزم للمسلمين جميعاً جماعات أو فراداً مسئولين أو غير مسئولين ولا سيما في مثل هذا العصر الذي اختلط حابله بنابله ثلاثة مما تلي هذه النداءات الخمسة

من أوامر أو نواهٍ فما من نداء مثل هذه ويتلوه أمر بخير أو نهي عن شر كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. أول هذه الأمور ما تضمنه قوله سبحانه: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾ أي تثبتوا في خبره، محصوه تمحيصاً بحق وعدل لئلا يكون كاذباً أو مخطئاً فيجرمكم ذلك إلى أن تصيبيوا قوماً بجهالة. قوماً هنا نكرة تعم الذكر والأنثى والصلاح والطالح، عدلاً بين الناس وإحساناً إليهم واحتراماً لدمائهم وأموالهم وأعراضهم، فتصبحوا على ما فعلتم من اعتماد على قبول خبر الفاسق فيهم نادمين معرضين للوعيد في قول الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهْتَانًا وَإِثْمًا مَبِينًا﴾ فليتق الله المسلم ولا سيما المستول وليأخذ بهذه الآداب - فتبينوا - ليتق الله من مطيته في النيل من الأبرار روايات وأخبار الفجار، وليتذكر أن الإنسان كما يدين يدان - أي يجازى بمثل عمله.

ثاني هذه الأمور وثالثها ما تضمنه قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ والظن الذي أمرنا هنا باجتنابه هو بمعنى التهمة التي لا يعرف لها أمارات صحيحة ولا أسباب ظاهرة ولا سيما إن كان المظنون به من أهل الأمانة ظاهراً والستر والصلاح وهو - أي الظن - بهذا الاعتبار حرام حرام لقوله سبحانه: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وقول رسوله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». متفق عليه.

ويشند تحريمه ويعظم إثمه إذا جر الظان للتجسس على المظنون به، التجسس الذي نهينا عنه بقول الله سبحانه ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا...﴾ وقول رسوله ﷺ: «لَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا» متفق عليه. أي لا يبحث أحدكم عن عيوب وعورات لأخيه. ويروى عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ». رواه أحمد وأبو داود. وفي كتاب أبي داود عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كَدَدْتَ أَنْ تَفْسُدَهُمْ».

وكفى هذه الفعلة قبحاً أن صاحبها كالذباب لا يكاد يقع إلا على المستقذرات

والمنتنات والمستقبحات ذوقاً وعرفاً بل وشرعاً.

وكما يشتد تحريم الظن السيء ويعظم إثمه إذا جر الظان للتجسس على المظنون به فإنه يشتد ويعظم ويقبح أكثر فأكثر إذا أدى إلى نقل الظان عن المظنون للغير قولاً أو فعلاً أو أي أمر يشينه ولا سيما عند من بيده حول أو صول من الناس لارتكابه جريمة عظمى وداهية كبرى جريمة، وداهية التهمة المعرفة من العلماء أنها نقل كلام شخص لآخر على وجه التحريش والإفساد وأنها محرمة بإجماع أهل العلم لما جاء فيها من نصوص ولما فيها من إفساد وفساد.

ولا جرم فلکم جرت من ویلات وأفسدت من صلوات وكشفت وتكشفت من عورات، كم بذرت وتبذرت من بذور للشحناء، وأرست وترسى من قواعد للعداوة والبغضاء، كم خربت من بيوت عامرة وفرقت من أسر مجتمعة وأزهقت من أرواح بريئة ودرءاً لإفسادها عن الأمة وحماية للأسرة المسلمة من آثارها جاءت نصوص الكتاب والسنة بتهديد ووعيد مرتكبيها ومستقبليها يقول سبحانه: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين، هـامز مشاء بنميم﴾ ويقول رسوله ﷺ: «لا يدخل الجنة غمام» متفق عليه. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير أما أحدهما فكان يمشي بالتيممة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله» متفق عليه.

فاتقوا الله أخوة الإسلام واحذروا داء التيممة والوشاية الداء العضال المفرق بين الأحبه الباغي للبرء العيب. احذروه فإن إثمه مركب من عدة آثام. إثم الظن السيء أولاً ثم إثم التجسس ثانياً ثم إثم النقل ثالثاً. وإن تلاها الرابع وهو أخذ الأجر على ذلك كانت طامته لأخذه الأجر على فساد ذات البين التي أمر الله أن تصلح بقوله سبحانه: ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ والذي لا يقل حرمة عن حلوان الكاهن ومهر البغي وثمن الكلب، رحماك اللهم يارب ولا حول ولا قوة إلا بك. نستغفرك اللهم ونتوب إليك.

في الخطبة الثانية:

أيها الأخوة عوداً على ما مر في الخطبة الأولى أذكر بأن الظن قسمان مذموم وهو ما سمعتم القول فيه مما لم تظهر عليه علامات ولا أسباب ظاهرة ولا سيما

إن كان حول من ظاهره الستر والصلاح.

وقد أثر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لا تظن بكلمة خرجت من أخيك
سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً.

وقسم غير مذموم وهو ما كان حول ذوي الشر والفساد ولا سيما إن كان
المظنون به مما يتعدى شره ويعم أثره كالخدراوات وبؤر الفساد ونحو ذلك مما فيه خطر
على أمن المسلمين أو على أي واحدة من الضروريات الخمس للإنسان التي أمر الشرع
باحترامها وهي النفس والمال والدم والعرض والعقل فلحماية هذه الأمور حسبة لله
وعدلاً بين عباده يؤخذ بالظن فيها وفي أمثالها ابتداءً ينطلق به في تتبع قضايا المفسدين
ولا يكون ذلك مذموماً بل قد يكون مندوباً أو واجباً.

* * *

□ الاستقامة □

الحمد لله الذي له ما في السموات والأرض وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل جلّ من قائل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من عبد الله حق عبادته حتى أتاه اليقين من ربه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: أيها الناس اتقوا الله وراقبوه وأطيعوا أمره ولا تعصوه، اتقوا الله فتقواه سبب لكل خير ومدراً لكل شر.

أيها المسلمون أيها الشباب المتطلع لأعالي الأمور وأفاضلها للحوق بركب الأنبياء والصدّيقين والشهداء، أذكركم أن واجب المسلم الذي شرح الله صدره للإسلام ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ وأذاقه حلاوة الإيمان «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً» رواه مسلم. واستشعر هذه النعمة عليه بما أتاه الله من إدراك وتعقل وتذكر وتقى من شيب أو شبان ذكور أو إناث استشعار الفتية الذين قال عنهم سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ إلى قوله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعْدِوْكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ وأمثالهم في قصة شعيب من قولهم ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ أن يمثّلوا أمر الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾ وقوله: ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾ وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: «قل آمنت بالله ثم استقم» رواه مسلم. أي استقم على شرع الله وأمره وصراطه المستقيم، الأمر الذي يطلب المسلمون من الله في صلواتهم وغيرها أن يلزمهم إياه ويجنبهم طريق من ضلوا عنه من اليهود وأشباههم ممن عصوا الله على علم، ومن النصارى وأشباههم ممن عبدوا الله على جهل وضلال بقولهم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يمثّلوا ذلك لا امتثال الجمال وحمله

الأثقال ولكن امثال من يرجو ثواب الله وفضله ووعده للمستقيمين في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ ويخاف وعيده وتهديده لمن كفر نعمة أنعم بها عليه لمن تنكب الطريق السوي الذي هداه له أمثال من قال فيهم سبحانه منذراً ومحذراً من حالهم: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثْ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

والاستقامة التي أمرنا بها وهدى لها سبحانه من يشاء من عباده هي ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام المعتمدة على إخلاص العمل لله وحده لا شريك له والبراءة من كل جبت وطاغوت والكفر بكل ما عبد من دون الله والبراءة منه ومن أهله قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هِدَايَ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ وقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾.

فاتقوا الله - أيها الأخوة - واستقيموا على شرع الله بلزوم صراطه المستقيم الذي هو دينه الذي أرسل به رسوله محمداً ﷺ الذي لا عوج فيه ولا أمتى ولا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا جفاء وإنما هو استقامة في الاعتقاد بالإيمان بكل ما يجب الإيمان به مما أخبر به تعالى أو أخبر به رسوله على مراده ومراد رسوله مما وصف به عباده في قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ إلى قوله ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ واستقامة في القول بقول الحق وتجنب قول السوء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً... ﴿ الآية. واستقامة في العمل بترك ما نهى الله عنه
جملة وتفصيلاً وفعل ما استطاع مما أمر الله به حسبة لله ووفق منهاج رسول الله
تعزيز وتكريم وتلحق بمن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴿
قال تعالى: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون،
أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴿ وأستغفر الله لي ولكم
ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

□ أثر الإيمان بالحساب في العمل □

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت والمجازي لها بما عملت القائل جل من قال: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ والقائل: ﴿وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون﴾ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب العالمين، إله الأولين والآخرين ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون فيقول الله سبحانه وتعالى واعظاً ومذكراً بموقف من مواقف الإنسان يوم القيامة: ﴿يَبْأُ الْإِنْسَانِ يَوْمئذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ ويقول: ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ﴾ ويقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: «يقول الله تعالى: إنما هي أعمالكم أحصيها لكم...» الحديث. رواه مسلم.

أيها الأخوة في الله لقد جاءت نصوص الشريعة الغراء قرآناً وسنة أمرة المسلمين بضرورة الإيمان بالمساءلة والمحاسبة ومذكرة لهم بمواجهتهم لها ومساءلتهم بعد موتهم عما قالوه وفعلوه في حياتهم بل وعما قام ويقوم بقلوبهم من إيمان يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ ويقول: ﴿ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمئذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ويقول: ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه» - رحماك يارب. - رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه. الترغيب ج ٤ ص ٣٩٦ صحيح الجامع ٧٣٠٠.

ولقد عد السلف من أهل السنة والجماعة الإيمان بذلك جزءاً من معتقدتهم بعموم إيمانهم باليوم الآخر الذي هو أصل من أصول الإيمان الستة التي جاءت بها

النصوص أمثال قول الله سبحانه: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر...﴾ الآية. وقول رسوله ﷺ في حديث جبريل المشهور: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» متفق عليه.

فمقتضى هذا الإيمان أن يكون ذا أثر في قول وعمل من قام بقلبه وإلا.... فهو حجة قائمة على صاحبه معلنة مسبقاً فشله وسقوطه في المساءلة والمحاسبة التي يخرج منها داخلوها قسمين كما في سورة الروم ﴿ويوم تقوم الساعة...﴾ وسورة الحاقة ﴿وأما من أوتي كتابه يمينه...﴾ وسورة الانشقاق ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح...﴾ وغير ذلك قسماً يتلألاً وجهه حبوراً وبهجة قوله: ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حساييه﴾ وظن هنا بمعنى العلم الذي حمل على العمل وقسماً قوله ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حساييه﴾ والعبرة بعموم الألفاظ. فليتق الله المسلمون وليتذكروا ذلكم جيداً وما يخلصهم فيه فالكيس من دان نفسه - أي حاسبها - وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. ليتق العلماء موقفاً يقال لهم فيه علمتم فماذا عملتم، أخذت عليكم من الله البيعة بالبيان والنصح لولاية أموركم كما أخذت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فماذا كان دوركم فيما واجهكم مما يستوجب النصح والبيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ليتذكر الولاية في أي موقع من مواقع الولاية الواردة في قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئولون عن رعيتهم، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيتهم، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيتهم، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها، والخدام راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيتهم، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيتهم، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيتهم» صحيح مسلم. ليتذكر العايب من الولاية بمصالح المسلمين المتخوض في أمواهم بغير حق يوم أن تغل يده في الثريا في موقف الحساب وينال عليه المقتضون من كل حذب وصوب انهيار الدر على قطعة لحم بدأها التعفن لينال كل نصيبه منها بل وليشفي كل نفسه منها في موقف حاكمه الله الذي سيقبض للمظلومين من الظالمين وللمخونين من الخائنين وللمكذوبين من الكاذبين وللمخدوعين من الخادعين.

ليتذكر أهل الأموال المسيئين في جيبها أو إنفاقها أو التعامل بها أولاً يوم أن

يوافهم تأويل قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ وثانياً يوم يقدمون للمساءلة عن ذلك صغيره وكبيره خفيه ومعلنه أمام الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ويا ويح وحسرة وجزع النفوس وخسراتها في ذلك الموقف مهما كان أمرها لأنه ما من نفس تموت إلا وتندم، تندم إن كانت مسيئة ألا تكون أقلعت من إساءتها وإن كانت محسنة ألا تكون ازدادت من إحسانها.

فاتقوا الله أيها المسلمون عموماً واتقوا الله معشر العلماء والولاة وذوي الأموال خصوصاً، ليتق الله من ضرب بسهم مع هؤلاء ليتق الله من ضرب بسهم مع هذه الأصناف الثلاثة جميعها فقد يوقف مع كل صنف وأنى له وأنى له وأنى له المخرج. ليتق الله الكل وليبرهنوا على صحة إيمانهم بالمساءلة والمحاسبة بالاستعداد والتهيؤ لذلك ليخرجوا من ذلك الموقف بفضل الله رافعي الرؤوس منشرح الصدر مسرورين بحسن النتيجة وعاقبة الاستعداد الحق، وإلا فالخذر الخذر فلقد قامت عليكم الحجة وأبرزت لكم المحجة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وما ربك بظلام للعبيد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

في الخطبة الثانية:

أيها الأخوة. ما منا - والحمد لله - من أحد إلا ويؤمن بملاقة الحساب ومسك الكتاب ووضع الموازين بين يدي أحكم الحاكمين، ويتحقق تأويل أي حصول قول الله سبحانه: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ - أَي كِتَابِهِ - فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا، أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ، فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَةً، فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا. وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلِي سَعِيرًا﴾ وأمثال هذه النصوص فماذا كان لهذا الإيمان في نفوسنا من أثر أهو الاستعداد والتهيؤ؟ وكأن الإنسان سيحاسب ساعته وباليته، أم هو التسويف والتفريط والإهمال حتى يؤخذ أحدنا على غرة فيندم حين لا ينفعه الندم ويكي حين لا ينفعه البكاء وربما يتحسر حين لا ينفعه التحسر؟ سؤال يجب أن يوجهه كل منا

إلى نفسه ماذا كان لهذا الإيمان بالمساءلة والمحاسبة من أثر في أعمالنا قولية أو فعلية
لفظية أو اعتقادية. اللهم ارحم ضعفنا، اللهم نبه غافلنا ومن علينا بالاستعداد الذي
يرضيك والفرح بلقائك يوم نلاقك يا ذا الجلال والإكرام.

* * *

□ الإيمان بالإخبارات النبوية - الدجال □

الحمد لله أهل الحمد ومستحقه، حمده الأولون والآخرون، وإن من شيء إلا يسبح بحمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مؤمن بالله مصدق بوعدده راج منه سبحانه أن يلحقنا بمن قال فيهم: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون. لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين. ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كان يعملون. أليس الله بكاف عبده﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل المرسلين وأكرم الصديقين، جاء عنه فيما رواه الشيخان أنه كان يقول إذا قام للصلاة في جوف الليل في الاستفتاح: «اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق...» الحديث.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون في إطار ما سبق أن ذكرت به في الجمعة الماضية من ضرورة عمل المسلم على تعميق وترسيخ الإيمان بالمغيبات في نفسه، وما استشهدت به من ضرورة تذكر ما عساه أن يوجد ذلك في نفس المسلم ويظهر أثره في واقع عمله اليومي عبادة أو معاملة قول أو فعل، حكم أو تحاكم، تذكراً منه وتحسباً لقيام ساعته وملاقة أعماله، ومن مات فقد قامت قيامته الخاصة به وينتظر بعد قيام الساعة الكبرى يوم يقوم الناس لرب العالمين، أذكر اليوم بأمر هام يكاد التذكير به يغفل، أمر كان ﷺ يذكر به أمته وينذرهم ويحذرهم من فتنته ويذكر أنه ما من نبي إلا وحذره أمته ألا وهو: فتنة المسيح الدجال، يقول ﷺ فيما رواه الإمام مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه ك. ف. ر. أي كافر. وروى مسلم أيضاً عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فحفض فيه ورقع حتى ظنناه في طائفة

النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك في وجوهنا فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم» وروى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال».

ولقد وردت بخروج الدجال أحاديث كثيرة متواترة واجبة التصديق في معتقد أهل السنة والجماعة لا يشك فيها إلا ضعيف التصديق أو فاقده، لا يشك فيها إلا غير محقق لمقتضى شهادة أن محمداً رسول الله الذي هو طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

أيها الأخوة: إن هذا الأمر لم يعد ولن يعود - بحمد الله - خافياً على ذي بصيرة ولكنها العظة والتذكير به اتباعاً لسنة نبينا محمد ﷺ وسنة الأنبياء من قبله. ولا عجب ولا استغراب أن يذكر به ففتنته أكبر فتنة وأعظم فتنة وأخطر فتنة، روى الإمام مسلم رحمه الله عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أكبر من فتنة الدجال».

وذلكم - والله أعلم - لأن فيها من خوارق العادات والخروج على المألوفات ما قد يبهز ذوي العقول والبصائر الضعيفة ابتلاء وامتحاناً وإظهاراً لما كان في قلوب المؤمنين من تصديق جازم بصحة الإخبار عنه، وما كان في قلوب المنافقين من تشكك وترعزع فقد جاء في صحيح مسلم قوله ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر، معه جنة ونار، فإره جنة، وجنته نار». وفيه أيضاً: «أنه يأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والأرض فتبتت فتروح عليهم روائحهم أطول ما كانت ذراً وأسبغه ضروعاً وأمدته خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم، فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتبعه كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعو فيقبل يتهلل

وجهه يضحك ..» الحديث. وفيه «ولن يقدر على أحد بعده».

والغرض من هذه الإخبارات - والله أعلم - هو دعوة المسلم أن يتعد عن كل شبهة تعارض أخبار الله أو أخبار رسول الله، وأن يصدق ويستسلم لها من سويداء قلبه استسلام من قال الله فيهم: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ وأن يبذل جهده في توقي فتنة الحياة صغيرها وكبيرها، أمثال ما في قوله سبحانه: ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ وقوله: ﴿...إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ فمن نجا من صغريات الفتن كان حرياً أن ينجو من كبرياتها فيما لو وافته، وقديماً قيل:

فإن تنج منها تنج من ذي كريمة وإلا فإني لا أخالك ناجياً

يقول عليه الصلاة والسلام «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة». رواه مسلم.

* * *

□ البكاء من خشية الله □

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، فيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ما كتبت فيه أبداً، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً، ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون لقد أنزل الله القرآن الكريم عظات وعبراً وحججاً قائمة ومذكراً، عظات وحججاً تتوارد على قلوب الواعين ونفوس الطيبين بلى ومشاعر الفطريين البعيدين عن الأهواء، فتعمل فيها عملها توقظ النائم وتنبه الغافل وتعلم الجاهل وتزيد في يقظة وإيمان وإيقان الطائع، يقول سبحانه وتعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ ويقول: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ ويقول: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾.

ويقول في بيان نوع من أنواع أحوالهم عند سماعه وتأثر نفوسهم به حين توارده عليها: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنة فاكبتنا مع الشاهدين﴾ ويقول: ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً، ويخرون للأذقان يكون ويزيدهم خشوعاً﴾.

أيها الأخوة المؤمنون. إن الله جلت قدرته بإنزاله لهذه الآيات وأمثالها ومدحه لمن تحلوا بها وثنائه عليهم ليدعو المؤمنين ويأمر الناس أجمعين أن يتحلوا بهذا الأمر أن يقبلوا على كتاب الله بقلوب خاشعة ونفوس طائعة بمشاعر صادقة وجوارح مستسلمة له ظاهر عليها العمل به، يقول الله سبحانه: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع

قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ﴿﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنوات» رواه مسلم.

فاتقوا الله - عباد الله - وارغبوا بجدية وتقى فيما رغبتكم الله فيه من البكاء عند سماع بشائر ونذر كتاب الله بوجه خاص، ومن خشية الله بوجه عام بكاء راج وخائف راج وعد الله وثوابه وخائف وعيده وعقابه، فلقد كان ذلكم خلق المؤمنين وطابع عباد الله الصالحين، وفي مقدمتهم رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى في سورة مريم بعد ذكر زكريا ويحيى ومريم وابنها: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً﴾ وقال: ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً﴾ وقال: ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً﴾ وقال: ﴿ومن هدينا واجتبتنا - تعميم بعد تخصيص - إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾.

روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ القرآن» قلت: يا رسول الله: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمع من غيري» فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. وعن عبد الله بن الشخير قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء» قال النووي حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي في الشمائل بإسناد صحيح، وأخرج البخاري وابن المنذر أن عمر رضي الله عنه صلى صلاة الصبح وقرأ سورة يوسف حتى بلغ قوله: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ فسمع مشيجه - أي بكائه. ويقول ﷺ في عموم البكاء من خشية الله: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» ذكرهم وقال: «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» متفق عليه. وهو يشهد لما رواه الترمذي من قوله: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله ..» الحديث، وما رواه أيضاً من قوله: «ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين قطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهرق في سبيل الله ...» الحديث.

فاتقوا الله عباد الله وانهجوا هذا النهج تصفوا نفوسكم وتلين قلوبكم وتلحقوا بعباد الله الصالحين الذين إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً. وإياكم والتعلل بأنه لا سبيل للخشوع ولا لذرف الدموع فهو أمر طبيعي لا نملكه فقد يكون ذلكم القول داخل في عموم قوله سبحانه: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ فالؤمن الحق يبذل الجهد ويهيئ النفس ويقدم الأسباب، أسباب جلب الخشوع من جدية في طلب الخير وتنقية حسب المستطاع لمطعم ومشرب وبعد عن مقسيات وملهيات القلوب واستحضار لعظمة الله وإجلاله واطلاعه على العبد ولا سيما في هذا المقام، مقام ﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ وغير ذلك مما تهبأ به النفوس لتلاوته في الساعة التي نوه عنها سبحانه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ، قم الليل إلا قليلاً، نصفه أو انقص منه قليلاً، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً، إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً، إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً﴾ وقوله: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ ونحو ذلك مما يفتح القلوب ويهيئ النفوس لتقبل ما يجلب إليها الخشوع ويسيل منها الدموع خشية لله ورغباً فيما عند الله وبعداً عما ذمه الله، يقول جل ثناؤه: ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون، وتضحكون ولا تبكون، وأنتم سامدون، فاسجدوا لله واعبدوا﴾.

في الخطبة الثانية:

عباد الله إن خشوع القلوب وورقتها ولينها وتأثرها وادكارها واعتبارها عند سماع القرآن أمر مطلوب جد مطلوب لكن ماذا يعني خشوع ولين وتأثر وادكار واعتبار وقتي لا أثر له أو يقل أثره في حياة الخاشع فيما بعد، ماذا يعني ماذا يعني بل الأمر في حقه أشنع والخطب بالنسبة له أفضع لما في ذلك من إقامة الحججة وإبراز الحججة على فاعله.

* * *

□ أسباب الثبات أمام الفتن □

الحمد لله علام الغيوب مقلب القلوب فارح الكروب رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون. أحمده وأشكره وأثنى عليه الخير كله وأسأله أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل له القائل جل من قائل: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليته وصفوته من خلقه الذي كان من دعائه: اللهم مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله أذكركم وما أشد وقع التذكير لدى مناسباته أذكر بما يعايشه المسلم في حياته من فتن عظمية تموج أعاصيرها كموج البحار، فتن الشهوات المتعددة التي كثيراً ما يواجه بها ضعفاء الإيمان، وفتن الشبهات العارمة التي كثيراً ما تواجه ضعفاء البصائر بل وفتن تضارب الآراء ولا سيما عند تفاوت المشارب واختلاف الأهداف الأمر العظيم الخطر على معتقد المسلمين في الله وعلى وحدة المسلمين وتربطهم.

وإن واجب المسلم تجاه هذه الفتن، المسلم المستشعر لما أنعم الله به عليه من نعمة الإسلام العظمى التي لا يعادلها أي نعمة، الطامع في أن يلقي الله عليها أن يسعى جاداً مخلصاً في طلب ما يرسخها ويعين على حفظها واستمرارها في نفسه كي لا تنزل به قدم في خضم هذه الأحداث فيخسر هذه النعمة وما رتب عليها، لا قوة إلا بالله. ولا عجب فإن الفتن بأنواعها تنساب إلى من لا يتوقاها انسياب السيل إلى منحدره يقول عليه الصلاة والسلام: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه» متفق عليه. أي من تطلع إليها وتعرض لها واثته فوقه فيها.

ولقد كان هذا الأمر أعني الحرص على تثبيت الإيمان في النفوس والخوف كل الخوف عليه من الانزلاق عند تضارب الآراء وظهور الأهواء محل اهتمام

سادات الأمة، قال سبحانه وتعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا...﴾ وقال: ﴿وما كان قوهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا...﴾ وقال: ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا...﴾. وروى البخاري في صحيحه رحمه الله عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبر بطنه يقول:

«والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا»

ويرفع بها صوته «أينا أينا» وفي رواية له يرتجز بكلمات ابن رواحة ف ٧ ص ٣٩٩. وإن مما يعين على مواجهة الفتن وتحصين الإيمان من الانزلاق أمور منها:
١- أن يقبل المسلم على كتاب ربه بروحه ومشاعره بقوله وعمله واعتقاده تعلماً وتعلماً وتلاوة وتدبراً، ففيه العصمة لمن اعتصم به والثبات لمن طلبه فيه، قال تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى...﴾ وقال: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا...﴾ وقال: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك...﴾.

٢- ومنها: العلم المخلص في تحصيله المتقي الله في تطبيقه، علم من عنوا بقول الله سبحانه: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم...﴾ وقوله: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء...﴾ وقوله: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس...﴾.

٣- ومنها: كثرة الأعمال الصالحة المخلصة لله المتبع فيها رسول الله، قال تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة...﴾ والإيمان الذي يسبب الثبات هو الإيمان الإيقاني السليم من الشكوك والشبه والريب والاعتقادات المخالفة لمذهب السلف أهل السنة والجماعة المنبثق منها القول الصادق والعمل الصالح.. وقال: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ ونصر الله هو نصر دينه الذي هو سبب في النصر والثبات في الأمر وقال ﷺ مما يفيد أن الأعمال الصالحة مصاد

للفتن ووقاية منها: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» رواه مسلم.

٤- ومنها: البعد كل البعد عن مظان الافتتان بملبوس أو مأكول أو مشروب أو مركوب أو مجالس أو مقروء، ومن المجالسة الضارة مجالسة المنحرفين في اعتقاد أو فكر أو سلوك أو غير ذلك، ومن المقروءات الضارة قراءة كتبهم وكتب أهل الأهواء ولا سيما من يعبر عنهم بأهل المدرسة العقلانية المقدمين للعقل على الشرع أنار الله بصائرهم وردهم للحق الذي عليه سلف هذه الأمة من رسل وصحب وأتباع بإحسان.

٥- ومنها: البعد كل البعد عن الحرص على المال والشرف سيما أن انضم إلى ذلك ابتغاه بعلم أو على أعتاب أبواب السلاطين، الأمر الذي طالما أذل أعناقاً وأخرس ألسناً عن النطق بالحق قال عليه الصلاة والسلام: «ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» رواه الترمذي. وقال: «من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتن، وما ازداد أحد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً» صحيح الجامع، السلسلة الصحيحة، كشف الخفاء، المقاصد الحسنة في من بدا ومن سكن.

* * *

□ مشهد الاحتضار □

الحمد لله مقلب القلوب علام الغيوب غفار الذنوب، نبي الغافلين ووعظ اللاهين وأنذر المستهترين قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون: أذكركم عسى أن نكون جميعاً ممن قال الله فيهم: ﴿سِذْكَرٌ مِنْ يَخْشَى﴾ أذكر بمقتضى ومدلول قول الله سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

أيها الأخوة أمام كل منا باب مفتوح سيلجه، ومشهد عظيم سيشهده لا مفر له منه ولا محيد له عنه، إيمان يقيني قائم بذلك في النفوس وواقع مشاهد محسوس ملموس. أمانا مشهد الاحتضار الذي ينتظر كلاً منا وينتظره كل منا بلا موعد ولا خيار ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ المشهد العظيم الذي صور لسامعه كأنه يشاهده في نفسه رأي العين صور بقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، وَقِيلَ لَهَا مَرْحَلًا، وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ، وَالتَّتَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تَنْظُرُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ...﴾ هذا المشهد العظيم الذي ذكرنا ووعظنا به وصورنا لنا حال من فوجيء به من المفرطين والمسوفين من كفره وعصاة مسلمين ماذا كان له من أثر في نفوسنا أهو الاستعداد والتهيؤ الذي يفرح المسلم معه بلقاء ربه وكأنكم به يقول: ﴿يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ أم هو التسوييف والتفريط حتى يؤخذ الإنسان على غرة فيندم حين لا ينفعه الندم ويكسى حين لا ينفعه البكاء ويتمنى حين لا ينفعه التمني؛ يتمنى بمثل ما ذكرنا ووعظنا به من الآيات السابقة ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾ فيجاب بكلاً ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾

فيجاب بـ ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ وكأنكم به يقول: ﴿يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾ وشتان شتان بين من يقول: ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ وبين من يقول ﴿يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله﴾. فيا أخوة الإسلام وهواة طوبى وحسن الختام خذوا الاستعداد قبل أن تصلوا حالة الاحتضار، حالة من لا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون، فلکم أغفلها أقوام فندموا ومرّ بها أقوام فبكوا طويلاً حين لا ينفع البكاء.

روى الإمام مسلم رحمه الله عن ابن شماسه المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً، وحول وجهه إلى الجدار فجعل يقول له ابنه عبد الله: يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا قال: فأقبل بوجهه إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ إني قد كنت على أطباق ثلاث لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني ولا أحب إليّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه فقبضت يدي قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت أردت أن أشرط قال: «تشرط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله» وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أضفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه. ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها. اهـ. وأثر عنه أنه قال في حالة تلك غاب رشدي حتى حضر أجلي وأنه قال: يا ليتني مت يوم ذات السلاسل، أرجى موقفاً يرجوه.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية^(١) في خبر عبد الملك بن مروان قال أبو مسهر: قيل لعبد الملك في مرض موته كيف تجدك؟ فقال: أجدني كما قال تعالى: ﴿ولقد جتتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركمم ما حولناكم وراء ظهوركم﴾

(١) ج ٩ ص ٧٤.

وقال سعيد بن عبد العزيز لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من قصره فلما فتحت سمع قصاراً^(١) بالوادي فقال: ما هذا؟ قالوا: قصار. فقال: يا ليتني كنت قصاراً أعيش من عمل يومي، فلما بلغ سعيد بن المسيب قوله قال: الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم. وقال لما حضره الموت جعل يندم ويندب ويضرب على رأسه ويقول: وددت أني اكتسبت قوتي يوماً بيوم واشتغلت بعبادة ربي وطاعته.

ومقابل هذه النماذج في بكائها وندمها عند موتها على تفريطها بنماذج أخرى تبكي عند موتها على مفارقة طاعاتها ومجالات إصلاحها على مفارقة ليل الشتاء أترامهم لنومه لا والله ولكن لسعته للقيام والتلاوة والمناجاة والذكر والاستغفار ومزاحمة العلماء للأخذ عنهم. روى الإمام أحمد رحمه الله في كتاب الزهد ص ١٨ أن معاذ بن جبل رضي الله عنه في مرض موته غفى ثم أفاق فقال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار - إجرائها - ولا لغرس الأشجار ولكن لظماً الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر. وكان رضي الله عنه صادقاً فقد روي في فضله وعلمه وتقدمه بالعلم آثار كثيرة.

فاتقوا الله أيها الأخوة واختاروا لأنفسكم أفضل التوذجين وأرجى الوصفين، اشغلوا النفوس بطاعة الله وتبئتها لتعامل وتحبى وتبشر في مقام الاحتضار بتحقيق وعد الله سبحانه لها في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي﴾ كتب الله لنا جميعاً ذلك إنه سميع مجيب.

وأوصي نفسي ومن قدر له من المسلمين أن يعي حالة الاحتضار أن يحسن الظن حالتها في الله فقد روى الإمام مسلم رحمه الله عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل، وأن يكثر من قول لا إله إلا الله عسى أن يحتم له عليها».

(١) المحور للثياب.

قال عليه الصلاة والسلام: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» رواه أبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد. وقال عليه الصلاة والسلام: «لقنوا أمواتكم لا إله إلا الله» رواه مسلم.

* * *

□ أسباب حسن الخاتمة □

الحمد لله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأتوكل على الحي الذي لا يموت وأسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنزل عليه ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً﴾.

أما بعد: أيها الأخوة المؤمنون أذكركم وأعظكم بما ذكر الله تعالى ووعظ به عباده وبما ذكروهم ووعظهم به رسوله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ويقول: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ ثم إلينا ترجعون ﴿ويقول: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ ويقول: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملائكم﴾ ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ ويقول رسوله ﷺ: «أكثرُوا ذكر هادم اللذات الموت» رواه الترمذي ويقول: «ما حق امرئ مسلم يبیت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه» متفق عليه ويقول: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» رواه البخاري.

عباد الله: إن ما وعظت به هذه الآيات وهذه الأحاديث وما في معناها مما نوقن به اعتقاداً ونشاهده عياناً في واقع حياتنا.

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب
نشاهد ذا عين اليقين حقيقة عليه مضى طفل وكهل وأشيب
إن ذلكم ليذكر كلاً منا أنه يوماً ما محل تأويل هذه النصوص تأويل قول الله:
﴿وجاءت سكرة الموت بالحق..﴾ وقوله: ﴿وظن أنه الفراق﴾ فراق الروح
للجسد، فراق الأهل والأحبة، فراق ميدان السباق، فراق يلف بعده ذلكم الجسد
المنعم الذي كان يخدم صباحاً ومساءً من خارجه بالنظافة ومن داخله بالطعام والشراب

والأدوية، فيوضع في حفرة على مقاسه تبدو موحشة في ظاهرها أما واقعها فهي إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

فليتذكر المسلم الطامع في نجاة نفسه وسعادتها، ووصل ما كان من طيب محياها بطيب مماتها أن هذه المرحلة مرحلة الدنيا أو مرحلة القبر التي سيصل إليها الذي هو أول منازل الآخرة، إنها ليست نهاية المطاف ولكنها بداية سيواجه الإنسان بعدها بما كان عليه في دنياه من خير أو شر يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَاكِيهِ...﴾.

ويقول: ﴿يَبْنِئُ الْإِنْسَانُ يَوْمئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ ويقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ويقول: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا...﴾ ويقول: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَلِمُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّهُمْ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ويقول رسوله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم بإها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه...» رواه مسلم.

عباد الله: حسن الخاتمة ولقاء الله سبحانه على ما أكرم به من دين الإسلام مطلب وأمنية كل مسلم، فما من مسلم إلا ويجب ذلك ويسعى له جهده. ولقد كان ذلك محل اهتمام وعناية عباد الله الصالحين من سابقين ومقربين وسالفين وللاحقين وموضوع وصيتهم لمن بعدهم وفي مقدمتهم رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام، فلقد كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يقول: «اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» رواه أحمد. ويقول: «اللهم اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه واجعل أبرك أيامي يوم أن ألقاك» رواه الهيثمي. ويقول: «إنما الأعمال بالخواتيم» رواه البخاري. يقول ذلك وهو الموعود بحسن الخاتمة شكراً لله وتعليماً لأمته للعمل بمقتضاه ويقول سبحانه عن خليله إبراهيم وحفيده يعقوب عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿وَمَنْ يَرِغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهٍ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴿ويقول سبحانه عن نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ

والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفي مسلماً وألحقني بالصالحين ﴿﴾.

ولكن ليعلم ويتذكر أن تمنى ذلك أو محبته لا يكفي في طلبه، وطلبه يأتي بإذن الله في فعل الأسباب المهيئة له بلزوم شرع الله في كل أمر في كل لحظة من لحظات الحياة والديمومة والثبات عليه، وكلما كان ذلك إن تيسر بإرقاق نفس وإرهاق حس وخشوع قلب كان أكمل لتوافيه المنية فيما لو وافته في لحظته تلك على طهر ونقاء وصفاء ومحبة للقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

أخوة الإسلام طلاب حسن الختام كتب الله لنا جميعاً ذلك على طهر ونقاء وصفاء، اتقوا الله واطلبوا ذلك بأسبابه بموجباته بالبعد عما قد يحول بينكم وبينه يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنِيَرَهُ لِلْعُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنِيَرَهُ لِلْعُسْرَى﴾ ويقول عليه الصلاة والسلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة» متفق عليه ليق الله من هو متلبس بعمل ما يخالف شرع الله أن يظل مصراً عليه، فلربما نمي لديه وتسبب - لا قوة إلا بالله- في سوء خاتمته، فقد قال العلماء في قوله ﷺ: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» متفق عليه إن هذا النوع يكون لديه وهو يعمل الخير بذور وأسس للشر في معتقد أو سلوك أو تعامل أو غير ذلك نمت به حتى كان فيه حنفة، وصلوات الله وسلامه على من أعطي الحكمة وجوامع الكلم القائل: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه». السلسلة الصحيحة.

في الخطبة الثانية:

فاتقوا الله أخوة الإيمان وأعيدوا النظر في صحائفكم وماذا أودعتموها واعملوا على ما يجعل السيء منها يبدل حسناً والحسن يضاعف أجره أضعافاً كثيرة ما دتم في فسحة ومهلة من أمركم، فإنه ما من نفس تموت إلا وتندم، تندم إن كانت محسنة ألا تكون ازدادت من الإحسان، وإن كانت مسيئة ألا تكون تخلصت قبل ذلك من سئورها ذلك. جفت الأقلام وطويت الصحف وحيل بين المرء وبين ما يشتهي، رحماك اللهم

يارب، نسألك اللهم أن تعيننا على غمرات وسكرات الموت وما بعده، وأن تحسن منقلبنا
إليك، نسألك اللهم أن تجعلنا نفرح ببقائك وننعم بعطائك ونصحب في دار الخلد أولياءك
يارب العالمين.

* * *

□ خطبة عيد الفطر المبارك □

الحمد لله ذي العزة والجلال، الحمد لله الكبير المتعال، الحمد لله ذي الجبروت والملكوت والكمال، نحمده تعالى على ما يسر وقضى وقدر، ونشهد أن لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من ذكر الله في الختام وشكر واستغفر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأبرار الأطهار وعلى أتباعه بإحسان ما تعاقب الليل والنهار وسلم تسليماً كثيراً.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد، الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، الله أكبر عدد ما صام صائم وأفطر، الله أكبر عدد ما هل هلال وأنور، الله أكبر عدد ما تأمل متأمل في الكون وفكر، الله أكبر عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

أما بعد: فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله التي هي وصيته تعالى للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ووصية رسوله ﷺ لأمته، روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة». وتخصيصاً بعد تعميم أوصيكم بالاعتصام بكتاب الله اعتصاماً حقا قاراً بسويداء القلوب، منبعثاً منها على الجوارح أقوالاً سديدة وأعمالاً مخلصه، اعتصاماً يظهر به وفيه تحليل حلاله وتحريم حرامه والوقوف عند حدوده والإيمان بمتشابهه بل وتحكيمه بجدية واحتساب واتباع في جميع شئون الحياة، عبادة أو معاملة حكم أو تحاكم مادي أو معنوي، ثقافي أو عسكري فهو الضمان والأمان لمن أخذه بحقه

لمن أخذه قلباً وقلوباً روحاً ومعنى، قال تعالى: ﴿فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ وقال: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً...﴾ وقال: ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾ وقال عليه: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى...﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: ﴿إني تارك فيكم ما لن تضلوا إذا اعتصمتم به كتاب الله﴾ رواه أبو داود. كما أوصيكم بالحفاظ على مهمتكم الكبرى، مهمة الدعوة إلى الله، مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهمة الجهاد في سبيل الله، المهمة التي أخرجتم لها وأعلمتم بأنها مصدر خيريتكم وشرفكم واستمرار عزكم وأمركم قائماً منصوراً بإذن الله. قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ وقال: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ وقال في إخطارهم وتحذيرهم من ضياع هذا الأمر: ﴿لئن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كان يفعلون﴾ وقال: ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾ وقال في ختام سورة القتال: ﴿وإن تولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾.

عباد الله: إن في تعاقب الليل والنهار لعبراً ودروساً ماثلة دروساً حية تذكر بأن لكل شيء من مخلوقات الله نهاية، وأن البقاء المطلق والدوام الأبدي لله وحده، فقبل شهر استقبال المسلمون شهر رمضان المبارك فرحين مستبشرين يتبادلون التهاني بإدراك موسم الخيرات ومضاعفة الحسنات وإقالة العثرات وأمس ودعوه غير قالين ولا سئمين، ودعه التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله، ودعوه بعبرات حشرجت بها الصدور ودمعات أسالتها لوعة الفراق أو خوف عدم القبول أو التلاق ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ ودعوه ولم يودعوا فعل الخيرات فأبوابها مفتحة ومناسباتها كثيرة، ولكنها المناسبة الفاضلة التي يتصور أحدهم أنه قد لا يدركها بعد فمن ورائه ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ ودعوه واستقبلوا اليوم يوماً عظيماً مباركاً يوماً

من أيام الله الغر يوم عيد الفطر المبارك الذي شرع ليظهر فيه المسلمون آثار ما قر في قلوبهم من إيمان بالله وإجلال وتكبير له وليحمدوه ويشكروه ويكبروه على ما هداهم له من فعل الخيرات وامتنال الأمور، قال تعالى: ﴿وَلتَكْمَلُوا العدة وَلتَكْبِرُوا لله على ما هداكم﴾ ولتختم وتتوج أعمال رمضان بذلك كما تختم وتتوج أعمال الصلاة وأعمال الحج بالذكر والاستغفار والتهليل والتكبير، فلك الحمد ربنا على ما أوليت ولك الشكر على ما أعطيت، نستغفرك اللهم وتوب إليك، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

عباد الله: لمن تظنون العيد السعيد؟ أهو لمن زود مواعده بألوان المطعوم وهو من زاد التقوى محروم؟ أهو لمن رفل في الحلل القشبية وهو عار من لباس التقوى، ولباس التقوى ذلك خير؟ أهو لمن إذا نظر الله إلى قلبه وجده مليئاً بالحقد والحسد والغيبة والتميمة والظلم والفسق والخيانة والمحابة والتطاول على الناس وإيذائهم مليئاً بالمشاحنات وقطيعة الأرحام وعقوق الآباء والأمهات كلا وألف كلا ليس العيد السعيد لهذا، وقد قيل قديماً:

ليس السعيد الذي دنياه تسعده إن السعيد الذي ينجوا من النار

العيد للمؤمن التقى النقي الذي يتقى الله فيما بيدي ويعيد، العيد لمن خاف يوم التناد واتقى مظالم العباد، العيد لمن زحزح عن النار ذات الحر الشديد والقعر البعيد التي طعام أهلها الزقوم وشرابهم الصديد ولباسهم القطران والحديد وفاز بجنة لا يفنى نعيمها ولا يبدي، العيد لمن إذا نظر الله إلى قلبه وهو سبحانه لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن إلى قلوبكم- كما جاء بذكر الحديث الصحيح الذي رواه مسلم- وجده مليئاً بآثار الصيام المحفوظ من اللغو والرفث والجدال، مليئاً بآثار التهجد والانكسار والابتهاال بين يدي الملك المتعال، مليئاً بالإخلاص وبذل الجهد فيما يوطد دعائم الدين ويحمي عقائد وأفكار وحوزة وأمن المسلمين.

فاتقوا الله عباد الله وطهروا قلوبكم من الرذائل والأدران وأعمالكم من كل ما يتنافى مع السنة والقرآن، تحظوا بفرحة العيد الحققة والفوز به النافع الذي عناه الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ وقوله: ﴿وينجي الله الذين اتقوا

بمفازتهم لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون ﴿﴾.

عباد الله احذروا الخيلاء والإعجاب بعمل ما قل أو كثر أو ملبوس أو مركوب أو مسكون مهما حسن ففي التنزيل ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ وروى البخاري ومسلم رحمهما الله أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة».

عباد الله تذكروا فالذكرى تنفع المؤمنين، تذكروا من كان يحضر مثل هذه المشاهد في الأيام الخالية ممن اخترتهم المنون سواء من ذوي السلطات والجاه والأمر والنهي أو من ذوي القلوب الخاشعة والألسن الذاكرة والعيون الدامعة من خشية الله، أين هم الآن؟ أقدموا على ما قدموا. نسألك اللهم إلهنا أن تجعلنا ممن يفرح بقلائك ويقنع في هذه الدنيا بعطائك ويرضى بقضائك. اللهم كما أجريت حمدك في الدنيا على ألسنتنا فضلاً منك وإحساناً فأجره عليها مع من قلت فيهم ﴿وقالوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبأ من الجنة حيث نشاء...﴾ ﴿وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور. الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ ﴿وقالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾. وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أيها المسلمون، أيها الأخوات الحاضرات معنا في هذا المشهد العظيم المتمثلات أمر رسول الله ﷺ في شهود الخير ودعوة المسلمين في هذا اليوم العظيم، أحمد إليك الله وأثنى عليه الخير كله إذ أشهد أن لا إله إلا هو وأصلي وأسلم على رسوله محمد بن عبد الله وأسأله جل شأنه بكل اسم هو له أن يجعلنا وإياكن ممن قال فيهم سبحانه: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً﴾ أذكر كن أن رسول الله ﷺ بعد أن خطب الرجال في مثل هذا اليوم الأغر مشى متوكفاً على بلال رضي الله عنه وخطب النساء، وكان من خطبته أن تلا عليهن آية مبايعة النساء، المبايعة الموجودة في سورة المتحنة متعاهداً هن بها ومؤكداً لمقتضايتها

في نفوس المؤمنات عامة في كل زمان ومكان: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتاناً يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف...﴾ الآية فلما فرغ من الآية قال: «أنتن على ذلك؟» فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله «وطبعاً جوابها عن الجميع» رواه البخاري وقد قال في هذا الموضوع نفسه: «إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة» فأمرهن بالصدقة - والصدقة بنص قوله عليه الصلاة والسلام تطفيء الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وعموم قوله جل وعلا: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ قال لمن: «تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم» فقالت امرأة من سط النساء- وفي رواية من سفرة النساء لماذا يا رسول الله: فقال: «لأنكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير» وفي رواية «تصدقن فإني أرىكن أكثر أهل النار» فقلن: لم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعنة وتكفرن العشير» متفق عليه فجعلن رضي الله عنهن يلقين من قروطن وخواتيمهن وقلائدهن في ثوب بلال صدقة لله. فاتقين الله أيتن الأخوات وكن خير خلف لخير سلف من نساء المؤمنين.

* * *

□ بعد رمضان □

الحمد لله «الكبير المتعال» ذي الحول والطول والجبروت والملكوت والكبرياء والجلال ... نحمدك اللهم ونشكرك من إله عظيم جليل كبير متعال، ونشهد أنك أنت الله وحدك لا شريك لك قلت وقولك الحق: ﴿ولتكمّلوا العدة وتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون...﴾ نسألك اللهم بكل اسم هو لك أن تعيننا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك، ونشهد أن محمداً عبدك ورسولك وخليلك ومصطفاك ومجتبأك وأفضل وأكرم خلقك، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذرياته وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون اتقوا الله وراقبوه واحمدوه على نعمه واشكروه، احمداً لله واشكروه على ما وفقكم له من إكمال شهر الصيام والقيام واسألوا الله كثيراً في مضان الاستجابة أن يتقبل منكم. قال تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ وأن يجعلكم من الفائزين الفوز الذي عناه تعالى في قوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز..﴾ وقوله: ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ وقوله: ﴿وينجي الله الذي اتقوا بمفازتهم لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون﴾ وتذكروا يوم أن استقبل المسلمون قبل ... شهرهم الكريم وموسمهم العظيم فرحين مستبشرين، يتبادلون التهاني بإدراك موسم الخيرات ومضاعفة الحسنات وأمس يوم أن ودعوه غير قالين ولا ستمين يوم أن ودعه المسارعون فيه للخيرات بعبرات حشرجت بها الصدور ودمعات أسالتها لوعة الفراق أو خوف عدم القبول أو التلاق وكأنكم بأحدهم يقول: ليت شعري من سيستقبله منا بعد، ويخرج منه بطهر ونقاء وصفاء كيوم ولدته أمه ومن ستضمه اللحد وتخلو منه ثغر الإصلاح ومواطن الركوع والسجود ليت ... ليت بروح وحال تحكي روح وحال القائل:

تذكرت أياماً مضت وليالياً خلت فجرت من ذكرهن دموع
ألا هل لها يوماً من الدهر عودة وهل لينور قد أفلن طلوع

عباد الله: ما أجمل الطاعة إذا اتبعت بطاعة وما أجمل الحسنة تتلوها الحسنة بعدها، ما أحسن الإحسان يتلوه الإحسان والمعروف يتلوه المعروف والخير يتلوه الخير. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ وقال: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً﴾ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ وقال العلماء: إن من علامة قبول الحسنة أن تتلى بشكر صادق على التوفيق لها وبعمل صالح مماثل لها.

فيا إخوتي في الله الذين أكرمكم الله بأنواع الطاعات وتقرّبتم إلى الله في أيام رمضان ولياليه بأنواع القربات، محلقة بذلك نفوسكم مع عالم السماء الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون صياماً وصلاة وتلاوة وبراً وصلة وإحساناً واستغفاراً وذكرأً وربما مشاركة في من عنوا بقول الله سبحانه: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ واصلوا سيركم إلى الله تعاهدوا زرعكم.

فمن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادماً يوم الحصاد

حافظوا على ما وفقتم له من طاعة الله والتأهل به للفوز بمرضاة الله وحسن الوفادة عليه، يوم أن تغادروا عالم هذه الحياة إلى عالم الأموات وذلك بلزوم طاعته، والبعد كل البعد عن الاعتزاز بالعمل أو رؤية استكثاره، فما هذا نهج عباد الرحمن الراجين الفوز برضى الله وحسن الوفادة عليه بل نهجهم في قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾.

أيها الأخوة المؤمنون لكن كان فعل السيئة قبيحاً فإنه يعظم قبحه وتشد شناعته وبشاعته إذا جاء بعد فعل الحسنة، فلئن كانت الحسنات يذهبن السيئات فإن السيئات قد يبطلن صالح الأعمال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ فحذار أيها الأخوة حذار يا من سمت نفوسهم في رمضان إلى درجات الصالحين ونعمت بلذة المناجاة والانضمام في سلك الطائعين أن تهدموا ما بنيتم وتبددوا ما جمعتم حذار حذار تصدوا قلوباً ونفوساً خلصت لله ونقيت و صفيت من لوثة العصيان

بإعادتها فما أقبح النكوص على الأعقاب والالتفات عن الله بعد أن أقبلت عليه تائباً من ذنبك راغباً في رحمته خائفاً من نعمته، حذار بعد أن كنت في عداد الطائعين وحزب الرحمن وأهلت للباس العفو والغفران أن تخلعه بالمعصية فتكون من حزب الشيطان، قال تعالى والعبرة بعموم الألفاظ: ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً...﴾ وقال في المرابين: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ قيل لبشر الخافي: إن قوماً يتعبدون في رمضان فإذا انسلخ تركوا. قال: بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان. وقال الحسن: لا يكون لعمل المؤمن أجل دون الموت، وقرأ: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل» رواه مسلم. وقال جل من قائل: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

في الخطبة الثانية:

أيها الأخوة: بالأمس دخلنا في رمضان وفي تجديد تعاهد وتلاوة وسماع القرآن وخرجنا منه فماذا خرجنا به أبطهر ونقاء وصفاء وعزم صادق على الاستمرار والوفاء؟ أو بحال من ذموا في قول الله سبحانه - والعبرة بعموم الألفاظ -: ﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ أي أن حالهم قبل رمضان وزواج القرآن هي حالهم بعد عياداً بالله من هذه الحال.

فلنتق الله أيها الأخوة شيباً وشباباً ذكوراً وإناثاً أفراداً أو جماعات حكاماً ومحكومين إعلاميين أو اقتصاديين - بلغة القوم - ثقافيين أو عسكريين أو أو، ولننظر ماذا خرجنا به وماذا نحن عليه، فمن وجد خيراً فليحمد الله وليزدد من الخير، ومن وجد غير ذلك فليتذكر أن المنون آتية في أي لحظة قد لا يسبقها مقدمات، وجهنم آتية قال تعالى عنها فيما تستقبل به أهلها: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثوراً، لا تدعوا اليوم ثوراً واحداً وادعوا ثوراً كثيراً. قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيراً. لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعداً مسئولاً﴾.

□ مواصلة العمل الصالح بعد رمضان ^(١) □

الحمد لله الذي لا يزول ولا يتغير. سبحانه جعل في تعاقب الليل والنهار عبرة لمن يتذكر. أحمده وأشكره وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. القائل في كتابه المبين: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله دعى إلى المداومة على الطاعة بفعله وقوله: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» رواه مسلم. صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وكل من تمسك بهديه حتى يلقي الله وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله وأكثروا من اتباع الحسنة بالحسنة فوالله ما أجمل من الطاعة إذا أتبعت بطاعة، ولا أجمل من الحسنة تتلوها الحسنة بعدها. فتلكم من الباقيات الصالحات التي ندبكم الله إلى فعلها في محكم الآيات.

يا عباد الله إذا كان فعل السيئة قبيحاً في نظر الإسلام فما أشنعه وأقبحه بعد فعل الحسنة، فلئن كانت الحسنات يذهبن السيئات فإن السيئات قد يظلمن صالح الأعمال. فإذا كنا مؤمنين بهذا فما لي أرى بعد أن مضى رمضان المبارك كأنه طيف خيال أخذ الكثير ينصرفون عن صالح الأعمال، بالأمس المساجد مكتظة بالمصلين والأصوات مدوية بتلاوة الكتاب المبين. بالأمس أنفقت آلاف المئين على ذوي القربى والمساكين. بالأمس وجل التفكير مقصور على ما ينفع أمام رب العالمين. بالأمس والنفوس محلقة مع عالم السماء الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون. واليوم - رحماك يارب - بعد أن كنا مرغمين الشيطان بكثرة النوافل أخذ يهتز طرباً من تركنا لها، ويتصارع مع النفوس في ترك الواجبات ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ وإن تلكم لمأساة كبرى وخسارة عظيمة أن يني الإنسان ثم يهدم، وأن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير. فأين تلكم القلوب الخاشعة في رمضان والعيون الدامعة والألسن التالية والأيدي المنفقة؟ أين تلكم الأرواح المقبلية على الله؟ أين ذلكم الشعور الفياض في رمضان؟ أفليس - يا عباد الله - رب رمضان هو رب شوال وشعبان؟ أفليس هو الذي أخبر عن نفسه سبحانه بأنه مع المتقين والمحسنين

(١) منقول من الجزء الأول.

بأنه مع المتقين والمحسنين في كل زمان؟ أفليس هو الذي أخبر عنه رسوله ﷺ بأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر وذلكم نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته فيقول سبحانه: «هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه سؤاله؟». رواه مسلم. فما هذا الانصراف يا عباد الله؟ ما هذه الرغبة عن الله الذي يحب من عباده المداومة على تقواه؟ فحذار يا من سمت نفوسهم في رمضان إلى درجات الصالحين ونعمت بلذة المناجاة وانخرطت في سلك الطائعين أن تهدموا ما بنيتم وتبددوا ما جمعتم، حذار يا من كان في رمضان تقياً نقياً رحيماً أن تحول نفسك شيطاناً رجيماً. حذار فما أقبح النكوص على الأعقاب والالتفات عن الله بعد أن أقبلت عليه تائباً من ذلك راغباً في رحمته خائفاً من نعمته. حذار بعد أن كنت في عداد الطائعين وحزب الرحمن وأسبل عليك لباس العفو والغفران أن تخلعه بالمعصية فتكون من حزب الشيطان. حذار أن توقع نفسك في المعاصي فإنها شهوة قصيرة عاجلة تعقبها حسرة دائمة ونار حامية. فاتقوا الله عباد الله وواصلوا السير إلى الله فمن زرع وتعاهد زرعه بالسقي حصد. ومن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادماً يوم الحصاد.

عباد الله. إن الحياة كلها مجال للسباق وميدان فسيح لفعل الخيرات لا فرق بين رمضان وغيره. قيل لبشر الحافي: إن قوماً يتعبدون في رمضان فإذا انسلخ تركوا، قال: بشس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان، وقال الحسن البصري - رحمه الله -: لا يكون لعمل المؤمن أجل دون الموت، ثم قرأ ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ فاتقوا الله أيها المسلمون وألزموا أنفسكم المسلك القويم الذي سلكتموه في رمضان من اجتناب المعاصي والإكثار من أعمال البر ومتابعة الإحسان بالإحسان. وإن من متابعة الإحسان صيام ستة أيام من شوال ندبكم إليها رسول الله ﷺ بقوله: «من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر كله». رواه مسلم ولعل من حكمة مشروعية صيامها إظهار شكر الله وترويض النفوس على متابعة الإحسان بالإحسان، وبيان أن فعل القرب ليس مقصوراً على رمضان وإنما يتجدد في كل زمان. ووجه كون صيام الست بعد رمضان كصيام الدهر هو أن الله يجزي على الحسنة بعشر أمثالها كما في قوله: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ فصيام رمضان مضاعفاً بعشرة شهور

وصيام الست بستين يوماً فحصل من ذلكم أجر صيام سنة كاملة. اللهم ارزقنا
الاستقامة ومواصلة الجهود الحسنة إلى أن نلقاك . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم،
ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم
الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

□ مناجاة بين عامين^(١) □

الحمد لله جعل في تعاقب الليل والنهار عبرة لأولي الأبصار. أحمده سبحانه لا إله إلا هو العزيز الغفار. وأشكره وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وأصلي وأسلم على أعدل الخلق وأكرم المرسلين من أرسى الله به قواعد الدين وأثار معالمه محمد ابن عبد الله الذي وقف وقال: «من كانت عندي له مظلمة فليقف على قدميه وليقتص مني قبل يوم القصاص» وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا عباد الله. اتقوا الله وخذوا من تجاربكم وتصرم الأيام والأعوام أمامكم عبراً ودروساً فكم في ممر الأيام والأعوام من عبر، وكم من تصرم الأزمان والأحوال من مدكر، كم في ذلك مما يذكر بأن لكل شيء من مخلوقات الله بداية ونهاية فجمعتم هذه هي آخر جمعة في هذا العام الهجري وبعد أيام قلائل سيطوى سجله ويختم عمله ويبقى شاهداً على الإنسان بما أودعه، وإذا كان أهل الأموال يعملون تصفية لحساباتهم وجردها في أواخر كل عام مالي لهم لينظروا الطرق التي استفادوا منها فيكثروا منها والطرق التي خسروا فيها فيجتنبوها، فما أحرى المسلمين ما أحرى الفرد المسلم أن يقف مع نفسه في مثل هذه المناسبة مذكراً لها ومحاسباً لها عما أسلفتها بصدق وإخلاص ورغب في الاستزادة من الخير والإقلاع عن الشر، فليقف كل منا مع نفسه عند انتهاء عامها أو شهرها أو يومها الحاضر محاسباً لها ماذا أسلفت فيه، فإن يكن خيراً ازداد من الخير وسأل الله الثبات عليه وألا يكله إلى عمله وحذر ما يبطله من الغرور بعمله أو الإدلاء به على الله أو على الناس فلا شيء خير من الخير إلا ثواب الخير وعاقبة الخير، وإن يكن غير ذلك أقلع وأناب واستغفر وتاب فلا شيء أشر من الشر إلا الإصرار على الشر وعاقبة الشر وإنما تمحى السيئة بالحسنة ليقف كل منا مع نفسه ليسألها عن موقفها من فرائض الإسلام وشعائره وقضاياها وما يتطلبه من توضيحات وأمر ونهى وبيان وإيضاح واتفاق وسمود

(١) منقولة من الجزء الأول.

وما دورها في ذلك، ليسألها عن موقفها من فريضة الصلاة وماذا عملت في أداء الزكاة، وأين هي من المحافظة على حقوق الناس، ومن تمسكها بالصدق والوفاء وكريم الأخلاق ونبيال الفعال، ليسألها عن شعورها حين يحظر بالبال ذكر الكبير المتعال، ليسألها عن كسبها الحسي والمعنوي أهو حرام خبيث أم هو مما أحل الله من الطيبات؟ عباد الله حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فأنتم اليوم أقدر على الحساب منكم غداً وما ندري ما يأتي به الغد، حاسبوها فنعم الختام لعامكم أو لشهركم أو ليومكم الحساب الدقيق والتوبة النصوح والعزم الصادق والعمل الصالح وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

عباد الله بعد أيام قلائل سيشتع فجر عام هجري جديد تستفتح به صفحات بيضاء من صفحات الحياة والتاريخ لا يدري أحد ماذا سيسطر فيها إلا الله فاتقوا الله فيما تستقبلونه من صفحات بيض لا تلوثوها بالشر ولا تودعوها إلا خيراً فهي خزانكم وغداً ستوافون ما بها من خير أو شر. جاء في الأثر أن أبا بكر رضي الله عنه قال في خطبة: إنكم تغدون وتروحون إلى أجل قد غيب عنكم علمه فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا. ويروى أن رسول الله ﷺ خطب فقال في خطبته: «أيها الناس إن لكم معالم فانتهاوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهاوا إلى نهايتكم، إن المؤمن بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليتخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرتة ومن الشيبية قبل الهرم، ومن الحياة قبل الممات، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار».

فاتقوا الله عباد الله وتذكروا ما أسلفتم تذكراً يدعوكم إلى التوبة من قبيح الفعال والإنابة به الصادقة إلى ذي العزة والجلال القائل جلّ من قائل: ﴿أَوْ لَا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ اللهم اختم لنا بالصالحات والخيرات الحسان وأعدنا من الشك والشرك والشقاق والنفاق والطغيان وهب لنا الخير والسعادة والأمان. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

□ فهرسُ الموضوعات □

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	منهج الخطابة والوعظ
١٣	✽ الإخلاص وأثره في العمل
١٧	✽ القرآن عصمة
٢٠	✽ الإسلام والمسلم المثالي
٢٣	✽ مراقبة الله - الإحسان
٢٦	✽ ابتلاء الله لعباده المؤمنين
٢٩	✽ الدعوة إلى الله خير وسيلة لإنقاذ البشر
٣٢	✽ غربة الإسلام - فضل عمل غربائه
٣٥	✽ إيذاء المسلمين في مرافقهم العامة
٣٧	✽ اللجوء إلى الله تعالى
٣٩	✽ ما لولاة الأمور وما عليهم من حق
٤٢	✽ توسيد الأمر إلى غير أهله
٤٥	✽ الظلم - سوء عقباه
٤٨	✽ الغلول
٥١	✽ نعمة الأمن
٥٣	✽ أخطار الفتن وعلاجها
٥٥	✽ آثار الأعمال السيئة
٥٨	✽ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً
٦١	✽ الكبر - أضراره - التواضع
٦٤	✽ تحريم الزنا - سوء أثره
٦٧	✽ أخطار اللسان
٧٠	✽ عوامل موت القلوب وحياتها

٧٣	✽ طغيان المادة وإيثارها
٧٦	✽ موقف المؤمن مع الدنيا
٧٩	✽ الاستجابة لله ولرسوله وأثرها
٨٢	✽ الذكر الحقيقي وأثره
٨٦	✽ الخوف والرجاء الحقيقيان
٨٩	✽ العلاقة الزوجية وواجب الزوج نحو زوجته
٩٢	✽ السعي على ذوي الضعف والمسكنة
٩٤	✽ الطمانينة في الصلاة
٩٧	✽ صلاة الجماعة
١٠١	✽ استقبال شهر رمضان
١٠٤	✽ صوم شهر رمضان
١٠٧	✽ فضل عشر رمضان وليلة القدر
١٠٩	✽ مكانة البيت العتيق وحجه
١١١	✽ الحج والعمرة وآثارهما
١١٤	✽ إتمام الحج والعمرة
١١٨	✽ الهجرة النبوية
١٢١	✽ اغتنام فرصة الشباب
١٢٤	✽ موقف الحساب ومحاسبة النفس
١٢٧	✽ الأعمال الخالدة وأثرها بعد الموت
١٣٠	✽ مكانة شهداء الإسلام
١٣٣	✽ نموذج من الخطبة الأخيرة للجمعة
١٣٥	□ مقدمة الجزء الثالث
١٣٦	✽ مكانة علم الشريعة وحاجة الناس إليه
١٤٠	✽ مجمل توحيد الله سبحانه الذي خلق له الثقلين
١٤٣	✽ محبة الله ورسوله
	✽ من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد
١٤٦	اتخذهم أرباباً من دون الله

- ١٤٩ * خطورة التغيير والتبديل في دين الله
- ١٥٢ * الاعتصام بكتاب الله وأثره
- ١٥٥ * حاجة المسلم لتعاهد القرآن
- ١٥٨ * خطورة هجر القرآن
- ١٦١ * ذاق طعم الإيمان
- ١٦٣ * أثر التمسك بالإسلام
- ١٦٦ * محاضرة أقيمت على إثر عدّة مؤتمرات وتجمعات إسلامية
- ١٦٩ * أثر شكر النعم
- ١٧٢ * الصبر الجميل وأثره على أهله في الدنيا والآخرة
- ١٧٥ * موعظة وذكرى
- ١٧٨ * موعظة وتذكير بحاجة المسلم إلى ما يقدمه لغيره
- ١٨١ * نماذج لأوصاف أهل الجنة وأوصاف أهل النار
- ١٨٤ * الصدق
- ١٨٧ * الوفاء بالعقود
- ١٩٠ * مخالفة الفعل للقول
- ١٩٣ * المنافقون وخطرهم على الإسلام وأهله
- ١٩٥ * آثار السعي في أعمال البر العامة
- ١٩٩ * بر الوالدين
- ٢٠٣ * حق المسلم على أخيه المسلم
- ٢٠٥ * حرمة الحقوق المالية
- ٢٠٨ * الغش
- ٢١٠ * الطيبات وأثرها على المسلم في حياته ومماته
- ٢١٣ * الحسد وأثره على صاحبه
- ٢١٦ * المناسبات الإسلامية وآثارها
- ٢١٨ * الجمعة
- ٢٢١ * الزكاة
- ٢٢٤ * التهجد بالليل وأثره

- ٢٢٧ * غزوة بدر الكبرى
- ٢٣١ * ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
- ٢٣٤ * خطورة موالاته واستخدام المسلمين للكافرين
- ٢٣٧ * الدعوة إلى الله وواجب المسلم تجاهها
- ٢٤٠ * العدل وأثره في حياة المسلمين
- ٢٤٣ * نموذج من الخطبة الأخيرة للجمعة
- ٢٤٥ * تعظيم حرمة الله وشعائره
- ٢٤٨ * ظهور الإسلام وسيادته على الأرض
- ٢٥١ * أثر التمسك بالسنة
- ٢٥٤ * البيعة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٢٥٧ * أمانة الفطرة والهداية
- ٢٦٠ * توقي أسباب قسوة القلب
- ٢٦٣ * توقي أسباب الفتن
- ٢٦٦ * التوسط والتطرف
- ٢٦٩ * تفاوت آثار الأعمال بتفاوت الأحوال
- ٢٧٢ * تسلية لمن يعيشون من المسلمين بين أوساط جاهلية
- ٢٧٥ * جوانب من قيمة المؤمن
- ٢٧٨ * معاداة أولياء الله
- ٢٨١ * نواقض الإسلام
- ٢٨٤ * الكفر بالجنت والطاغوت
- ٢٨٨ * أثر الإيمان بالغيب في النفوس
- ٢٩١ * أخذ الأرض زيتها ثم عود ما عليها هشيماً تذروه الرياح
- ٢٩٣ * أثر المعاصي في الأفراد والمجتمعات
- ٢٩٦ * أثر الخوف من الله وخطورة صرف شيء منه لغيره
- ٢٩٩ * ضرر الحرص وطول الأمل
- ٣٠٣ * أثر القدوة السيئة
- ٣٠٦ * خطورة الاعوجاج في العلماء عليهم وعلى الأمة

- ٣٠٩ * خطورة التسرع في القول بالتحليل والتحريم والتسنن والتبدع
- ٣١٢ * عبرة لأولي الألباب « قصة يوسف »
- ٣١٥ * نهاية طاغية
- ٣١٨ * نجاة داعية
- ٣٢٠ * تركية النفوس
- ٣٢٣ * الإحسان وأثره في الدعوة إلى الله
- ٣٢٦ * أثر الإنفاق ابتغاء وجه الله
- ٣٢٩ * توقي خطر الشح والبخل
- ٣٣٢ * النكاح وآثاره على الأفراد والجماعات في الحيا والممات
- ٣٣٥ * مسؤولية الوالدين تجاه الأولاد
- ٣٣٨ * تعلق القلوب طبعياً وشرعياً ببيت الله الحرام
- ٣٤١ * ختام العام - محاسبة النفس
- ٣٤٤ * عودة إلى الله
- ٣٤٨ * نموذج من الخطبة الأخيرة للجمعة
- ٣٥٠ * التحديات الباطنة
- ٣٥٣ * الاستهزاء
- ٣٥٦ * تسلية لمن ابتلوا في ذات الله
- ٣٦٠ * الربا
- ٣٦٣ * التوكل على الله
- ٣٦٦ * مقتضى الأخوة الإيمانية
- ٣٦٨ * أسباب حفظ الله ونصره لعبده
- ٣٧١ * سورة ق وملخص لها
- ٣٧٤ * الظلم وآثاره
- ٣٨٠ * أثر الجليس على المجالس
- ٣٨٤ * الخلق الحسن وأثره في الدعوة إلى الله
- ٣٨٧ * الكذب على العلماء من الكذب على الله وعلى رسوله
- ٣٩٠ * خطورة تكفير أهل القبلة

٣٩٣ النيمة - التجسس *
٣٩٧ الاستقامة *
٤٠٠ أثر الإيمان بالحساب في العمل *
٤٠٤ الإيمان بالإخبارات النبوية - الدجال *
٤٠٧ البكاء من خشية الله *
٤١٠ أسباب الثبات أمام الفتن *
٤١٣ مشهد الاحتضار *
٤١٧ أسباب حسن الخاتمة *
٤٢١ خطبة عيد الفطر المبارك *
٤٢٦ بعد رمضان *
٤٢٩ مواصلة العمل الصالح بعد رمضان *
٤٣٢ مناجاة بين عامين *



طبع في بيروت